سلسلة النبي والعترة

النقي الناصح

الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام

فوزي آل سيف

دار المحجة البيضاء

النقي الناصح
الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام

الرويس - خلف محفوظ ستورز بناية رمال

هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - ٠١/٥٤١٢١١
ص.ب: ٥٤٧٩ / ١٤ - E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com / info@daralmahaja.com

النقي الناصح
الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام

فوزي آل سيف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمة

بين يديك أخي القارئ، أختي القارئة هذا الكتاب في سيرة عاشر أئمة أهل البيت عليهم السلام؛ الإمام علي بن محمد الهادي وبطباعته ينضم إلى سبعة كتب أخرى سبقته في الطباعة، أسأل الله سبحانه العون لإكمال تمام السيرة المعصومية تأليفًا وطباعة.

وأرى وأنا في الرابعة والستين من العمر، أن العمر تصرم والسنين انقضت كلمح البصر، وأخشى أن يطبع خبر نعيي قبل أن تطبع هذه السلسلة، وقبل أن أنجز ما في بالي من البرامج، فأحسب في عداد المقصرين وأحاسب كحسابهم.

عزائي ـ مع قلة العمل وكثرة التضييع وطول الأمل ـ محبة محمد المصطفى وآله الشرفاء، والإيمان بهم متمنيًا الحشر معهم إذ «من أحب قومًا حشر معهم» كما ورد في الحديث.

كان بودي أن يكون اسم هذا الكتاب: النقي ابن الرضا؛ الإمام علي بن محمد الهادي. إلّا أن عددًا من الإخوة الفضلاء أشاروا إلى أن هذا اللقب وإن كان يطلق على الإمام الهادي ـ بل والإمام

العسكري ـ قد يؤدي إلى الاشتباه في الاسم بينه وبين والده المبارك الإمام محمد الجواد فلقد كان مشهورًا أكثر بابن الرضا، واستجبت لاقتراحهم بتبديله، واخترت له اسم النقي الناصح. وهما من ألقابه عليه السلام التي ذكرها له من ترجم حياته.

أسأل الله سبحانه للقارئ العزيز ـ والقارئة ـ ولي زيادة معرفتهم، وزيارة مشاهدهم، وكرامة شفاعتهم، ونعيم مرافقتهم إنه على كل شيء قدير.

أشير إلى أن تحرير هذه المواضيع كان في فترات مختلفة، وربما تقدم أحد المواضيع على الآخر في الكتابة لكنه حين إخراج الكتاب صار متأخرًا، فربما هنا تمّت الإشارة فيه على أنه سيأتي الموضوع الكذائي بينما هو قد تقدم ـ بحسب الإخراج ـ أو قد يتم ترجمة شخص في موضوع ويكون بحسب الإخراج متأخرًا، بينما تقدم اسمه في موضوع سابقًا وكان ينبغي أن تكون الترجمة له في ذلك الموضوع، وأنا على ثقة بأن القارئ النبيه يفطن لذلك، لكنني أشرت لهذا زيادة في التذكير.

فوزي بن المرحوم
محمد تقي آل سيف
تاروت ـ القطيف
الأحد 27/ 10/ 1443

سطور تعريفية

اسمه: علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام

صفته: الإمام العاشر للمسلمين من أئمة أهل البيت المعصومين.

كنيته: أبو الحسن.

لقبه: الهادي، النقي، الناصح.

عمره الشريف: 42 سنة.

ولادته: في المدينة المنورة.

شهادته: في سامراء - العراق.

سيرة الإمام علي الهادي
من الميلاد إلى الاستشهاد

1/ ميلاده المبارك وعمره الشريف:

كأبيه محمد الجواد عليه السلام كانت ولادته في شهر رجب كما هو الأقرب[1]. وذلك في سنة 212هـ[2]، في المدينة المنورة بقرية صريا الزراعية التي أسسها جده الأكبر الإمام موسى بن جعفر الكاظم. وحيث أنه استشهد سنة 254هـ فيكون عمره الشريف على هذا 42 سنة.

والدته المكرمة هي: سمانة المغربية[3]، ويكفي في شأنها وفضلها ما روي عنه عليه السلام من قوله: «أمّي عارفة بحقّي، وهي من

(1) وقد أشرنا إليه عند الحديث عن ولادة أبيه، في كتابنا (الأعظم بركة: الإمام محمد الجواد) مستفيدين من الدعاء المشهور (إني أسألك بالمولودين في رجب: محمد بن علي الثاني وابنه علي بن محمد المنتجب..) فليرجع إليه القارئ العزيز.

(2) كما ذكره الشيخ الكليني والمفيد والطوسي والطبرسي، وقد أشار إلى مصادر ذلك العطاردي في مسند الإمام الهادي.

(3) هي من الجواري، ويعبر عنها وعن أمثالها في الفقه بأم ولد، وقد شرحنا في كتابنا كاظم الغيظ: الإمام موسى بن جعفر عليه السلام هذه الظاهرة في حياة الأئمة من زمان الإمام الكاظم إلى زمان الإمام المهدي في أمهاتهم عليهم السلام، وما هو الغرض منها، فراجع.

أهل الجنّة، ما يقربها شيطان مريد، ولا ينالها كيد جبّار عنيد، وهي مكلوءة بعين اللّه التي لا تنام، ولا تتخلّف عن أمّهات الصدّيقين والصالحين»[1].

2/ نشأته

بدأ الإمام الجواد عليه السلام بالإشارة إلى تميز ابنه علي الهادي ووراثته لعلوم آبائه، واصطفائه للإمامة تصريحًا وتلويحًا بحسب ما يحتمله المستمع. وكان آخر ذلك ما رواه إسماعيل بن مهران في حوالي سنة 218هـ عندما جُلب الإمام الجواد عليه السلام بأمر المعتصم إلى بغداد قسرًا، حيث أخبر الإمام عليه السلام إسماعيل هذا بأنه يخاف عليه من هذه السفرة وأن «الأمر من بعدي إلى ابني عليّ»[2].

وكان منها ما رواه الصقر بن أبي دلف، قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي بن موسى الرضا عليهما السلام يقول: «الإمام بعدي ابني علي، أمره أمري، وقوله قولي وطاعته طاعتي، والإمام بعده ابنه الحسن أمره أمر أبيه وقوله قول أبيه وطاعته طاعة أبيه»[3].

وكان خلال السنوات الست الأولى من عمره الشريف، تحت الرعاية المباشرة لأبيه الجواد عليه السلام، وبالرغم من وجود إخوة

(1) المسعودي؛ علي بن الحسين: إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب/ 228، والطبري (الشيعي)؛ محمد بن جرير: دلائل الإمامة/ 410 .
(2) عطاردي؛ الشيخ عزيز الله: مسند الإمام الهادي عليه السلام/ 18.
(3) نفس المصدر/ 21.

كموسى المبرقع وأخوات إلى جانبه، إلا أنه لمّا كان المصطفى للإمامة فقد كان امتداد أبيه وحامل علمه، والحجة على أمته.

نحتمل أنه لأجل الحفاظ عليه من خطر المعتصم العباسي الذي جاء للحكم سنة 218 هـ، وكان معروفًا بالشراسة وعدم حبه للعلم كما سبق وأن بيَّنّا ذلك في كتابنا عن الإمام الجواد عليه السلام، فقد أبقى الإمام الجواد ولده عليًّا الهادي عليهما السلام في المدينة المنورة ولم يأخذه معه إلى بغداد في سفرته الأخيرة التي استمرت سنتين وكان في آخرها اغتياله على يد المعتصم سنة 220 هـ.

3/ تصدي الإمام الهادي للإمامة:

مع شهادة أبيه محمد الجواد عليهما السلام، تصدى أبو الحسن علي الهادي للإمامة الإلهية وعمره نحو ثمان سنوات حيث كانت ولادته سنة 212هـ وشهادة أبيه سنة 220هـ كما مرَّ بنا في السطور الماضية.

وهنا لا بدَّ من تثبيت بعض التواريخ وتأكيدها لكيلا يحصل الخلط، كما حصل عند بعض الكتّاب والمؤلّفين فإنهم:

أ/ اختلفوا في مدة بقائه عليه السلام مع أبيه حيث قال بعضهم بأنها كانت ستّ سنين وخمسة أشهر أو أنها ستّ سنين وشهور والصحيح الذي نذهب إليه أنها كانت ثمان سنوات بالنحو الذي قدمناه. وهو الذي قاله الطبرسي أيضا[1].

(1) اللجنة العلميّة في مؤسّسة وليّ العصر للدراسات الإسلاميّة: موسوعة الإمام الهادي عليه السلام 1/ 77.

ب/ كذلك اختلفوا في مدة إمامته من بدايتها إلى شهادته عليه السلام بين قول بأنها كانت ثلاثين سنة كما عن التستري[1] أو أنها ثلاث وثلاثون، والصحيح عندنا أنها أربع وثلاثون، حيث قضى مسموما في سنة 254هـ وعمره الشريف كان 42 سنة كما قدمنا وقد تولى الإمامة وعمره ثمان سنوات، بالطبع هذا مع غض النظر عن عدد أشهر وأيام في كل منها.

وهذا الأساس الذي سنعتمد عليه في النقطتين.

وبالرغم من شهادة الإمام الجواد عليه السلام في بغداد إلا أن ابنه عليًّا الهادي قد أخبر عنها في يومها وهو في المدينة وحدث بذلك بعض أصحابه، وذهب إلى بيت أبيه وعماته وأخبرهن، بأصل الخبر، وحيث أنه قد لا يصلح أن يخبر هؤلاء وأولئك بأنه من العلم الخاص الذي أطلعه الله عليه، لا سيما وهو في تلك السن المبكرة، فقد وجهه بنحو آخر وهو أنه تداخله استكانة وخضوع لله لم يحصل له من قبل..

وقد ذكر ذلك عنه هارون بن الفضل قال: رأيت أبا الحسن (الهادي) عليه السلام في اليوم الذي مضى فيه أبو جعفر (الجواد) يقول: انّا للّه وإنّا إليه راجعون.. مضى أبو جعفر صلّى اللّه عليه (يعني والده).

(1) اللجنة العلميّة في مؤسّسة وليّ العصر للدراسات الإسلاميّة: موسوعة الإمام الهادي عليه السلام 1/ 77.

فقيل له: فكيف عرفت ذلك؟ قال: تداخلني ذلٌّ واستكانة لم أكن أعهدها.

وكذلك فقد انصرف إلى منزل العائلة كما روى الحسن بن علي الوشاء قال: حدّثتني أم محمد مولاة أبي الحسن الرضا عليه السلام قالت: جاء أبو الحسن عليه السلام وقد ذعر حتى جلس في حجر أم أبيها بنت موسى الكاظم عمّة أبيه فقالت له: ما لك؟

فقال لها: مات أبي ـ واللّه ـ الساعة.

فقالت: لا تقل هذا!.

قال: هو ـ واللّه ـ كما أقول لك.

فكتبنا الوقت واليوم فجاءت وفاته عليه السلام وكان كما قال عليه السلام[1].

4/ لم تُثِر إمامة الهادي عليه السلام في صغره إشكالًا:

بخلاف إمامة أبيه الجواد عليه السلام لم تثر إمامته إشكالا أو سؤالا بين الشيعة، أو ترددًا فيهم، بل كان القبول بها سلسا فلم نشهد اعتراضا كالذي حصل في وجه أبيه عليهما السلام، أو تشكل تيارات مخالفة، ولعل ذلك راجع إلى أن فترة الإمامة التي بقي فيها أبوه الجواد عليه السلام، اسقطت السؤال بشكل كامل على المستويين النظري والعملي كما ذكرنا ذلك في كتابنا (الأعظم بركة؛ الإمام الجواد)، وقد لخصها

(1) المسعودي: إثبات الوصية/ 230.

الفقيه الهاشمي علي بن الإمام جعفر الصادق بقوله: ماذا أصنع إن كان الله لم ير هذه الشيبة أهلا للإمامة ورأى هذا الغلام أهلا لها؟

فكان الأمر على مستوى الشيعة محسوما وقد عرفوا أن الإمامة الإلهية ليست بطول القامة ولا ضخامة الجسم ولا شيخوخة العمر وإنما هي اصطفاء إلهي يتعالى على المقاييس البشرية التي تؤهل - في ظنهم - هذا وتؤخر ذاك!

بل ربما أكّد الإمام الجواد عليه السلام قطعا لكل شك على أن أمر الإمامة صائر إليه مع أنه كان في ذلك الوقت ابن سبع سنين فعن محمّد بن إسماعيل بن بزيع قال: قال لي أبو جعفر (الجواد) عليه السلام: يفضي هذا الأمر إلى أبي الحسن وهو ابن سبع سنين. ثمّ قال: نعم! وأقلّ من سبع سنين كما كان عيسى عليه السلام.[1]

وقد صرح بذلك علي بن مهزيار وهو من ثقات الإمام الجواد عليه السلام ووكلائه، فقال: قلت لأبي الحسن (الهادي) عليه السلام: إنّي كنت سألت أباك عن الإمام بعده فنصّ عليك.[2]

(1) المسعودي: إثبات الوصية/ 228.

(2) اللجنة العلمية: موسوعة الإمام الهادي 1/ 132 عن كفاية الأثر للخزاز القمي الذي نقل عشرات الأحاديث في النص على إمامته، بدءا من رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام ثم الأئمة من بعده إلى زمان أبيه الجواد عليه السلام.

5/ ردة فعل المعتصم العباسي على إمامة الهادي:

لاحظنا في سيرة المعصومين عليهم السلام أن الحكام (ولا سيما العباسيين) قد اختلفت ردود فعلهم تجاه تولي الأئمة أمر الإمامة فعليا، فبينما أمر المنصور العباسي واليه على المدينة أن يقتل من أصبح وصيًّا للإمام جعفر الصادق عليه السلام وإمامًا بعده، لولا خطة محكمة كان قد أعدها الإمام الصادق عليه السلام كفلت ـ بعد حفظ الله ـ أن يسلم الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وقريب من ذلك كانت خطة هارون العباسي مع الإمام علي بن موسى الرضا، إلا أن طريقة المأمون العباسي اختلفت حيث حاول (احتواء) الإمام بزعمه، و(تحييده) عن شيعته في المدينة وعزله عنهم بجلبه إلى بغداد لبعض الوقت، ومحاولة جعله جزءًا من حواشي الخليفة وإظهار اهتمامه به!

أما في ما يرتبط بالمعتصم العباسي (محمد بن هارون) فقد فكر ـ بسقيم رأيه ـ أن عليّا الهادي ما دام صغير السن (8 سنوات) فإن توكيل أحد علماء مدرسة الخلفاء بتعليمه وتثقيفه سيخرجه من دائرة علم آبائه إلى دائرة أخرى، وفصله عن شيعته وأصحاب أبيه سيشتت الشيعة حيث لا يوجد لديهم محور يدورون حوله، لا سيما وأن أخاه (موسى المبرقع) لم يكن محل ثقة شيعة أبيه ولم يحمل من العلم ما ينبغي، وكان أصغر منه سنًا!

فهي ضربة في رأي المعتصم في الصميم، تقضي على التشيع كجماعة ومدرسة، وتنهي خط الإمامة عندما يتثقف ابن الجواد بثقافة وعلم منسجم مع تيار الخلافة الذي لا يرى لآبائه فضلاً.

نقول بسقيم رأيه هذا إذا كان عنده رأي[1] حتى يوصف بالسقم! لأننا رأينا سائر الخلفاء العباسيين ـ مع عدائهم ـ لأئمة الهدى عليهم السلام إلا أنهم كانوا يعرفون تميزهم وعلمهم الفائق على من عداهم، وأنهم «زُقوا العلم زقًّا».[2]

بناء على هذا فقد أمر المعتصم العباسي واليَه على المدينة عمر بن الفرج الرخجي بتنفيذ هذه الخطة التي أشار إليها المسعودي في إثبات الوصية[3] فقال: قدم عمر بن الفرج الرخجي[4] المدينة

(1) ذكرنا شيئًا من شخصيته وكرهه للعلم وبلادته في الأمور النظرية في كتابنا: الأعظم بركة؛ الإمام محمد الجواد.

(2) ابن منظور: لسان العرب: زق الطائرُ الفرخَ يزقه زقًّا وزقزقه غرّه وأطعمه بفيه.

(3) المسعودي: إثبات الوصية 230.
ولا يضر بذلك تفرّد المسعودي بنقلها لموقعه المتميّز بين المؤرخين ومعرفته بالوضع الشيعي الخاص لكونه منهم كما ذكرنا ذلك في ترجمته في كتابنا أعلام الإمامية، وأنه إذا كان يمارس التقية في مروج الذهب فهو هنا لا يمارسها، على أن الحادثة تأتي في تمام الانسجام مع الوضع آنئذ.

(4) عمر بن الفرج الرخجي: من أسوأ نماذج خدمة السلطان، عبر عنه بعض الباحثين بأنه رجل المهمات القذرة ويكفي أنه استعمله المتوكل «على المدينة ومكة فمنع آل أبي طالب من التعرض لمسألة الناس، ومنع الناس من البرّ بهم، وكان لا يبلغه أن أحدًا أبر أحدًا منهم بشيء وإن قل إلّا أنهكه عقوبة، وأثقله غرمًا، حتى كان القميص يكون بين جماعة من العلويات يصلين فيه واحدة بعد واحدة، ثم يرقعنه ويجلسن على مغازلهن عواري حواسر» كما في مقاتل الطالبيين 479 وسيأتي في الصفحات القادمة ذكر بعض سيئاته.

حاجّا بعد مضي أبي جعفر (الجواد) عليه السلام فأحضر جماعة من أهل المدينة المخالفين والمعاندين لأهل بيت رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم فقال لهم: ابغوا لي رجلًا من أهل الأدب والقرآن والعلم لا يوالي أهل هذا البيت لأضمّه الى هذا الغلام وأوكله بتعليمه وأتقدّم إليه بأن يمنع منه الرافضة الذين يقصدونه ويمسونه.

فسمّوا له رجلًا من أهل الأدب يكنى أبا عبد اللّه ويعرف بالجنيدي متقدمًا عند أهل المدينة في الأدب والفهم ظاهر النصب والعداوة فأحضره عمر بن الفرج وأسنى له الجاري من مال السلطان وتقدّم إليه بما أراد وعرّفه ان السلطان أمره باختيار مثله وتوكيله بهذا الغلام.

قال: فكان الجنيدي يلزم أبا الحسن بِصِرْيا فاذا كان الليل أغلق الباب وأقفله وأخذ المفاتيح إليه.

فمكث على هذا مدّة وانقطعت الشيعة عنه وعن الاستماع منه والقراءة عليه. ثم إني لقيته في يوم جمعة فسلّمت عليه وقلت له: ما فعل هذا الغلام الهاشمي الذي تؤدبه؟

فقال ـ منكرًا عليّ ـ: تقول الغلام! ولا تقول الشيخ الهاشمي؟! أنشدك اللّه هل تعلم بالمدينة أعلم مني؟

قلت: لا.

قال: فإنّي واللّه أذكر له الحزب من الأدب أظنّ أني قد بالغت فيه فيملي عليّ بابًا فيه أستفيده منه. ويظنّ الناس أني أعلّمه، وأنا واللّه أتعلم منه[1].

كانت نتيجة (الخطة البائسة) التي وضعها المعتصم العباسي أن قال الجنيدي بإمامة الإمام الهادي عليه السلام، بدلًا من أن يغير فكرة الإمام وثقافته! وأصبح من الدعاة اليه متعجبًا من هذا الرجل الذي «مات أبوه بالعراق وهو صغير بالمدينة ونشأ بين هذه الجواري السود، فمن أين علم هذا؟» وأن الجنيدي كان يذكر له «من السور الطوال ما لم يبلغ إليه فيهذّها بقراءة لم أسمع أصحّ منها من أحد قط بصوت أطيب من مزامير داود النبي عليه السلام الذي إليها من قراءته يضرب المثل».[2]

لا يذكر التاريخ المدة التي بقي فيها الإمام عليه السلام في ما يشبه الحجز والاعتقال المنزلي الذي فرضه المعتصم العباسي بواسطة واليه الرخجي، لكننا لا نعتقد أنها كانت طويلة إذ ما لبث أن ظهر على (المعلم الجنيدي) آثار الإعجاب بشخصية الإمام، والإيمان بعلمه الاستثنائي، ومن الطبيعي في هذه الحالة أن تنهي الحكومة هذه المهمة!!

(1) المسعودي: إثبات الوصية 231 .
(2) نفس المصدر.

إلا أنه عليه السلام بعد هذه المدة عاش في المدينة في وضع طبيعي، وذلك لما نعتقده من أن المعتصم العباسي انشغل بأمور أخر في بغداد وأطراف الدولة؛ فمن جهة وعلى أثر تصاعد غضب الناس من تجاوزات الميليشيا التركية التي شكلها لحماية شخصه وحكومته، حيث تغولت هذه الميليشيا العسكرية واستقوت يومًا بعد يوم من أول أيام خلافته سنة 218 هـ، إلى أن أصبحت لا تطاق في تدخلها في حياة الناس[1]، فصار العزم على نقلها والانتقال معها إلى سامراء (130 كم عن بغداد)، وبدئ في تخطيط سامراء

(1) الطبري؛ محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري 9/ 18 يذكر من ذلك موارد منها: أنه رئي المعتصم راكبًا منصرفًا من المصلى في يوم عيد أضحى أو فطر، فلما صار في مربعة الحرشى، نظر إلى شيخ قد قام إليه، فقال له: يا أبا إسحاق، قال: فابتدره الجند ليضربوه، فأشار إليهم المعتصم فكفهم عنه، فقال للشيخ: مالك! قال: لا جزاك الله عن الجوار خيرًا! جاورتنا وجئت بهؤلاء العلوج فأسكنتهم بين أظهرنا، فأيتمت بهم صبياننا، وأرملت بهم نسواننا، وقتلت بهم رجالنا! والمعتصم يسمع ذلك كله، قال: ثم دخل داره فلم يَرَ راكبًا إلى السنة القابلة في مثل ذلك اليوم، فلما كان في العام المقبل في مثل ذلك اليوم خرج فصلى بالناس العيد، ثم لم يرجع إلى منزله ببغداد، ولكنه صرف وجه دابته إلى ناحية القاطول، وخرج من بغداد ولم يرجع إليها..
وما ذكره ابن الأثير في الكامل لا يخرج عمّا ذكره الطبري. وكذلك يقول المسعودي: «وكانت الأتراك تؤذي العوام فى مدينة السلام بجريها الخيول في الأسواق وما ينال الضعفاء والصبيان من ذلك، فكان أهل بغداد ربما ثاروا ببعضهم فقتلوه عند صدمه لامرأة أو شيخ كبير أو صبي أو ضرير. فعزم المعتصم على النقلة منهم». ويقول أيضًا بنفس المعنى «وكان السبب في ذلك أن أهلها كرهوه وتأذوا بجواره حين كثر عبيده من الأتراك وغيرهم من الأعاجم، لما كانوا يلقونه منهم ومن غلظتهم، وربما وثبت العامة على بعضهم فقتلوه لصدمهم إيّاهم في حال ركضهم، فأحب التنحي بهم والانفراد عن مدينة السلام» ونقل تلك النصوص وغيرها أحمد عبد الباقي في كتابه: سامراء عاصمة الدولة العربية.

وبنائها منذ سنة 221هـ، وكان ممن الطبيعي أن ينشغل بهذا المشروع الكبير عما سواه. ويحتمل بعض المؤلفين[1] أنه تمّ الانتقال إليها سنة 222 هـ.

وكذلك شغله عن التعرض للإمام عليه السلام، انشغاله بمحاربة من قام ضده في حركات داخلية كما حصل مع بابك الخرمي (222هـ) والمازيار في طبرستان (224 هـ) وتوسط بينهما ما قيل من معركة عمورية مع الروم[2] في سنة (223 هـ) وما جاءت سنة (227 هـ) إلا وقد هلك المعتصم العباسي بالنحو الذي قال عنه دعبل الخزاعي وعمن خلفه:

خليفة مات لم يحزن له أحد وآخر جاء لم يفرح به أحد

6/ الإمام في زمان ما بعد المعتصم العباسي:

كان للمعتصم ثلاثة أبناء تولوا الخلافة: هارون المعروف بالواثق، وجعفر المعروف بالمتوكل، وأحمد المعروف بالمستعين، وقد عاصر الإمام الهادي عليه السلام هؤلاء الحكام جميعًا، واستشهد بواسطة المعتز العباسي بن المتوكل الذي خلعه الأتراك ومات سنة 255هـ.

(1) عبد الباقي؛ أحمد: سامراء عاصمة الدولة العربية في عهد العباسيين: نسخة الكترونية.

(2) نعتقد أن تمّ النفخ في بالون تلك المعركة كثيرًا وأن حقيقتها هي غير المسجلة في صفحات التاريخ الرسمي! ولتحقيق الحال فيها موضع آخر.

بعد موت المعتصم العباسي، صارت الخلافة لابنه الواثق، ولا ينقل التاريخ مواقف سيئة للواثق تجاه الإمام الهادي عليه السلام، كما أن خلافة الواثق لم تستمر طويلا إذ أنه تولاها سنة 227هـ وانتهت سنة 232هـ أي لم تستمر أكثر من خمس سنوات! وهذه ظاهرة سوف نلاحظها في هذه المرحلة من عمر الخلافة العباسية، فباستثناء المتوكل العباسي الذي استمرت خلافته 15 سنة، سنلاحظ أن باقي الخلفاء كانت مدد خلافتهم قصيرة (ما بين خمس سنوات لبعضهم وبين ستة أشهر لبعضهم الآخر) وهذا يشير إلى نقاط كثيرة؛ منها شدة الصراع بين المرشحين للخلافة، ما دامت لا تشترط أي شرط سوى كونه ابن الاسرة، ومن صلب فلان! ومنها كثرة تدخل الميليشيا التركية التي جاؤوا بها لحمايتهم من الناس فاحتاجوا إلى الناس ليحتموا بهم منها! ولات حين مناص! ومنها سيطرة الضعف على هذه الخلافة..

وقد يشير إلى ما ذكرنا من عدم العثور على مواقف سلبية حادة من جهة الواثق تجاه الإمام وشيعته، أنه هو الذي صلى ـ ظاهرًا ـ على الإمام الجواد كما نقله عنه ابن الأثير.[1] بل ربما نقل عن طريقته أنها كانت مخالفة لأبيه المعتصم، حتى شبه الواثق بعمه

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ 6/ 455: وصلّى عليه الواثق، وكان عمره (الجواد) خمسًا وعشرين سنة، وكانت وفاته في ذي الحجّة.

المأمون حتى سمي بالمأمون الصغير في إشارة إلى محبته للعلم والمعرفة، وقد نقل عنه أنه عندما تولى الحكم «أحسن إلى الناس واشتمل على العلويين وبالغ في إكرامهم والإحسان إليهم والتعهد لهم بالأموال»[1] ولا نريد أن نقبل كل ما ورد في هذا النص الذي اعتمده ابن الأثير ونقله عنهم من بعده، وإنما نشير إلى أن الانطباع العام عن الواثق العباسي لم يكن سلبيًا مع أهل البيت عليهم السلام.

بل ربما يظهر من نقل الخطيب البغدادي أنه كان كعمه المأمون يعتقد بعلم أهل البيت الاستثنائي، وبالخصوص الإمام الهادي عليه الذي كان عمره الشريف حين تولى الواثق الخلافة 15 سنة، فقد نقل الخطيب البغدادي خبرا جاء فيه أنه قال يحيى بن أكثم القاضي في مجلس الواثق ـ والفقهاء بحضرته ـ: من حلق رأس آدم حين حج؟ فتعايا القوم عن الجواب، فقال الواثق: أنا أُحضِركم من ينبئكم بالخبر، فبعث إلى علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فأحضر، فقال: يا أبا الحسن من حلق رأس آدم؟ فقال: سألتك بالله يا أمير المؤمنين إلا أعفيتني، قال: أقسمت عليك لتقولن، قال: أما إذ أبيت فإن أبي حدثني عن جدي عن أبيه

(1) ابن الأثير 7/ 31.

عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: قال رسول اللّه ﷺ: أمر جبريل أن ينزل بياقوتة من الجنّة، فهبط بها، فمسح بها رأس آدم عليه السلام، فتناثر الشعر منه، فحيث بلغ نورها صار حرمًا..[1]

فإن قوله ـ إذا تمّ الخبر ـ أنا أحضركم من ينبئكم بالخبر! يشير إلى ما ذكرناه من معرفته بعلم آل محمد الذي يعجز عنه غيرهم! بالطبع لا نريد أن نقول إنه كان مؤمنًا بهم! إذ لن يكون حاله أحسن من حال عمه المأمون العباسي الذي كان على اطلاع تفصيلي بعلم الإمام الرضا والجواد عليهما السلام ومع ذلك فقد ارتكب من الإمام الرضا ما ارتكب!.

ولعل عدم خوض الأئمة عليهم السلام وشيعتهم في مسألة خلق القرآن

(1) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ت بشار (13/ 518)، والشيخ الكليني في الكافي 4/ 195 كما سيأتي بعد قليل.. قال ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة 6/ 488: موضوع.. أقول: هذا من غرائبه حيث حكم بأنه موضوع ولا أعلم مبرر ذلك فإن أقصى ما يستطيع أن يحكم عليه بناء على عدم سلامة السند هو أن يكون الخبر ضعيفا! ولذلك وجدنا السيوطي وغيره قال عن الخبر وقد استشهد به: بسند فيه من لا يعرف! أما الحكم هكذا بشكل جازم بأنه موضوع فلا نعلم وجها له، إلا ما قد يتراءى من مضمونه حيث يشتمل على عجز فقهاء المذهب الآخر عن الجواب وقيام الإمام علي الهادي بالجواب عنه وهو ما لا يرضى به الألباني! وعلى كل حال فبناء على كونه موضوعا كما قال، يبقى السؤال الذي عجز عنه أولئك باقيًا ولم يجد الجواب منذ أن سئل عنه مقاتل بن سليمان (توفي: 150هـ) عندما حاول أن يقف موقف علي بن أبي طالب في قوله: سلوني قبل أن تفقدوني! فكان أن سأله سائل نفس السؤال، وكسر كبرياء غروره به عندما لم يستطع الإجابة. وإلى زمان الألباني.. من حلق رأس آدم؟
وقد رواه الشيخ الكليني في الكافي عن الإمام الجواد عليه السلام: فقال: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن محمد العلوي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن آدم حيث حج: بما حلق رأسه ؟ فقال: نزل عليه جبرئيل عليه السلام بياقوتة من الجنة فأمرّها على رأسه فتناثر شعره.

والفتنة التي تبعتها،[1] وربما كون كلمات الأئمة في ذلك كقولهم (كل ما عدا الله مخلوق) وهو ما قد يفهمه الواثق وحكومته عدم معارضة لهم، ساهمت في تهدئة الموقف من جانب الحكم العباسي في وقته ضد الأئمة وشيعتهم، وإلا فإن مواقف الواثق المتعنتة والشديدة تجاه مخالفيه في هذه المسألة، والتي وصلت إلى القتل، تمامًا مثلما عمل أخوه المتوكل العباسي في الطرف الآخر، لا يرضى عنه أهل البيت عليهم السلام ولا يتفق مع طريقتهم!

نعم يبقى في الخبر الذي نقله الخطيب البغدادي سؤال وهو أنه أين كان ذلك المجلس؟

هل هو في سامراء بعدما أنشأها المعتصم وانتقل إليها سنة 222هـ ونقل إليها العاصمة؟ هذا الاحتمال يضعفه أن الإمام الهادي عليه السلام كان في المدينة إلى أن أشخصه إليها المتوكل العباسي سنة 243هـ (بعد خلافة الواثق بمدة) على أثر وشاية بريحة (ابن اترجة) العباسي وهو ما سيأتي الحديث عنه!

أو أنه في بغداد أيام كون الواثق فيها وفي أثناء خلافة والده المعتصم فإنه كان يستخلفه عليها عندما يخرج منها، كما أشار إليه ابن الأثير في خروج المعتصم للقاطول[2] قبل أن يبدأ بعمارة

(1) سيأتي في الصفحات القادمة تعريف بأصل المشكلة واستهدافاتها وموقف المعصومين منها.
(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ6/ 452.

سامراء؟ هذا أيضًا محتمل. ويبقى هل أن الإمام الهادي عليه السلام كان في بغداد حينها أو أنه أرسل إليه أن يأتي من المدينة؟

وهناك احتمال أن يكون المجلس هذا قد حصل في مكة أو المدينة، أثناء سفر الواثق إلى الحج أو زيارة النبي، وهو الذي مال إليه الشيخ الكوراني،[1] حيث أيّد قوله هذا بأن الواثق قد حج[2] مرة واحدة[3] وكانت في سنة 231هـ وهذا يعني أن الإمام عليه السلام كان دون العشرين من العمر.

(1) الإمام علي الهادي عليه السلام، الشيخ علي الكوراني العاملي، ص 15

(2) تذكر المصادر الرسمية في التاريخ ولا سيما تلك التي تنتمي للأشاعرة بأن الواثق لم يحج بعلة أن طريق مكة لا يوجد فيه الماء، ويحتمل أن يكون ذلك جزءًا من تشويه صورة أعدائهم الخلفاء الذين قالوا بخلق القرآن خلافًا لما يراه أولئك من قدمه، ونلحظ هذا عند الحديث عن قتل الواثق لأحمد بن أبي نصر الخزاعي (وهو على مسلك أهل الحديث ومخالف للواثق الذي كان أقرب إلى المعتزلة في جملة آرائه) وكيف أنه تم تلميع صورة الخزاعي حيث حضر (شهادته) رسول الله والخلفاء، وما قيل فيه من المدح، في مقابل قاتله وهو الواثق فراجع البداية والنهاية لابن كثير لترى من هذا الكثير!

(3) وقد نقل الشيخ الكوراني ذلك عن ابن تغري في مورد اللطافة 1/ 153: «وحج الواثق مرة، ففرق بالحرمين أموالًا عظيمة، حتى لم يبق بالحرمين فقير». واليعقوبي: 2/ 483. أقول: ما هو موجود في تاريخ اليعقوبي لا يشير إلى تحقق الحج منه وإنما أنه عزم عليه ولم يصح حجه، والنص هو هكذا «.. وأراد الواثق الحج في هذه السنة، وصحت عزيمته، فتأخر حجه، وأذن لأمه فخرجت.. الخ»، نعم في مورد آخر أشار اليعقوبي إلى أنه فرق أموالًا في الحرمين، لكن هذا لا يثبت ما هو المطلوب إذ أن في النص أيضًا أنه فرق في سائر البلاد «تاريخ اليعقوبي، ج 2، اليعقوبي، ص483 وفرق الواثق أموالًا جمة بمكة والمدينة وسائر البلدان على الهاشميين وسائر قريش والناس كافة، وقسم في أهل بغداد قسمًا كثيرة مرة بعد أخرى على أهل البيوتات وعلى عامة الناس..» نعم في مورد اللطافة لابن تغري ورد النص بأنه حج وفرق في الحرمين أموالًا..

7/ الإمام علي الهادي عليه السلام زمان المتوكل العباسي:

لا ينقضي تعجب الناظر في حياة جعفر المتوكل بن المعتصم العباسي، الذي تولى الخلافة بعد أخيه الواثق وبعدما لم يرتض أركان الدولة مبايعة محمد (ابن الواثق) الذي توفي أبوه وهو لا يزال صغير السن! فجاؤوا بجعفر المتوكل عمه وكان مغضوبًا عليه من أخيه الواثق، وموضوعًا فيما يشبه العزل والإقامة الجبرية ووضع رقابة عليه مع تقليص صلاحياته إلى أدنى الدرجات..[1]

وليس هذا بالمهم كثيرًا عندنا إذ ليست أول قارورة كسرت في الإسلام! فالخلافة التي زويت عن أمير المؤمنين علي عليه السلام وعن أهل بيته كان من الطبيعي أن تنتهي هذه النهايات!

إنما المهم عندنا هو إلقاء نظرة على هذا (المتوكل!) الذي كان مجمع التناقضات، نظرا لأن إمامنا عليّا الهادي عليه السلام عاش معه الفترة الأطول من عمر إمامته صلوات الله عليه، والمتوكل هو الذي جلبه إلى سامراء وأبقاه فيها إلى أن مات المتوكل (232هـ ـ 247هـ) والإمام لا يزال في سامراء.

ـ فإن المؤرخين ينقلون من جهةٍ عنه أنه كان شابا مائعا له

(1) الطبري: تاريخ الطبري7/ 343 «فوكل عليه عمر بن فرج الرخجي ومحمد بن العلاء الخادم فكانا يحفظانه ويكتبان بأخباره في كل وقت..»

شعر طويل من خلفه، وكان يلبس زي المخنثين وهذا كان من أسباب غضب أخيه الواثق عليه، حتى أنه لما طلب جعفر (المتوكل) من أحد الوزراء أن يتوسط له عند الواثق ليرضى عنه، أمر بإحضار (المتوكل) وأمر بجز شعره على الصفر كما يقولون، وأخذ شعره وضرب به وجهه إهانة له. بل ربما وكل أشخاصًا يراقبونه لكيلا ينساق في ذلك الاتجاه المنحرف.[1]

فهذا نفسه سيصبح بين عشية وضحاها محيي السنة وقامع البدعة!

وبينما تراه يصطفي عبادة (المخنث)[2]حتى أصبح الجليس الرسمي لديوان الخلافة، تراه ينهك أحمد بن أبي نصر الجهضمي عقوبة لأنه نقل حديثًا في فضل أمير المؤمنين علي عليه السلام!

وفيما كان أمر شرب الخمر[3] ـ كأسلافه ـ برنامجا يوميًّا،

(1) المصدر نفسه/ 344 «فصار جعفر (المتوكل) إلى محمد بن عبد الملك يسأله أن يكلم له أخاه الواثق.. فكتب إلى الواثق حين خرج جعفر من عنده: يا أمير المؤمنين أتاني جعفر بن المعتصم يسألني ان أسأل أمير المؤمنين الرضا عنه في زي المخنثين له شعر قفا فكتب إليه الواثق ابعث إليه فأحضره ومُر من يجز شعر قفاه ثم مُر من يأخذ من شعره ويضرب به وجهه واصرفه إلى منزله..»

(2) ذكر عنه انه كان يؤتى كالمرأة ويعطي لمن يفعل ذلك المال!! راجع الكوراني: الإمام علي الهادي 21.

(3) حتى لقد قتل وهو على مائدة الخمر!

تراه يتحسس من زيارة المؤمنين لقبر أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام! لأن ذلك مخالف للسنة حيث لا تشد الرحال!! وتراه في نفس الوقت يقرب أهل الحديث والمجسمة والمشبهة!!

وعلى أي حال فإن هذا الشاب (المائع) الذي سيصبح في ما بعد (المتوكل على الله، أبو الفضل، أمير المؤمنين) قد تولى الخلافة في سن السادسة والعشرين، من غير أي مؤهل ديني أو دنيوي، ويكفيك أن تنظر إلى فهرس سريع لإنجازاته (!!) لترى كيف أصبح محيي السنة!

- فهو من بداية ولايته في سنة 232هـ كتب إلى الآفاق بالقول بتغيير ما كان عليه زمان الواثق والمعتصم والمأمون من القول بخلق القرآن وأن يعاقب القائلون بها..
- واستقدم إلى سامراء المحدثين وأجزل عطاياهم وأمرهم بأن يحدثوا بأحاديث الصفات (التشبيه) والرؤية (التجسيم)، فصار هؤلاء إلى المساجد والمدارس وانتشرت أحاديثهم، وهو ما نرى اليوم بعضه في كتب الحديث.

وفي المقابل فقد كان هذا المتوكل يعاقب من ينقل حديثا فيه إشارة لأهل البيت عليهم السلام، فممن طالهم عقابه في هذا علي بن نصر

الجهضمي،[1] فقد نقل ان رسول الله قال: (من أحبني وأحب هذين ـ يعني الحسن والحسين ـ وأحب أباهما وأمهما كان معي في درجتي في الجنة)، فلما عرف المتوكل بذلك أمر بأن يجلد ألف سوط!!.

(1) الذهبي؛ شمس الدين: سير أعلام النبلاء ـ ط الحديث (9/ 502): قال «عبد الله بن أحمد بن حنبل: حدثني نصر بن علي، أخبرني علي بن جعفر بن محمد حدثني أخي موسى، عن أبيه، عن أبيه، عن علي بن حسين، عن أبيه، عن جده أن النبي ﷺ أخذ بيد حسن، وحسين، فقال: «من أحبني، وأحب هذين، وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة».
قلت (الذهبي): هذا حديث منكر جدا. ثم قال عبد الله بن أحمد: لما حدث نصر بهذا أمر المتوكل بضربه ألف سوط، فكلمه جعفر بن عبد الواحد، وجعل يقول له: الرجل من أهل السنة، ولم يزل به حتى تركه، وكان له أرزاق، فوفرها عليه موسى.
قال أبو بكر الخطيب عقيبه: إنما أمر المتوكل بضربه لأنه ظنه رافضيا.
قلت: والمتوكل سني، لكن فيه نصب. وما في رواة الخبر إلا ثقة ما خلا علي بن جعفر، فلعله لم يضبط لفظ الحديث، وما كان النبي ﷺ من حبه وبث فضيلة الحسنين ليجعل كل من أحبهما، في درجته، في الجنة، فلعله قال: فهو معي في الجنة. وقد تواتر قوله ﷺ: «المرء مع من أحب» ونصر بن علي، فمن أئمة السنة الأثبات»
وتعليقنا عليه: **أولًا** أن استنكار الذهبي (جدا) للحديث إنما كان لأجل مضمونه ومحتواه، وهذه طريقة أتباع الخط الأموي في الطعن في الأحاديث فإنهم بالإضافة إلى إخفاء هذه الأحاديث قدر استطاعتهم يردونها بزعم أن أسانيدها غير صحيحة متى ما خالفت أفكارهم، وكان ينبغي أن يغيروا أفكارهم تبعًا لها لا أن يردوها.
وثانيًا: فإن تعليق أبي بكر الخطيب بأن المتوكل إنما أمر بضربه لأنه ظنه رافضيًا.. هو أسوأ من عمل المتوكل! وكأنَّ ضرب الرافضي (وهو الذي يروي فضيلة للحسنين) أمر عادي وطبيعي! وكأن المتوكل في ذلك معذور أو مأجور!
وثالثًا: قول الذهبي عن المتوكل أنه سنيٌّ لكنه فيه نصب! وكأن النصب وبغض أمير المؤمنين ﷺ جزء من التسنن يتعايش معه! هذا مع العلم بأنه في موضع آخر اعتذر عنه بأنه لم يثبت عن المتوكل النصب وبغض الإمام.. وفي موضع ثالث من كتبه ذكر أن الله غفر له ذلك بنصره السنة! فهو في رأي الذهبي تارة ليس ناصبيًا وعلى فرض أنه كذلك فما دام سنيًا فلا مشكلة في نصبه العداوة للإمام مع أن من (أبغضه فقد أبغض رسول الله وأبغض الله كما في روايات). وأخيرًا أنه مغفور له عند الذهبي ونظرائه ما دام قد دخل في اللعبة العبثية لخلق القرآن!

فلما أخبروا المتوكل وتوسطوا للجهضمي بأن هذا الرجل ليس من (الرافضة) وأنه لم يكن يعلم بأن (محيي السنة)لا يرضى بذكر مناقب أهل البيت! وبعد المحاولات تم تخفيض العقوبة إلى خمسمائة ثم أُلغيت بالوساطات.[1]

فهذه أيضًا من مناقبه وإنجازاته!!

- وأمر في سنة 236هـ بهدم قبر الحسين عليه السلام، وهدم ما حوله من الدور وتقدم بمنع زيارة القبر الشريف تحت طائلة العقوبة.[2]
- ولمحبته (!) للعلم والعترة النبوية فإنه في سنة 244هـ قتل أبا إسحاق يعقوب بن السكيت أعلم أهل زمانه بالعربية، حيث له أحد عشر كتابا أهمها إصلاح المنطق الذي قيل في شأنه ما نقل على جسر بغداد كتاب في اللغة أعظم منه، بالإضافة

(1) رواية فضيلة للحسنين ذنب عظيم! لكن زناه بابنة أحد وزرائه لا مشكلة فيه.. راجع الكوراني: الإمام الهادي 33/ قال روى الجاحظ في المحاسن/ 118، والتنوخي في نشوار المحاضرة 6/ 323 قصةً تدل على فسق المتوكل وتجبره، حيث أمر وزيره الرخجي في الليل أن يأتيه بابنته! قالا: «وُصِفت للمتوكل عائشة بنت عمر بن فرج الرخجي، فوجه في جوف الليل والسماء تهطل، إلى عمر أن احمل إليَّ عائشة، فسأله أن يصفح عنها فإنها القيمة بأمره، فأبى! فانصرف عمر وهو يقول: اللَّهم قني شر عبدك جعفر، ثم حملها بالليل فوطأها، ثم ردها إلى منزل أبيها..»

(2) تاريخ الطبري 9/ 185 ونفس النص نقله فيما بعد ابن الأثير في الكامل: «وفيها (سنة 235 هـ) أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي وهدم ما حوله من المنازل والدور، وأن يحرث ويبذر ويسقى موضع قبره، وأن يمنع الناس من إتيانه، فذكر أن عامل صاحب الشرطة نادى في الناحية: من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة بعثنا به إلى المطبق، فهرب الناس، وامتنعوا من المصير إليه، وحرث ذلك الموضع، وزرع ما حواليه».

إلى كونه «متقدمًا عند أبي جعفر الثاني وأبي الحسن عليهما السلام رواية ومسائل وقتله المتوكل لأجل التشيع وأمره مشهور، ثقة مصدقًا لا يطعن عليه»[1] والسبب أنه أمره بتعليم أولاده، ونظر يومًا إلى ولديه المعتز والمؤيد فقال لابن السكيت من أحب إليك هما أو الحسن والحسين؟ فذكر الحسنين بما هما أهل له، فأمر الأتراك فداسوا بطنه حتى مات!.[2]

- وكان يكفي البعض أن يهجو آل بيت النبي حتى يؤهله ذلك للولاية والإمارة، كما حصل مع أبي السِّمْطِ مَرْوانَ بْنَ أَبِي الجَنُوبِ.[3]

(1) الخوئي؛ أبو القاسم: معجم رجال الحديث 21/ 139.

(2) الكامل في التاريخ 6/ 166 لابن الأثير فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحاقَ النَّحْوِيُّ المَعْرُوفُ بِابْنِ السِّكِّيتِ، وكانَ سَبَبُ مَوْتِهِ أَنَّهُ اتَّصَلَ بِالمُتَوَكِّلِ، فَقالَ لَهُ: أَيُّهُما أَحَبُّ إِلَيْكَ المُعْتَزُّ والمُؤَيَّدُ، أَوِ الحَسَنُ والحُسَيْنُ؟ فَتَنَقَّصَ ابْنَيْهِ، وذَكَرَ الحَسَنَ والحُسَيْنَ، عَلَيْهِما السَّلامُ، بِما هُما أَهْلٌ لَهُ، فَأَمَرَ الأَتْراكَ فَداسُوا بَطْنَهُ، فَحُمِلَ إِلى دارِهِ، فَماتَ.

العجيب أن بعضهم يورد هذه القصة كدليل على أنه: يموت الفتى من عثرة بلسانه وليس يموت المرء من عثرة الرجل! وكأنه كان على ابن السكيت أن يفضل هذين الصبيين على سيدي شباب أهل الجنة! إنها لم تكن عثرة من ابن السكّيت وإنما كانت موقفًا واضحًا مقصودًا.

(3) «الكامل في التاريخ» (6/ 175):

«ذكر أن أبا السمط مروان بن أبي الجنوب قال: أنشدت المتوكل شعرًا ذكرت فيه الرافضة، فعقد لي على البحرين واليمامة، وخلع علي أربع خلع، وخلع علي المنتصر، وأمر لي المتوكل بثلاثة آلاف دينار، فنثرت علي، وأمر ابنه المنتصر وسعدا الإيتاخي أن يلقطاها لي، ففعلا، والشعر الذي قلته:

ملك الخليفة جعفر ... للدين والدنيا سلامه
لكم تراث محمد ... وبعدلكم تنفى الظلامه
يرجو التراث بنو البنات ... وما لهم فيها قلامه =

- وأكمل خطاياه - ولا كمال فيه ولا فيها - بسجنه الإمام الهادي عليه السلام، ولكن لم تطل مدة سجنه لأن المتوكل قد هلك بعدها بفترة قصيرة على يد ابنه محمد المنتصر بمساعدة ضباط العسكر التركي.

أرأيت هذه الإنجازات التي رشحته ليكون محيي السنة؟ وجعلت البعض يعده أحد أهم ثلاثة خلفاء في تاريخ الإسلام؟

8/ جلب الإمام الهادي إلى سامراء وفرض الإقامة عليه فيها:

وكان من أعظم سيئات المتوكل العباسي وكله سيئات وكلها عظيمة، أن جلب الإمام عليّا الهادي عليه السلام من مدينة جده المصطفى إلى سامراء، في سنة 243 هـ[1]، على رغم إرادته وبخلاف ما يحب.

وقد أشرنا في أكثر من موضع أن الأئمة عليهم السلام مع علمهم بمرادات الحكام وسياساتهم، وأن مثل المتوكل لا يقصد من جلب الإمام

= والصهر ليس بوارث والبنت لا ترث الإمامه

هل رأيت عزيزي القارئ بأي طريقة كانت تدار شؤون الأمة؟ انظر إلى هذا المؤهل الإداري الكبير للولاية على منطقتين كبيرتين (البحرين واليمامة): شعر ذكر فيه الرافضة - بالسب - فعقد له على البلدين المذكورين!

(1) يظهر ذلك من خلال تاريخ رسالة المتوكل إليه طالبا منه المجيء إلى سامراء. هذا ولكن ذهب بعض الباحثين ومنهم رسول جعفريان إلى أن ذلك كان في وقت أبكر فقال إن الإمام مكث في سامراء نحو عشرين عاما (وهذا يقتضي أن يكون قد أشخص إليها في سنة 234 حيث أن شهادته في سنة 254 هـ) ورد على تاريخ الرسالة الصريح في أنه 243هـ بأن هذا التاريخ هو تاريخ نسخ الرسالة!

إلا عزله عن شيعته في المدينة والكوفة وغيرها، ووضع في بلد آخر يكون غريبا عنه وفي شبه إقامة جبرية وتحت المراقبة، إلا أنهم مع ذلك لم يروا من الحكمة أن يواجهوا بشكل صارخ قد يؤدي إلى إعطاء المبرر الظاهري لقتلهم، أو خوضهم معركة مع أولئك الحكام تعطي الفرصة للحكام لإفناء شيعتهم. وهذا بخلاف ما كان عليه (الثائرون الحسنيون والحسينيون) يفعلونه، فكانت تنتهي ثوراتهم غالبا إلى الاصطدام المباشر مع الآلة العسكرية للخلافة وتنتهي إلى قتلهم وقتل أنصارهم.

وقد ذكر المسعودي في إثبات الوصية أنه «كتب بريحة العباسي صاحب الصلاة بالحرمين إلى المتوكل: أن كان لك في الحرمين حاجة فأخرج علي بن محمد منهما فانّه قد دعا إلى نفسه واتبعه خلق كثير. وتابع بريحة الكتب في هذا المعنى، فوجّه المتوكل بيحيى بن هرثمة..»[1] لحمل الإمام الهادي من المدينة إلى سامراء.

ولم نجد ـ كما قال الخزعلي[2] ـ ترجمة لبريحة هذا، والصحيح أن هناك خطأ أو تصحيفًا في الاسم، فإن المصادر الأخرى تشير إلى أن عبد الله بن محمد بن داوود بن عيسى بن

(1) المسعودي: إثبات الوصية 233.

(2) الخزعلي؛ الشيخ أبو القاسم: موسوعة الإمام الهادي 4/ 63 قال: بريحة العبّاسي لم نعثر على ترجمة له في الكتب الرجاليّة؛ نعم ذكر المسعوديّ أنّه صاحب الصلاة بالحرمين، وسعى بعليّ بن محمّد الهادي عليه السلام عند المتوكّل.

موسى العباسي[1] وكان والي المدينة تلك الفترة من قبل المتوكل هو الذي كان قد سعى بالإمام عليه السلام، وأرسل الرسائل للمتوكل يحرضه فيها، قائلا بأنه يدعو إلى نفسه وأن المتوكل إن كان له حاجة فيها فليخرج منها عليا الهادي.

وهو ما ذكره الشيخ المفيد رحمه الله في الإرشاد، وصرح به ابن الصباغ المالكي بقوله: «وحكي أنّ سبب شخوص أبي الحسن عليّ بن محمّد من المدينة إلى سُرّ مَن رأى أنّ عبد الله بن محمّد كان ينوب عن الخليفة المتوكّل الحرب والصلاة بالمدينة الشريفة فسعى بأبي الحسن إلى المتوكّل وكان يقصده بالأذى..»[2]

ووافقت تلك السعاية هوى في نفس المتوكل الذي كان

(1) وقد رأيت كلامًا في مكاتيب الأئمة 6/ 295 للشيخ الأحمدي الميانجي بتحقيق مجتبى فرجي في حاشية خبر عن عبد الله بن محمد بن داود هذا (ولا أعلم هل الحاشية للمؤلف أو للمحقق) يمكن أن يكون مفتاح هذه المسألة وهو قوله: والظاهر أنّ الصحيح: «ابن أتْرُجّة»، وهو عبد اللّه بن محمّد بن داوود الهاشميّ بن أترجة، من ندماء المتوكّل، والمشهور بالنصب والبغض لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقد قُتل بيد عيسى بن جعفر وعليّ بن زيد الحسنيين بالكوفة قبل موت المعتزّ بأيّام.
أقول هو كلام متين، وأن أساس التصحيف هو ما جاء في إثبات الوصية فالذين اعتمدوا عليه بشكل كامل وقعوا في هذا الخطأ وتم التعامل معه على أساس بريحة العباسي وهو لا وجود له في كتب الرجال والتاريخ. وقد أشار أيضًا إلى أن (ابن اترجة) هي كنية عبد الله بن محمد بن داود، محقق كتاب مقاتل الطالبيين أحمد صقر في فهرس أعلام الكتاب.
كما أن أبا جعفر البغدادي صاحب كتاب «المحبر» ص43 ذكر: أن المتوكل العباسي قد جعله على الحج في سنة 239 هـ، فقال: «وأقامه ـ الحج ـ في سنة تسع وثلاثين عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى بن موسى».

(2) ابن الصباغ المالكي؛ علي بن محمد: الفصول المهمة في معرفة الأئمة 2/ 388.

«يبغض عليًّا وذريته فبلغه مقام عليٍّ (الهادي) بالمدينة وميل الناس إليه فخاف منه»[1].

وكان الإمام عليه السلام على علم بما كان يرسله والي المدينة عبد الله بن محمد بن داود (ابن اترجة) للمتوكل من كتب كاذبة فيها السعاية والضغينة، فكتب للمتوكل في مقابل ذلك ما يشير إلى براءته من اتهامات والي المدينة.

وأثمر كتاب الإمام عليه السلام للمتوكل العباسي في إفساد مخطط والي المدينة في تحريض المتوكل، بل وفي إقدام المتوكل على عزله عن الولاية على المدينة (وهذا عند أهل السلطة بمثابة إنهاء مستقبله السياسي والدنيوي)، لكن المتوكل استثمر الفرصة ليطلب من الإمام أن يأتي إلى سامراء، وكتب له كتابًا[2] يشبه الحية؛ ليّن مسُّها قاتل سمُّها.

(1) سبط ابن الجوزي: تذكرة الخواص 322.

(2) الكليني: الكافي 1/ 549 وكان مما جاء فيه: «وقد رأى أمير المؤمنين صرف عبد الله بن محمد عما كان يتولاه من الحرب والصلاة بمدينة رسول الله صلى الله عليه وآله إذا كان على ما ذكرت من جهالته بحقك واستخفافه بقدرك وعندما قرفك به ونسبك إليه من الامر الذي قد علم أمير المؤمنين براءتك منه وصدق نيتك في ترك محاولته وأنك لم تؤهل نفسك له وقد ولى أمير المؤمنين ما كان يلي من ذلك محمد بن الفضل وأمره بإكرامك وتبجيلك والانتهاء إلى أمرك ورأيك والتقرب إلى الله وإلى أمير المؤمنين بذلك وأمير المؤمنين مشتاق إليك يحب إحداث العهد بك والنظر إليك، فإن نشطت لزيارته والمقام قبله ما رأيت شخصت ومن أحببت من أهل بيتك ومواليك وحشمك على مهلة وطمأنينة، ترحل إذا شئت وتنزل إذا شئت وتسير كيف شئت وإن أحببت أن يكون يحيى بن هرثمة مولى أمير المؤمنين ومن معه من الجند مشيعين لك، يرحلون برحيلك ويسيرون بسيرك والامر في ذلك إليك..

وكان من الطبيعي مع هذا أن يرحل الإمام عن مدينة جده، لما سبق أن ذكرناه في السطور السابقة من أن الأئمة عليهم السلام لم يكونوا دعاة مواجهة صارخة، وأنهم كانوا يدفعون الأمور بالرفق قدر الإمكان وأن لا يجعلوا لأولئك الطغاة سبيلًا عليهم وعلى أتباعهم.

متى جُلب الإمام إلى سامراء؟

أشار الشيخ المفيد رحمه الله في كتابه الإرشاد[1] والكليني في الكافي إلى أن ذلك كان في سنة 243هـ وهذا يعني أنه بقي فيها مع المتوكل العباسي نحو أربع سنوات، حتى قتل المتوكل في سنة 247هـ على يد ابنه المنتصر وأنصاره من رؤساء الأتراك.. وهو الصحيح كما نعتقد.

غير أن بعض الباحثين ومنهم الشيخ رسول جعفريان، ووافقه في ذلك الشيخ جعفر المهاجر[2] ـ مشيرًا إلى كلام الأول ودليله ـ رأى أن استقدام الإمام وجلبه إلى سامراء كان في سنة 233هـ وهذا يعني أنه بقي في سامراء حوالي عشرين سنة حتى

(1) المفيد؛ محمد بن النعمان: الإرشاد2/ 310 والكليني في الكافي1/ 549: محمد بن يحيى، عن بعض أصحابنا قال: أخذت نسخة كتاب المتوكل إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام من يحيى بن هرثمة في سنة ثلاث وأربعين ومائتين وهذه نسخته.

(2) المهاجر؛ د. شيخ جعفر: الإمام الهمام علي الهادي 46.

شهادته، وخطّأ الشيخ المفيد في التاريخ الذي حدده بالقول إن هذا التاريخ كان «إشارة إلى السنة التي استنسخ فيها أحد الشيعة رسالة المتوكل إلى الإمام، وأنه في تلك السنة 233هـ كتب عبدالله بن محمد الهاشمي رسالة إلى المتوكل جاء فيها: إذا كان لك في الحرمين حاجة فأخرج علي بن محمد منها فإنه دعا إلى نفسه وتبعه خلق كثير، ومن بعد هذا أنفذ المتوكل يحيى بن هرثمة ليأتيه بالإمام الهادي إلى سامراء»[1]

ونعتقد أن ما ذكره المفيد وأشارت إليه الرسالة هو الصحيح لجهات:

أ/ أننا نستبعد أولًا أن يكون المتوكل الذي قد تولى الخلافة في 24/ 12/ 232هـ أي نهاية السنة أن يفتتح الأمر باستقدام واستجلاب الإمام عليه السلام خلال عدة شهور!

ب/ إن عبد الله بن محمد بن داود الهاشمي كان على الحرمين بعد هذا التاريخ (233هـ) بسنوات فإنه يذكر ابن حبيب البغدادي في «المحبر» (ص43) أنه كان على الحج[2] في سنة 239هـ، مع أن المذكور في رسالة المتوكل إلى الإمام الهادي أنه قد عزل عبد الله هذا (ابن اترجه أو بريحة كما في بعض الكتب)

(1) جعفريان؛ رسول: الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت 2/ 137.

(2) سبق في صفحات ماضية ذكر مصدرها.

عن الحرب والصلاة، إن هذا يفترض أن والي المدينة هذا قد وشى بالإمام عليه السلام وحرض عليه المتوكل، وأن الإمام قد أرسل للمتوكل يكذب ما ذكره الوالي عبد الله، وأن المتوكل قد أرسل رسالة للإمام يطمئنه فيها أنه يصدقه، وينتقد والي المدينة الذي لم يرع حرمة الإمام، وأن المتوكل تبعا لذلك عاقبه بالعزل! فكيف يتسق هذا مع القول بأنه كان على الحج والحرب والصلاة في سنة 239 وأنه عزله في سنة 233هـ؟

بينما على القول بأنه كان بالفعل في سنة 239 على الحرمين وشؤونهما (من الصلاة والحج) وأنه خلال هذه الفترة لحظ التفاف الناس على الإمام عليه السلام، فأرسل للمتوكل رسالة التحريض، وأرسل الإمام في المقابل رسالة توضيح للمتوكل، فقام المتوكل بعزل هذا الوالي واستقدم الإمام بعدها وذلك في سنة 243هـ وهو تاريخ رسالة المتوكل..

ج/ وهناك شاهد آخر على ما ذكرنا وهو أن عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى (الهاشمي) سابق الذكر بقي واليا على مكة والمدينة حتى سنة 241 هـ، وهو ما ذكره الأزرقي عند حديثه عن عمارة المسعى في المسجد الحرام حيث قال «فَجَدَّدَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ بْنِ عِيسَى وَهُوَ أَمِيرُ مَكَّةَ

فِي سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ»[1] كما صرح الطبري أنه في سنة 239هـ كان أمير مكة.

9/ من أدوار الإمام وأعماله:

يتلخص دور الأئمة عليهم السلام في أن الله سبحانه وتعالى جعلهم «مستودعا لحكمته وتراجمة لوحيه وأركانًا لتوحيده وشهداء على خلقه وأعلاما لعباده ومنارًا في بلاده وأدلاء على صراطه»، فإذا كانت همة غيرهم في التراب وبناء القصور،[2] أو جمع الأموال، والجواري، فإنهم كانوا يجمعون الفضائل والمناقب، ويجمعون ما تفرق وتشعب من أحكام الشريعة وسبيل الحياة الطيبة المؤدي إلى رضوان الله تعالى، وكان هذا هو الذي حفظ شريعة الله سبحانه ودين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا هو ما انشغل به الإمام علي الهادي عليه السلام سواء في أيامه في المدينة المنورة أو بعد الانتقال إلى سامراء، بالرغم من اختلاف الأجواء السياسية والعامة في الثانية عن الأولى لصالح سهولتها في الأولى وصعوبتها في الثانية.

وسيأتي في الصفحات القادمة؛ أن الإمام عليه السلام قد عمل في اتجاهات متعددة في هذا الأمر:

(1) الأزرقي؛ محمد بن عبد الله: أخبار مكة 1/ 314.

(2) النويري؛ أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب 1/ 406: «فأما قصور المتوكل، فهي: الكامل، والجعفريّ، وبركوارا، والعروس، والبركة، والجوسق، والمختار، والغريب، والبديع، والصّبيح، والمليح، والقصر، والبرج، والمتوكّليّة، والقلّاية.

- فمن جهة كان توحيد الله سبحانه في الأمة مهددًا بجموع المجسمة والمشبهة الذين نشطوا من عقال في زمان المتوكل العباسي وبعدما كانوا قد ألجموا - نسبيًا أيام المأمون والمعتصم والواثق - عادوا هذه المرة بنشاط كبير محميين من المتوكل العباسي (مجمع التناقضات كما ذكرنا) فقد دعاهم بشكل رسمي لنشر الحديث في الرؤية والصفات، وهذا عنوان واسع ينفتح على كل أحاديث التجسيم وما تسرب من العقائد اليهودية المحرفة إلى التراث الحديثي عند المسلمين..

فانبعث الإمام الهادي عليه السلام لنشر التنزيه في مقابل التشبيه، وبث تفسير محكمات القرآن النافية للتجسيم والأفكار الباطلة، إذ أنه إذا اختل نظام التوحيد لله، وجهل الناس حقيقته فإنهم عندها يعبدون ربا يختلف عن الله سبحانه وتعالى.. وسيأتي بعون الله تفصيل أعماله هذه من مناقشات ومناظرات واحتجاجات في الصفحات القادمة.

- كما أنه انتشر في زمان المتوكل العباسي وبمباشرة منه في كثير من الأحيان ودعم في كل الحالات، تيار النصب والعداوة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، إلى الدرجة التي كان من يذكر فيها عليا عليه السلام بخير يتعرض للعقوبة كما

حدث للجهضمي، ومن كان يشنع عليه (صلوات الله عليه) ويلعنه ويسخر منه كان ينال الحظوة والجائزة التي تصل أحيانا إلى إعطائه الولاية على بعد الأقاليم!

وإذا كانت العداوة للإمام علي عليه السلام هي الاتجاه الرسمي العام في الدولة العباسية باستثناء فترات قصيرة فإن هذا المقدار من البغض وهذا النحو من الإعلان بمختلف الوسائل وعلى المستوى الرسمي في كل مكان، لا نعتقد أنه حصل في أي وقت من تاريخ المسلمين، حتى أن المتوكل العباسي وصف من قِبل كثير من المؤرخين صراحة بأنه (ناصبي) الأمر الذي لا نرى غيره قد وصف به بالرغم مما صنعوا من عداوة الإمام عليه السلام.

وفي هذا الجانب فقد أعاد الإمام من خلال بثه ونشره فضائل الإمام عليه السلام، ودعوته إلى زيارته ولا سيما في مناسبة يوم الغدير وهي المناسبة الفاصلة التي تثبت ولايته وإمامته على الأمة. وسيأتي مزيد حديث في هذا الجانب إن شاء الله تعالى.

- وإذا كان الخلفاء يصطنعون لهم معارك غير حقيقية، وكأنهم يحاربون طواحين الهواء، بدلا من اقبالهم على ما يهم الأمة، وينتظر من حكامها من العدل والقسط والإنصاف، كفتنة خلق القرآن التي امتدت نحو ثلاثة عقود من الزمان،

لعب بها الحكام العباسيون كالكرة تُرفَع مرة وتكبَس أخرى بحسب توجهات الحاكم، ويكون الضحية تلك الأمة التي تُشغل بعامتها وعلمائها، وتعاقَب بحسب توجهات الحاكم إذا اختلف معه الناس، فتارة تكون العقوبة المشددة لمن قال بقِدم القرآن والمكافأة لمن قال بخلقه وحدوثه، حتى إذا تغير الحاكم انعكست المسألة فيكافَأ ويكرَّم من قال بخلق القرآن ويجلد ويقتل من قال بخلاف ذلك..

ونهى الإمام الهادي عليه السلام عن الخوض فيها مبيّنا أن تلك القضية فتنة عبثية، وأنه لا نتيجة لها على المستوى النظري العلمي ولا المستوى العملي الإيماني وأنه لا ينبغي أن يخوض الناس فيها، وسيأتي في الصفحات القادمة إن شاء الله تعالى تفصيل هذه المسألة وبيان موقف الإمام وشيعته منها.

- وعاصر الإمام الهادي عليه السلام وجود تيارات منحرفة؛ منها تيار الغلو الذي قام على أساسين: المصالح الدنيوية والجهل، فمن جهة كان هناك بعض المغامرين الطامعين في الزعامة والتصدر والمال، استطاعوا أن يستغفلوا قسما من الجهلة الذين لم يستوعبوا أنه:

«ليس على اللَّه بمستنكر أن يجمع العالم في واحد»

وأن تكمل نعمة الله سبحانه على أوليائه، فيجعلهم في أسمى ما

يمكن للبشر الوصول إليه، وفي نفس الوقت يبقون على بشريتهم! وأنه عباد مخلوقون مربوبون، بل أعبد خلق الله وأكثرهم تواضعا لخالقهم..

وكما كان تشبيه الله بخلقه، وتجسيمه خطيئة كبرى بحق الخالق، فإن الغلو في بعض عباده (وإن كانوا أئمة معصومين) خطيئة كبرى في حقهم وفي حق خالقهم! فاهتم الإمام الهادي عليه السلام بمحاربة تيار الغلو هذا على أكثر من صعيد، وسيأتي أيضًا بيان هذا الجانب وتفاصيله إن شاء الله تعالى.

10/ السنوات العجاف في سامراء

من حين وصوله عليه السلام إلى سامراء في سنة 243هـ كما سبق وإلى شهادته سنة 254هـ قضى الإمام الهادي إحدى عشرة سنة[1]

(1) الخزعلي؛ أبو القاسم: موسوعة الإمام الهادي 1/ 81: الإربليّ رحمه اللّه: وكان مقامه عليه السلام بسرّ من رأى إلى أن قبض عشر سنين وأشهرا. وقد ذكر الشيخ الكوراني في كتابه الإمام الهادي أنه عليه السلام قد استجلب ثلاث مرات إلى سامراء؛ احداها في سنة 232هـ في أول خلافة المتوكل وآخرها في س243هـ وثالثة بينهما، ولم نر في القرائن التي أشار إليها ومنها تنصيص الطبري على السفر الأول، دون الباقي ما يكفي للوصول إلى هذه النتيجة، والذي نراه عاجلا أنها كانت سفرة واحدة سنة 243هـ وهي التي استمرت إلى شهادته عليه السلام.
وعلى أساس ما ذكره الطبري فقد اعتمد المتأخرون ممن نقلوا عنه بأن فترة بقائه عليه السلام في سامراء كانت عشرين سنة أو أكثر.. كالطبرسي في إعلام الورى، وابن خلكان في وفيات الأعيان، وابن شهراشوب في المناقب.
بينما من اعتمد على أنه استقدم لسامراء في سنة 243 هـ، كالاربلي في كشف الغمة، والقندوزي الحنفي في ينابيع المودة، ومثله ابن حجر في الصواعق المحرقة، فقد ذكروا أن بقاءه فيها كان نحو احدى عشرة سنة أو عشر وأشهر.

من السنوات العجاف الصعبة، كان منها حوالي 4 سنوات، مع المتوكل العباسي الذي هلك سنة 247هـ باغتيال الأتراك إياه متعاونين مع ابنه المنتصر.

شهدت هذه السنوات ألوانا متعددة من الإيذاء والمضايقة للإمام الهادي عليه السلام، كان أولها الإقامة الجبرية عليه في سامراء ومنعه من الرجوع إلى بلده وموطنه وهو المدينة المنورة، ومن المعلوم أن أحد أسوأ أشكال الإيذاء هو هذا. فإن لازمه أن يعيش الإنسان الذي فرض عليه هذا النحو أن يعيش غريبا، وأن يتعامل مع بيئة غريبة عليه، قد لا يستطيع التكيف معها بسهولة. بخلاف ما إذا كان يعيش في موطنه.

ومن ألوان الإيذاء كان اقتحام حرمة بيته، والدخول إليه أحيانا من خلال السور والسطح على طريقة اللصوص والسراق، وقد تعددت هذه العمليات بحيث كان يتسور عليه منزله، وبهذه الطريقة يبقى صاحب البيت غير آمن حتى في منزله، ولا يستشعر الاسترخاء في حياته.

وكان من ذلك أيضًا إحضار الإمام وجلبه إلى قصر الخلافة، في أي وقت ومن دون سابق إخبار، وأحيانا وعلى نهج أفعال أجهزة المخابرات القمعية، على الهيئة التي هو فيها من غير مراعاة لموقعه الديني وكونه ـ على الأقل ـ زعيم طائفة في الأمة.

ومن ذلك مطالبة الإمام أن يشاركهم في أعمالهم المحرمة، كشرب الخمر[1] أو مجالس اللهو، وأمثال ذلك. وغرضه في ذلك تحطيم الصورة القدسية الموجودة للإمام في نفوس الناس عامة وأتباعه خاصة. ولكن القصة انتهت على غير ما أراد المتوكل، حيث رفض الإمام عليه السلام بحزم مشاركة الخليفة العابث وأصحابه السكارى في لهوهم، وبدلًا من ذلك فقد قلب المشهد رأسًا على عقب.[2]

(1) الكليني: الكافي 1/ 502: «حدثني أبو الطيب المثنى يعقوب بن ياسر قال: كان المتوكل يقول: ويحكم قد أعياني أمر ابن الرضا! أبى أن يشرب معي أو ينادمني أو أجد منه فرصة في هذا! فقالوا له: فإن لم تجد منه، فهذا أخوه موسى قَصَّافٌ عَزَّاف، يأكل ويشرب ويتعشق. قال: ابعثوا إليه فجيئوا به حتى نُمَوِّهَ به على الناس ونقول ابن الرضا! فكتب إليه وأشخص مكرمًا وتلقاه جميع بني هاشم والقواد والناس على أنه إذا وافى أقطعه قطيعة، وبنى له فيها، وحوّل الخمارين والقيان إليه، ووصله وبَرّه وجعل له منزلًا سريًا، حتى يزوره هو فيه!

(2) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر 4/ 11» وقد كان سعي بأبي الحسن علي بن محمد إلى المتوكل، وقيل له: إن في منزله سلاحًا وكتبًا وغيرها من شيعته، فوجه إليه ليلًا من الأتراك وغيرهم من هجم عليه في منزله على غفلة ممن في داره، فوجده في بيت وحده مغلق عليه وعليه مدْرَعة من شَعَرٍ، ولا بساط في البيت إلا الرمل والحصى، وعلى رأسه ملْحَفة من الصوف متوجهًا إلى ربه يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد، فأخذ على ما وجد عليه، وحمل إلى المتوكل في جوف الليل، فمثل بين يديه والمتوكل يشرب وفي يده كأس، فلما رآه أعظمَه وأجلسه إلى جنبه ولم يكن في منزله شيء مما قيل فيه، ولا حالة يتعلل عليه بها، فناوله المتوكل الكأس الذي في يده، فقال: يا أمير المؤمنين، ما خامر لحمي ودمي قط، فأعْفِنِي منه، فعافاه، وقال: أنشدني شعرًا أستحسنه، فقال: إني لقليل الرواية للأشعار، فقال: لا بدَّ أن تنشدني فأنشده:

باتوا على قُلَلِ الأجبال تحرسهم ... غُلْبُ الرجال فما أغنتهمُ القُلَلُ
واستنزلوا بعدَ عزّ عن معاقلهم ... فأودعوا حُفَرًا، يا بئس ما نزلوا
ناداهُم صارخ من بعد ما قبروا ... أين الأسرة والتيجان والحلل؟
أين الوجوه التي كانت منعمة ... من دونها تضرب الأستار والكِلَلُ =

ومنها إلزام الإمام عليه السلام بأن يكون حاضرًا في بلاط العباسيين في الأسبوع أكثر من مرة، بحيث كان معروفًا عند العامة كما لو كان يجب أن يسجل حضورًا، إلى الحد الذي يعبّر عنه بعضهم بأن أحد أصحاب الحوائج تعرض للإمام عليه السلام وقت منصرفه من قصر المتوكل[1]، وفي بعض هذه المشاهد كان يتم تعمد إهانة الإمام عليه السلام بجعله يمشي بين يدي المتوكل، في اليوم القائظ لا لشيء إلا لأجل استعراض قوته العسكرية.

ومنها التظاهر بعداء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، حتى عرف بأنه من النواصب[2] الذين ينصبون العداء للإمام عليه السلام، وقيل

= **فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم تلك الوجوه عليها الدود يقتتل**
قد طالما أكلوا دهرًا وما شربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أُكلوا
وطالما عمروا دورًا لتحصنهم ففارقوا الدور والأهلين وانتقلوا
وطالما كنزوا الأموال وادخروا فخلفوها على الأعداء وارتحلوا
أضحت مَنازِلُهم قفْرًا مُعَطلة وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا

قال: فأشفق كل من حضر على علي، وظن أن بادرة تبدر منه إليه، قال: والله لقد بكى المتوكل بكاء طويلًا حتى بلت دموعه لحيته، وبكى من حضره، ثم أمر برفع الشراب..

(1) الطوسي؛ ابن حمزة: الثاقب في المناقب 559 في قصة من أراد سؤال الإمام أن يدعو له، بالشفاء من برص عرض له.. فجلس له يومًا في الطريق وقت منصرفه من دار المتوكل..

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ6/ 130 «وكان المتوكل شديد البغض لعلي بن أبي طالب، عليه السلام، ولأهل بيته، وكان يقصد من يبلغه عنه أنه يتولى عليًّا وأهله بأخذ المال والدم، وكان من جملة ندمائه عبادة المخنث، وكان يشد على بطنه، تحت ثيابه، مخدة، ويكشف رأسه، وهو أصلع، ويرقص بين يدي المتوكل، والمغنون يغنون: قد أقبل الأصلع البطين، خليفة المسلمين، يحكي بذلك عليًّا، عليه السلام، والمتوكل يشرب، ويضحك، ففعل ذلك يومًا، والمنتصر حاضر، فأومأ إلى عبادة يتهدده، فسكت خوفًا منه، فقال المتوكل: ما حالك؟ فقام، وأخبره، فقال المنتصر: يا أمير =

بأن هذه كان أحد الأسباب الذي دعت ابنه المنتصر للتفكير في قتل أبيه.

11/ أحوال الإمام عليه السلام بعد موت المتوكل

في سنة 247هـ شرب المتوكل من نفس الكاس التي أذاقها غيره، وقد كان يريد أن يتعشى بابنه المنتصر ونصيريه التركيين بغا ووصيف، فتغدّوا به قبل أن يتعشى بهما، وهكذا اختلط دم الخليفة (ناصر السنة) بخمر لذاته وشرابه المحرم![1]

وجاء بعده ـ على الرغم منه ـ ابنه محمد المنتصر، وكان جيدًا في مواقفه العامة تجاه الناس، وعلى الخصوص فيما يرتبط بأهل البيت عليهم السلام، حتى احتمل بعض الباحثين تشيعه حيث أن محبة آل البيت برغم ما كان عليه المتوكل من النصب والبغض كانت

= المؤمنين إن الذي يحكيه هذا الكاتب، ويضحك منه الناس، هو ابن عمك، وشيخ أهل بيتك، وبه فخرك، فكل أنت لحمه، إذا شئت، ولا تطعم هذا الكلب وأمثاله منه! فقال المتوكل للمغنين: غنوا جميعًا:

غار الفتى لابن عمه رأس الفتى في حر أمه

فكان هذا من الأسباب التي استحل بها المنتصر قتل المتوكل».

.. وإنما كان ينادمه ويجالسه جماعة قد اشتهروا بالنصب، والبغض لعلي، منهم: علي بن الجهم، الشاعر الشامي، ومن بني شامة ابن لؤي، وعمر بن فرج الرخجي، وأبو السمط من ولد مروان بن أبي حفصة، من موالي بني أمية، وعبد الله بن محمد بن داود الهاشمي المعروف بابن أترجة.

(1) الصفدي؛ صلاح الدين: الوافي بالوفيات 5/ 204: رثاه أحمد بن إبراهيم الأسدي فقال:

«هَكَذَا فلتكن منايا الْكِرَام بَين نَاي ومزهر ومدام
بَين كاسين أردتاه جَمِيعًا كاس لذاته وكاس الْحمام»

موجودة في داخل القصر العباسي[1]، ويشير إلى بعض ما سبق ابن الأثير بقوله: «كانَ المُنْتَصِرُ عَظِيمَ الحِلْمِ، راجِحَ العَقْلِ، غَزِيرَ المَعْرُوفِ، راغِبًا فِي الخَيْرِ، جَوادًا، كَثِيرَ الإنْصافِ، حَسَنَ العِشْرَةِ، وأمَرَ النّاسَ بِزِيارَةِ قَبْرِ عَلِيٍّ والحُسَيْنِ عَلَيْهِما السَّلامُ، فَأَمَّنَ العَلَوِيِّينَ، وكانُوا خائِفِينَ أيّامَ أبِيهِ، وأطْلَقَ وُقُوفَهُمْ، وأمَرَ بِرَدِّ فَدَكَ إلى ولَدِ الحُسَيْنِ والحَسَنِ ابْنَيْ عَلِيِّ بْنِ أبِي طالِبٍ، عَلَيْهِ السَّلامُ.

و«ذكر أن المنتصر لما ولي الخلافة كان أول شيء أحدث من الأمور عزل صالح عن المدينة وتولية علي بن الحسين بن إسماعيل بن العباس بن محمد إياها، فذكر عن علي بن الحسين، أنه قال: دخلت عليه أودعه، فقال لي: يا علي، إني أوجهك إلى لحمي ودمي- ومدّ جلد ساعده وقال: إلى هذا وجهتك، فانظر كيف تكون للقوم، وكيف تعاملهم! يعني آل أبي طالب، فقلت: أرجو أن أمتثل رأي أمير المؤمنين أيده الله فيهم إن شاء الله، فقال: إذاً تسعد بذلك عندي».[2]

ولكن هذه الأيام الهادئة لم تستمر سوى نحو ستة أشهر عندما تم اغتيال المنتصر من خلال المؤامرات الداخلية في القصر

(1) الكافي1/ 547: «عن إبراهيم بن محمد الطاهري قال: مرض المتوكل من خَرَّاج خرج به وأشرف منه على الهلاك، فلم يجسر أحد أن يمسه بحديدة، فنذرت أمه إن عوفي أن تحمل إلى أبي الحسن علي بن محمد مالًا جليلًا من مالها.

(2) الطبري: تاريخ الطبري 9/ 254

العباسي[1]، والذي أصبحت فيه تصفية الخصوم هي الشغل الشاغل لرجاله، ولذلك وجدنا أنه خلال فترة بسيطة من الزمان تغير عدد كبير من الخلفاء و«رضت خصاهم»، و«فصدوا بالريش المسمومة». [2]

فما لبث أن جاء أحمد بن محمد بن المعتصم الملقب بـ (المستعين) وبقي في الحكم أقل من ثلاث سنوات، ثم ولي الحكم الزبير بن المتوكل وهو المعروف بالمعتز واستمرت مدة حكمه ثماني سنين وستة أشهر، وهذا الآثم كان نسخة من أبيه المتوكل في حقده على أهل البيت.

وقد استشهد الإمام الهادي عليه السلام في أيام حكومته، في سنة 254 هـ، وفي التراث الشيعي يعتبر هو المسؤول عن شهادة الإمام،

(1) ابن الأثير: الكامل 6/ 187 «وقيل: إنه وجد حرارة، فدعا بعض أطبائه، ففصده بمبضع مسموم، فمات منه» «وانصرف الطبيب إلى منزله وقد وجد حرارة، فدعا تلميذا ليفصده، ووضع مباضعه بين يديه ليستخير أجودها، فاختار ذلك المبضع المسموم، وقد نسيه الطبيب، ففصده به، فلما فرغ إليه نظر إليه فعرفه، فأيقن بالهلاك، ووصى من ساعته.
وقيل: إنه كان قد وجد في رأسه علة، فقطر ابن الطيفوري في أذنه دهنا، فورم رأسه، فمات.
وقيل: بل سمه ابن الطيفوري في محاجمه فمات».

(2) عصر الخصية كان من وسائل القتل عندهم وهكذا استعمال المشرط المسموم للفصد ففي كتاب ابن مسكويه «تجارب الأمم وتعاقب الهمم» 4/ 307: يتحدث عن تآمر وزراء المتوكل بعضهم على بعض، وما جرى بين نجاح بن سلمة وبين عبيد الله بن يحيى حيث أراد كل منهما أن يوقع بالآخر والنتيجة: كانت الدائرة على نجاح «فأمرا بأن تؤخذ قلنسوته، وقبضا على كتّابه فاستخرجا من يومهما ذلك مائة وأربعين ألف دينار اعترف بها ابنه، وذلك سوى قيمة ضياعه وقصوره وفرشه ومستغلاته وآلاته. فقبض جميع ذلك وضرب مرارًا بالمقارع وعذّب ثمّ خنق أو عصرت خصاه فأصبح ميّتا..»

وأنه دس السم للإمام عليه السلام، وللعلم فإنه من بعد أبيه المتوكل فإن نشاط الاغتيال قد تصاعد في البلاط العباسي ليشمل تسميم بعضهم البعض بالإضافة إلى تسميم أعدائهم ومخالفيهم، فهذا المنتصر العباسي قد مات مسمومًا على الراجح وقد أشار لذلك عدد من المؤرخين، كما ذكرنا في حواشي مضت. وفي نفس هذا السياق نعتقد أنه تم اغتيال الإمام الهادي لا سيما وهم يصنفونه على أنه عدو لهم.

12/ شهادة الإمام (أو موته)؟

استبعد الدكتور الشيخ المهاجر شهادة الإمام الهادي عليه السلام بالسم، وقال «إن الروايات المتوسطة والمتأخرة زمانيًا تشير إلى أنه توفي مسمومًا من دون أن تقدم دليلا موضوعيا على ذلك»، ورأى أن «الوفاة المبكرة للإمام قد حدثت بعد مرض طويل (علة) ربما بسبب نمط الحياة الشاقة التي عاشها وعمل أثناءها منذ شبابه الأول حتى وفاته».[1]

وأرجع ذلك إلى: «الميل المتمكن لدى بعض المؤلفين وغيرهم لرسم صورة مأساوية لحياة الأئمة إجمالًا، تحرك الشجى وتثير الحزن والأسى». مستبعدًا أن يقوم بذلك المعتز

(1) المهاجر: الإمام الهادي: من ص 88 إلى 90.

العباسي الذي كان موقعه كخليفة مسكين في غاية الضعف مقابل القوى العسكرية التركية..

واستدل على ذلك بأربع روايات هي قريبة من ناحية الزمان إلى وفاة الإمام الهادي عليه السلام، وهي تفيد أن وفاته كانت بسبب علة ومرض طويل ولا إشارة فيها إلى موضوع السم:

الأولى: ما ذكره المسعودي عن ابن الأزهر، قال: حدثني محمد بن الفرج بمدينة جرجان في المحلة المعروفة ببئر أبي عنان قال: حدثني أبو دعامة، قال أتيت علي بن محمد بن علي بن موسى عائدًا في علته التي كانت وفاته منها في هذه السنة..

واستفاد من التعبير (عائدًا في علته التي كانت وفاته منها في هذه السنة) أن هذه العلة طويلة وبالتالي لم يكن موته بالسم.

والثانية: ما رواه أبو هاشم الجعفري كما نقله عنه ابن قولويه، قال: دخلت أنا ومحمد بن حمزة عليه نعوده وهو عليل، فقال لنا: وجهوا قومًا إلى الحائر من مالي..[1]

والثالثة: من نفس الراوي ولكن بشكل آخر «بعث إليَّ أبو الحسن عليه السلام في مرضه». ورأى هذه الأخيرة أبلغ دلالة في أن مرضه كان طويلًا ومعلومًا لشيعته!

(1) بن قولويه؛ جعفر بن محمد: كامل الزيارات 459.

وأيضًا هنا استفاد من تعبير (وهو عليل) وفي الأخرى (في مرضه).

والرابعة: نقل عن المسعودي: واعتل أبو الحسن علته التي مضى فيها.. وقال: دون أي تلميح أو إشارة إلى السم أو التسميم، ومن المعلوم أن المسعودي مؤرخ خبير متتبع واسع الاطلاع كما أنه كان وثيق الصلة بالأوساط الشيعية كبير الاهتمام بسير الأئمة وهو مصنف الكتاب الفائق الأهمية الذي أخذنا عنه هذا النص فعدم ذكر التسميم منه حجةٌ نافية لأنه صدر عن عارفٍ أهلٍ وفي مقام البيان.

ولنا مع الدكتور المهاجر وقفات في ما ذكره:

الأولى: أنه كما يحتمل أن يكون الدافع للقائلين بمسموميته هو الميل لرسم صورة مأساوية للأئمة عليهم السلام ومنهم الإمام الهادي، فكذلك يحتمل أن يكون دافع المنكرين لذلك هو الميل لرسم صورة بطولية ثورية له.. وإنما المتبع بين هذا وذاك هو ما تقتضيه القرائن التاريخية.

الثانية: إن الشيخ المهاجر وهو المحقق المتتبع قد ذكر بأن القائلين بمسموميته لم يقدموا دليلا موضوعيًا على ذلك سوى الروايات المتوسطة والمتأخرة.. وهو منه عجيب! فإن نفس

المسعودي الذي استشهد به غير مرة وأعظم شأنه، قد ذكر في نهاية الفقرة في مروج الذهب والتي نقل قسمها الأول بعنوان الرواية الأولى (.. عائدًا في علته التي كانت وفاته فيها) واستشهد بها على ما ذهب إليه، نفسها في آخرها يقول المسعودي: وقيل إنه مات مسمومًا[1]! بفارق صفحة واحدة عن الرواية السابقة! فما هو المطلوب أكثر من هذا؟ وأي صراحة أكثر؟ ولماذا يستشهد بكلمة غير واضحة في معناها ـ كما سيأتي بيانه ـ وتترك كلمة أخرى صريحة في أن هناك قولًا بأنه مات مسمومًا؟

الثالثة: إننا لا نرى ولا أظن غيرنا يرى بأن كلمة (مات في علته) أو زرناه في علته التي مات فيها، تنفي أن يكون قد تم تسميمه؟ فلماذا لا تكون تلك العلة على أثر ذلك السم؟ خاصة إذا علم أن السم منه ما يقتل فورا ومنه ما يسبب مشاكل في البدن تكون نهايتها الموت؟

الرابعة: إن المسعودي في مروج الذهب يحرص على أن لا يبدي الصورة الشيعية الكاملة التي يعتقدها، ولا نعلم أسباب ذلك هل لكونه يعيش تحت ظل الخلافة العباسية حيث كانت حياته بين (سنة 283هـ ـ 346 هـ) أو لرغبته في أن يعم الكتاب وينتشر

(1) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج 4، المسعودي، ص 86.

في دوائر واسعة وألّا يحاصر أو لغير ذلك من الأسباب، فإن هذا أمر ملحوظ لمن تأمل في الكتاب، إلى الحد الذي جعل بعض الرجاليين يشكون في تشيعه! ومع ذلك ذكر في حياة عدد من الأئمة أنهم سُمموا ولكن بصورة (قيل)[1] وكان ممن ذكره بهذه الطريقة الإمام علي الهادي.

وأما في إثبات الوصية، فإنه وإن أظهر هويته الشيعية بالكامل إلا أنه لم يتعرض إلى طريقة موت الأئمة عليهم السلام إلا نادرا ونص على مسمومية الإمام الحسن والكاظم عليهما السلام فقط، دون أن يتحدث عن مسمومية الأئمة الآخرين.

الخامسة: إن مسمومية الإمام قد نقلها غير المسعودي، فقد نقل ابن شهراشوب[2] عن ابن بابويه أنه سمه المعتمد. وابن بابويه إن كان المقصود منه والد الشيخ الصدوق فهو من طبقة المسعودي حيث توفي سنة 329 هـ، وإن كان المقصود بابن بابويه الشيخ الصدوق مع بُعد ذلك، فإنه ليس متأخرا إلا قليلا عن المسعودي. وقد نص على تسميمه، نعم ذكر أن المعتمد العباسي هو الذي

(1) فقد ذكر في شأن الإمام الصادق فقال 3/ 285: توفي أبو عبد الله جعفر وقيل إنه سم، وفي شأن الإمام الرضا قال 3/ 441: وقبض علي بن موسى لعنب أكله وأكثر منه وقيل: إنه كان مسموما، وفي شأن الإمام الجواد عليه السلام قال 3/ 464: في سنة 219 قبض محمد بن علي بن موسى وقيل إن أم الفضل سمته. وبنفس الطريقة قال عن الإمام الهادي: وقيل إنه مات مسموما.

(2) المناقب، ج 4، ابن شهر آشوب، ص 401 حيث قال: وقال ابن بابويه سمه المعتمد.

سمه، والمشهور أن التسميم كان بفعل المعتز لكن هذه مسألة أخرى لا تخل بما نحن فيه من كون وفاته بالسم.

وكذلك ورد التعبير عنه بأنه استشهد، وبأن ذلك بالسم في كلمات ابن جرير الطبري الإمامي (توفي في القرن الرابع) قال: «وفي آخر ملكه ـ المعتز ـ استشهد ولي الله وقد كمل عمره أربعين سنة، وذلك في يوم الاثنين لثلاث خلون من رجب سنة خمسين ومائتين من الهجرة، مسموما».[1]

وقد أضاف بعض الباحثين[2] إلى ما تقدم، ما روي من قولهم كما عن الإمام الحسن عليه السلام «ما منا إلا مقتول أو مسموم». وهذه الفكرة محل نقاش بين الباحثين في كليتها على رأيين، **الأول** أن جميع المعصومين ذهبوا من الدنيا بالقتل أو السم، **والثاني**: يقبل ذلك في الجملة، وأنه ثبت في البعض دون البعض الآخر.

السادسة: أننا لا نعرف وجهًا واضحًا لمقالة الشيخ المهاجر عن موقع «المعتز الخليفة المسكين الذي كان في غاية الضعف» فإن من يقرأ سنوات حكمه وأنحاء القتل التي قام بها لمنافسيه، والعزل والطرد لمناوئيه والانتقام من أقرب مقربيه عزلًا وقتلًا[3] لا ينتهي

(1) الطبري (الشيعي): دلائل الإمامة 409.

(2) لجنة التأليف: أعلام الهداية 12/ 195.

(3) تولى الحكم بعد خلع المستعين في سنة 252هـ وعمره 19 سنة !! وبعدما خلع خلعة الملك على =

إلى هذه النتيجة إلا في آخر أيامه عندما أراد أن ينتقم من الميليشيا التركية المتحكمة فقتلوه. مع أنه لو كان كذلك فلا يدل إلا على أنه لم يتظاهر بالأمر لا أنه لم يقم به، فإن التسميم ليس عملاً متميزًا يحتاج إلى شجاعة باهرة أو شخصية قاهرة! نعم يحتاج إلى عداء شديد ورعونة في الموقف ووجود أدوات تقوم به، وهذه كلها متوفرة في المعتز العباسي ومن حوله! بل نقل في بعض الروايات (كما في مناقب ابن شهراشوب) أنه أراد أن يغتال الإمام الحسن العسكري عليه السلام أيضا[1].. ويأتي تحقيق ذلك في سيرة الإمام.

أضف لذلك أن (الدولة العميقة) كانت لا تزال حاضرة حتى لو كان الرأس والخليفة ضعيفًا.

فمن كل ذلك لا نرى أن ما ذهب إليه الشيخ المهاجر من عدم مسمومية الإمام صحيحًا ولا أن القرائن التي أقامها كافية.. والله العالم.

= محمد بن عبد الله بن طاهر وقلده سيفين عزله، وخلع خلعة الملك على أخيه (أخي المتوكل: المؤيد أبي أحمد) وتوجه بتاج من ذهب وقلنسوة مجوهرة ثم عزله من عامه ونفاه. وخلع على بغا الشرابي وألبسه تاج الملك ثم أمر بقتله فقتل وجيء إليه برأسه. وفي نفس سنة توليه خلع أخاه المؤيد من العهد وضربه وقيده فمات..

لكنه في الأخير ذاق من نفس الكأس فاجتمع الأتراك ضده وهجموا عليه في قصره، وأقاموه في الشمس في يوم صائف وهم يلطمون وجهه وما تركوه حتى خلع نفسه، وأشهد على ذلك. ثم قتلوه في سنة 255هـ.

(1) ابن شهر آشوب: المناقب 4/ 432.

مناهج دراسة حياة المعصومين عليهم السلام

من الواضح للمتأمل، تأثير القدوة على المقتدي، والأسوة على المتأسي، ولذلك وجدنا أصحاب الأفكار والمبادئ المختلفة (صالحة أو فاسدة) يقدمون نماذجهم وشخصيات مذاهبهم على أنها تجسد الطريقة الأفضل في الحياة.

فتأثير نموذج وشخصية في مجتمعٍ ما، يفوق تأثير الأفكار والنظريات، وبناء على هذه القاعدة فإنه قد أمر من الناحية الدينية بالتأسي والاقتداء بحياة الأنبياء والرسل ومن بعدها الأوصياء والأئمة عليهم السلام جميعًا، فقد أشار القرآن الكريم بعد أن ذكر حياة عدد من رسل الله وأنبيائه إلى جهة الاقتداء بهم فقال: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾.[1]

هذا بالإضافة إلى ما ذكره القرآن الكريم في قصصهم مع أقوامهم بضميمة أنه ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[2].

(1) الأنعام: 90.
(2) يوسف: 111.

كما أن الأوامر النبوية بلزوم منهج أهل البيت عليهم السلام، تقتضي بالملازمة دراسة حياتهم والاطلاع على مواقفهم، التي اتخذوها في الظروف المختلفة، ومن غير معرفة تفاصيل حياتهم وسيرتهم قد يصعب الاهتداء إلى منهجهم.

وأمامنا ـ شيعة أهل البيت عليهم السلام ـ فترة طويلة تمتد إلى أكثر من قرنين ونصف من الزمان، تشمل حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والمعصومين من عترته، الأمر الذي لا يتنعم به أحد من المسلمين ولا من غيرهم، بأن يكون بمقدورهم الاطلاع على تفاصيل مواقف معصومة، وسيرة حياة مسددة من الله سبحانه، لا يتطرق إليها السهو فضلاً عن الخطأ والذنب، لكي نصوغ حياتنا المعاصرة على ضوء تلك القيم والمناهج التي سلكها أولئك المعصومون.

وكان بالإمكان لجميع أبناء الأمة الإسلامية أن ينتفعوا بهذا التاريخ لولا أن المذاهب الخاطئة من جهة والسلطات الظالمة من جهة أخرى قد عملت ـ وللأسف نجحت في مستويات كثيرة ـ على فصل الأمة عن أئمتها، وتحويلهم في أفضل الفروض إلى اثني عشر عالمًا كآلاف العلماء الذين وجدوا في الأمة، أو عابدًا كمئات الآلاف من عباد الأمة!

بل حتى في الدائرة الشيعية ربما نلاحظ أنه لم تتم الاستفادة والانتفاع التام من سيرة حياة المعصومين عليهم السلام، بما يتناسب مع مقاماتهم العالية، وسعة دائرتهم.

فقد نلاحظ أنه تم التأثر بمنهج خاص من مناهج دراسة المعصومين، وتم الاقتصار عليه مع أنه ربما لا يستوعب كل حياة المعصوم، وإنما يركز على جانب من جوانبها، بينما كان المفروض أن يستفاد من الجوانب المختلفة بتمامها.

ولأجل ذلك سوف نعرض لعدد من المناهج التي تم بواسطتها دراسة حياة المعصومين، وربما يلاحظ أو لا يلاحظ الكاتب ضمن ذلك المنهج، أنه يسير في هذا الاتجاه الأحادي، ولكن الناظر من الخارج له ولغيره بإمكانه أن يلاحظ ذلك بوضوح. ولا نريد من البداية أن نقول أن هذا المنهج أو ذاك صحيح أو خاطئ وإنما نريد أن نقول: إن حياتهم هي أوسع من أن يحيط بها منهج واحد وينفي باقي المناهج.

1/ القراءة الفضائلية والاعجازية:

ويمكن القول أن هذه القراءة لحياة المعصومين هي الصبغة العامة الموجودة في المصادر الحديثية الأصلية والمتفرعة منها.

وذلك نابع من أن كثيرًا من هذه المصادر كانت في صدد إثبات

إمامة الأئمة المعصومين، فهي بناء على ذلك تتوسل بأمرين: أحدهما؛ النصوص الواردة في إمامتهم؛ سواء كانت آيات القرآن المفسرة بهم، أو نصوص المعصومين السابقين على اللاحقين.. والأمر الثاني الكرامات (والمعجزات) التي ظهرت على أيديهم والتي تثبت اتصالهم بعالم الغيب.

وربما أضيف لذلك ما يرتبط بسيرتهم الأخلاقية، حيث أنها لما كانت في المستوى الأعلى تساعد على إيجاد قناعة عند القارئ بأن هذا لا ينبعث ـ في مجموعه ـ إلا ممن اختارهم الله لإمامة الخلق حيث ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾.[1]

ولاستكمال الصورة المقنعة في إمامة الإمام وقدسيته، فقد كان يتم استدعاء قسم من كلماته وأحاديثه بما يشير إلى معرفته العالية بالدين.

وبطبيعة الحال كان لا بدَّ لهذه المصادر وهي في صدد تعريف الإمام وإمامته أن تتناول ما يسمى اليوم بالحياة الشخصية للمعصوم (اسمه وكنيته وعمره وولادته مكانًا وزمانًا وزوجاته وأولاده وما يرتبط بذلك).

إننا نجد ذلك في الكتب الأصلية كالكافي للكليني (ت 329 هـ)

(1) الأنعام: 124.

في أبواب الحجة من أصول الكافي، وكذلك فيما تأخر عنها مثل الثاقب في المناقب لابن حمزة الطوسي (ت560 هـ)، ومناقب آل أبي طالب لابن شهراشوب المازندراني (ت 588 هـ)، فضلا عن الكتب اللاحقة التي نقلت عنهم.

يمكن لنا أن نسجل بعض الملاحظات على هذه النوعية من الكتب:

الأولى/ إنه لما كان غرض كتّابها في الغالب عقائديًّا، فقد تأثرت أبوابها وصياغة أخبارها بهذا الغرض، ولعل اسمها يدل عليها، بالإضافة إلى أن قسما من أخبارها لم يلاحظ فيها الاسانيد أو نقد المتون.

الثانية/ لا ريب أنه كان لهذه الكتب بهذا النحو أثر في تثبيت عقائد الكثيرين، في المعصومين عليهم السلام، واتضاح جوانب من حياتهم، ولا سيما في تبين تفوق الأئمة على معاصريهم في العلم ومعارف الدين.

لكن مجموع النقطة الأولى والثانية أدى إلى وجود الكثير من الروايات التي يصعب على الناقد بل على الشاب المثقف قبولها أو فهمها، مما جعل هذه الكتب بشكل طبيعي غير قريبة من هذه الفئات لهذا السبب أو للغة صياغتها التي تعتبر قديمة ومبكرة.

2/ القراءة الثقافية والاجتماعية الدينية:

ربما يعسر علينا وضع عنوان جامع لهذا النحو من القراءة، فهو من جهة ينطلق من منطلقات عقائدية (والغالب فيها تأثره بما تم تأسيسه في علم الكلام الشيعي في صفات الأئمة عليهم السلام ومنها ما هو غيبي وإعجازي) وهو في نفس الوقت يطل إطلالة على الوضع السياسي الذي عاصره الأئمة، وسياسات الحكام تجاههم وما قاموا به من أعمال تجاه تلك السياسات. بالطبع لا ينهج نفس الطريق الذي سلكه التفسير والقراءة الحركية التي سيأتي ذكرها، لا في النفَس الحاكم والفكرة المسبقة التي تساق إليها الأحداث ولا حتى في تفسير المفردات. وإن كان لا يخلو من مقدار من التحليل.

ولعله لهذه الجهة نعتقد أنه أقرب إلى الذهن العام الشيعي، ويستطيع أن يجد الكثير من الشواهد على ما يحاول إثباته، كما أنه لا يحاصره الإشكال بالنقض الذي قد يحاصر أحيانًا القراءة الحركية والثورية.

كما أنه لا تتحسس منه الحالة التقليدية الدينية بالمقدار الذي تتحسس فيه من التفسير الحركي، ولذا ربما كانت الحوزات العلمية تشجع عليه أكثر من غيره، لما تعتقده ربما من زيادة نسبة الأمان فيه.

ويصعب حصر الكتب التي جاءت في هذا السياق فإننا لو استثنينا الكتب المصدرية ذات الطابع الفضائلي من جهة واستثنينا الكتب ذات التفسير الثوري الحركي وهي ليست كثيرة، فإنه يمكن القول أن باقي الكتب التي تعرضت لسيرة الأئمة عليهم السلام كانت ضمن هذا المنهج وبهذا النحو. ينحدر بعضها ويطير بعضها الآخر.

ويمكن أن نلحظ أن كتاب موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام للمرحوم الشيخ باقر شريف القرشي تمثل النموذج الأوضح في هذه القراءة، كما أن ما كتبه المرحوم السيد جعفر العاملي في عدد من كتبه بعنوان (الحياة السياسية للإمام الرضا/ للإمام الجواد) بل وباقي كتبه في المعصومين والسيرة هو في هذا الإطار. بل أحيانًا نجد باحثًا[1] يكتب تارة في إطار المنهج الثوري وأخرى في المنهج الاجتماعي الديني كما سميناه.

3/ القراءة الحركية والسياسية:

يمكن القول أن القرن العشرين من بداياته، وقد شهد تحرك بعض أقطار الأمة الإسلامية ضد الاستعمار، قد عطف الأمة تجاه الثقافة الإسلامية والتاريخ الإسلامي لإسعافها في تحريك

(1) الأستاذ السيد المدرسي كتب «التاريخ الإسلامي: دروس وعبر» ضمن المنهج الثوري، وكتب سلسلة: «المعصومون قدوة وأسوة» ضمن المنهج الثاني الآخر.

الجمهور للجهاد والمقاومة وإشعارها بالعزة والكرامة في مواجهة المحتلين. بل وفيما بعد في مقاومة أنصارهم الداخليين.

وكان من الطبيعي أن ينفتح المقاومون على آيات القرآن التي تمجد الجهاد، وعلى تاريخ الأئمة الذي يحمل صورًا من مواجهة الظالمين. وقد أدى ذلك إلى بحث مفصل في تظهير المواقف الجهادية، والسياسية المعارضة، والكلمات القوية الصارخة أمام الظالمين، وكان ذلك من السهولة بمكان نظرًا لأن المعصومين عليهم السلام عاشوا تلك الظروف وقدموا من أمثلة الصمود والصبر والمقاومة ما ينفع الأمة في صراعها مع المستعمرين والمستبدين معًا.

ونحن نلحظ من خلال عناوين الكتابات التي صدرت في هذا الاتجاه بل حتى في عناوينها ما يكشف الغرض المذكور بل ويعرب عن منهج كاتبه، أو إذا لم يكن العنوان واضحًا فإن الأفكار في داخل الكتاب واضحة.

والناظر إلى هذه الكتب يرى أن محور الحديث يتركز على أساس أن المعصومين عليهم السلام لما كانوا معنيين بتغيير الوضع الفاسد الذي نتج عن حكومات الجور، كان من اللازم أن يفكروا في طريقة لذلك، والطريقة المثلى ـ فيما يظهر من تلك الكتب ـ إنشاء حركة سرية منظمة تعتمد الأساليب الموجودة

في التنظيمات السرية ـ وغرضها إعداد المجتمع (الشيعي) للنهوض في الوقت المناسب ضد تلك الأنظمة الجائرة (الخلافة الرسمية).

وبناء على هذا ستقوم بتفسير ما كان يبدو إعجازيًّا أو عباديًّا ـ بحسب القراءة الفضائلية ـ بهذا النحو الجديد. فإذا كان هناك تأكيد على التقية في أحاديث المعصومين فما ذلك إلا لأجل تحقيق أقصى درجات العمل السري للحفاظ على هذه الحركة ورموزها وهياكلها، وتوكيل الوكلاء في مناطقهم بينما يفهم في القراءة الفضائلية وحتى الاجتماعية أمرًا يرتبط بالتوجيه للأحكام وإرسال الأسئلة للإمام والحصول على أجوبتها واستلام الأموال الشرعية واجبة الدفع للإمام، يفسره أصحاب القراءة الحركية هنا بشكل أساس على أنه إدارة للنشاط التنظيمي لهذه الحركة السرية.[1]

وربما كتب كثيرون بهذا النفَس في مواضيع مختلفة، وضمن هذه الرؤية، لكن فيما يرتبط بالسيرة الكاملة للمعصومين فقد ألقى الشهيد السيد محمد باقر الصدر ما صار بعد ذلك كتابا باسم

(1) يمكن الاطلاع بشكل تفصيلي على هذه المفردات في كتاب د. الشيخ المهاجر: التاريخ السري للإمامة.

(أئمة أهل البيت تعدد أدوار ووحدة هدف)،[1] وقد قرر فيه أن تاريخ الأئمة يمكن تقسيمة إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأُولى: وهي مرحلة تفادي صدمة الانحراف، هذه المرحلة هي التي عاش فيها قادة أهل البيت عليهم السلام مرارة الانحراف، وصدمته بعد وفاة رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت مرارة هذا الانحراف وصدمة هذا الانحراف، التي كان من الممكن أنْ تمتد وتقضي على الإسلام ومصالحه وعلى الأُمّة الإسلامية، فتصبح قصّة في التاريخ لا وجود لها في خط الزمن المستمر.

الأئمّة عليهم السلام في هذه المرحلة عاشوا صدمة الانحراف، وقاموا بالتحصينات اللازمة بقدر الإمكان، بكلّ العناصر الأساسية للرسالة ضدّ صدمة الانحراف، فحافَظوا على الرسالة الإسلامية نفسها.

كل هذه الأركان والمقوّمات حصّنوها تجاه صدمة الانحراف، هذه هي المرحلة الأُولى وتبدأ بعد وفاة رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، وتستمر إلى حياة الإمام الرابع من قادة أهل البيت عليهم السلام.

المرحلة الثانية: ثمّ تبدأ المرحلة الثانية والإمام الباقر عليه السلام شبه البداية لها وحينما نقول شبه البداية؛ لأنّ تصوّر هذا العمل ليس حدّيًا، حيث يُمكن أنْ نقف، على اللحظة، فنقول: هذه اللحظة

(1) طبع فيما بعد بعنوان: أئمة أهل البيت ودورهم في تحصين الرسالة الإسلامية.

هي نهاية المرحلة وبداية أخرى، وإنما هذا التصوّر يتّفق مع طبيعة الإحداث المتصوّرة في خط تاريخ الإسلام.

والمرحلة الثانية هي المرحلة التي شرَع فيها قادة آهل البيت عليهم السلام ـ بعد أنْ وضعوا التحصينات اللاّزمة وفرغوا من الضمانات الأساسية ضدّ صدمة الانحراف ـ ببناء الكتلة، بناء الجماعة المنطوية تحت لوائهم، الشاعرة بكلّ الحدود والأبعاد من المفهوم الإسلامي المتبنّى من قبلهم عليهم السلام، منذ زمان عليّ بن الحسين عليه السلام، وعلى زمان الإمام الباقر والصادق عليهما السلام كان هذا العمل يبلغ القمّة، وليس معنى ذلك، أنّ هذا العمل الأوّل الذي كان اللبنة الرئيسية للمرحلة قد انقطع، وإنّما معنى هذا أنّ العمل الأوّل استمر، لكن حيثُ إنّ صدمة الانحراف، كان قد أمكن تقليل خطرها، خلال ما قام به الأئمّة الأربعة الأُول من جهود وتضحيات في سبيل حفظ الإسلام، وهذا يحتّم أنْ يواجه قادة أهل البيت عليهم السلام المهمّة الجديدة، مهمّة بناء الجماعة الصالحة من مجموع هذه الأُمّة، التي حصّنت بالحد الأدنى من التحصين، ولا بدّ أنْ تُنتَخبَ مجموعة من هذه الأُمّة، فيحَصَّنون بأعلى درجة ممكنة من التحصين، ويوعَّون بأعلى درجة ممكنة من التوعية، حتى تكون هذه الجماعة، هي الرائد والقائد والحامي للوعي الإسلامي الذي حصّن بالحد الأدنى.

هذا العمل مارسه الإمام الباقر عليه السلام على مستوى القمّة وقلنا: إنْ هذه المرحلة استمرّت الى زمن الإمام الكاظم عليه السلام، وفي زمان الإمام الكاظم عليه السلام بدأت المرحلة الثالثة.

وهذه المرحلة الثالثة: لا تحدّد بشكلٍ بارز من قِبَل الأئمّة عليهم السلام أنفسهم، بل يحدّدها بشكل بارز، موقف الحكم المنحرف من الأئمّة أنفسهم؛ وذلك لأنّ الجماعة التي نشأت في ظلّ المرحلة الثانية التي وضعت بذرتها في المرحلة الأولى، نشأت ونمَت في ظلّ المرحلة الثانية، وهذه الجماعة غزَت العالم الإسلامي، وقتئذ، وبدا للخلفاء أنّ قيادة أهل البيت عليهم السلام، أصبحت على مستوى تسلّم زمام الحكم والعود بالتجمع الإسلامي إلى حظيرة الإسلام الحقيقي، وهذا خلّف بشكلٍ رئيس ردود الفعل للخلفاء تجاه الأئمّة عليهم السلام من أيّام الإمام الكاظم عليه السلام». [1]

وقد جرى كثير من المؤلفين[2] فيما بعد على هذا الأساس حتى صار يستدل به ولا يستدل عليه.

ومثل هذا الفهم والمنطلق وإن كان قد يختلف في التفاصيل والترتيب نجده في كتاب أستاذنا السيد محمد تقي المدرسي: التاريخ

(1) الصدر؛ السيد محمد باقر: أئمة أهل البيت تعدد أدوار.. 115 (نسخة الكترونية) والحائري، السيد كاظم: الإمامة وقيادة المجتمع 1/ 170.

(2) نجد ذلك في سلسلة أعلام الهداية، وغيره من الكتب المتأثرة بالتصنيف المتقدم.

الإسلامي؛ دروس وعبر. فإننا نلتقي فيه مع نفس الروح الحاكمة على الكتاب كله، باعتبار أن الأئمة عليهم السلام هم أصحاب حركة رسالية تغييرية في الأمة، حيث رأى أنه «تمثّلت بداية تحول الرساليين إلى حركة سياسية جماهيرية معارضة للنظام السياسي بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام في عام (61) من الهجرة النبوية فقبلئذ كانت الحركة موجودة وكان لها مظهر سياسي يتمثل في حكومة الإمام علي عليه السلام ولكنه كان على نطاق محدود نسبيًا موزعًا في أنحاء البلاد الإسلامية. ولكن بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام تحول الرساليون إلى حركة جماهيرية معارضة شملت جميع المسلمين وبلا استثناء... من هنا فنحن نؤرخ للحركة الرسالية منذ عام 61هـ».[1]

وأوضح تجل لهذه القراءة، وتفصيل لمفرداتها كان في كتابي د. الشيخ جعفر المهاجر: التاريخ السري للإمامة، والإمام الهمام علي الهادي عليه السلام، ففي الكتاب الأول أشار مؤلفه إلى أن فكرته «تدور على العمل أو النشاط المكتوم الذي قاده بالتوالي عدد من الأئمة ابتداء من سادسهم ابتغاء بناء قاعدة بشرية متحررة من تأثير المشروع الاستلابي.. إلى بناء مفهوم مختلف للإسلام يتناسب مع مراميها في حكم مستتب..».[2]

(1) المدرسي؛ محمد تقي: التاريخ الإسلامي دروس وعبر/ 47.
(2) المهاجر: التاريخ السري 11.

وفي كيفية التأسيس لتلك القراءة مع توضيح الكاتب في المقدمة بأنه مسكون بفكرة معينة يتتبعها، ويجمع أطرافها وشتاتها يقول: «فنحن حينما نقرأ ـ مثلًا ـ أن فلانًا من متقدمي أصحاب أحد الأئمة كان كلاميًا حاذقًا أو متحدثًا ثقة، وأنه كان إلى جانب ذلك يتعاطى الصيرفة، فإن ذلك لا يلفت انتباهنا ولا يحرك فضولنا، فمن الطبيعي جدًا أن يكون للمرء أيّا يكن مستقر هواه واهتمامه مهنة يكسب منها الرزق، إلى جانب اهتمامه بالشأن الفكري، تأثرًا بالحيوية الفكرية التي كان الأئمة يبثونها من حولهم! ولكن الأمر يختلف كثيرًا إذ نلاحظ هذا العدد الجم من الصيارفة في البارزين من أصحاب هذا الإمام أو ذاك! هذا يحرك سؤالًا كبيرًا عند من يحسن طرح الأسئلة في محلها: ما السبب في وجود هذا العدد من الصيارفة بين هؤلاء العلماء بنحو يفوق ـ بكثير ـ النسب المتوقعة؟ والأمر نفسه يصح بالنسبة للعدد الكبير من الوكلاء للأئمة الذين كانوا مبثوثين بالعشرات في مناطق وبلدان من مشرق دار الإسلام»[1]؟

وفيما بعد يقوم المؤلف بتعيين المراحل فيقول؛ بأنه يمكن اعتبار سنة 95هـ وهي سنة شهادة الإمام علي بن الحسين زين العابدين نهاية المرحلة الأولى التي سماها بمرحلة استيعاب

(1) المهاجر: نفس المصدر 12 .

الردة القرشية التي بدأت مع جده الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام، واستغرقت حياة أربعة من الأئمة، لتبدأ بعدها ما سماه بمرحلة العمل المباشر وستستغرق هذه حياة سبعة من الأئمة وهذا يدل فيما رآه المؤلف على أن هذه هي الأصيلة وأن أعمالهم هي المطلب والمقصد والغاية[1]..

ملاحظات على هذه القراءة:

أولًا: لا شك أن هذه القراءة شكلت اتجاهًا جديدًا بكل ما للكلمة من معنى في فهم سيرة المعصومين عليهم السلام فإذا كانت القراءات السابقة ولا سيما الفضائلية تغلب جانب الغيب والإعجاز فإن هذه القراءة تظهر الكثير مما كان يُرى كذلك، على أنه «تدبير عملي» و«تخطيط سري». وما كان يرسم صورة للإمام المظلوم المنتهكة حقوقه ها هو يظهر هنا بصورة الزعيم القائد الذي يستطيع القيام بأعماله المختلفة من دون أن تعلم السلطة الظالمة وتبدو سلامة تخطيطه وقوة إدارته بما لا تستطيع تلك السلطة بما لديها من قوى أن تصنع مثله!

ولا ريب أن هذا النحو من فهم سيرة الأئمة يزيد الفئة العاملة والمتحركة في الأمة إيمانًا ويقينًا بأئمتهم! ويدفعهم أيضًا في اتجاه العمل التغييري مؤمنين بأنه طريق قادتهم العظام.

(1) المهاجر: 17 إلى 20 .

كذلك فإن له أثرًا في أن يتخذ أبناء الحركات السياسية (الشيعية) رموز حركتهم من خلال تاريخهم وسيرة قادتهم بدل أن يلجؤوا إلى النماذج الثورية من خارج الدائرة الإسلامية.

ثانيًا: بالرغم من الجانب الإيجابي سابق الذكر، سجل بعض الباحثين نقاطًا مقابلة؛ منها: أنه «منهج يضع أمامه مسبقًا مشروعنا في فهم الإسلام والدعوة اليه، ويعتبره أمرًا مفروغًا عنه في حياة الأئمة عليهم السلام ويحاول تطبيقها عليه!

والدليل على ضعف المنهج أن مواد الاستدلال فيه انتقائية، لأنا لم نكلف أنفسنا جمع النصوص في الموضوع، ثم تقسيمها الى طوائف، ثم دراسة التعارض بينها للوصول الى نتيجة، كما نصنع في أبحاث الفقه المعمقة! بل كنا نكتفي بانتقاء المواد من الروايات والتاريخ، بقطع النظر عن أسانيدها وعن إشاراتها المخالفة أحيانًا..»[1]

كتاب الإمام الهمّام علي الهادي: نموذج في القراءة الحركية

وحيث أننا في رحاب الإمام الهادي فمن المناسب أن نشير إلى الدراسة المهمة التي قدمها الشيخ جعفر المهاجر في كتابه: الإمام الهمام علي الهادي عليه السلام..

(1) الكوراني؛ الشيخ علي: مقدمة كتاب الحق المبين في معرفة المعصومين (نسخة الكترونية) https: / /mbsadr.ir /ar

1/ فإن الشيخ المهاجر ضمن نفس الرؤية التي أسسها في كتاب التنظيم السري للإمامة وأشار إليها مرارًا في كتاب الإمام الهادي عليه السلام، رأى» أن الإمام الهادي قد سيطر بيد من حديد على مؤسسات التنظيم الشيعي المعقد والواسع الانتشار وأداره بكامل الجدارة..» مع كونه صغير السن وحدث ذلك في أيام شبابه.

2/ وضمن إطار نفس الرؤية فإنه يتحدث في موضع آخر (ص 37) عن أحمد بن إسحاق الأشعري وأنه يسأل الإمام عن (موقعه التنظيمي) بالقياس إلى عثمان بن سعيد العمري حيث يسأل الإمام: مَنْ أعامل وعمن آخذ؟ فقال له: العمري ثقتي فما قال فعني يقول، وأنه أشاع هذا الخبر وقبله والتزم به (فاسمع له وأطع) وهذا يدل على نمو الأخلاق والتربية التنظيمية لدى الكيان الشيعي! ويدل على سيطرة الإمام على التنظيم!

وفي ص 38 تجد حضورا قويًّا لمفردات التنظيم وما يرتبط به فهذا أحمد بن إسحاق القمي (وكيل القميين) هو الرابط التنظيمي بين أهل قم والإمامين، ومثله علي بن جعفر الهميناني فهو أحد الكوادر التنظيمية ذات المستوى العالي في التنظيم الشيعي!

وفي نفس ذلك الإطار اعتبر إعطاء الإمام الهادي وكلاءه ثلاثين ألفًا لكل منهم، إنما كان لمصاريف الحركة السرية وأعماله المرتبطة بالتنظيم، وليس الأمر راجعًا لعطية شخصية أو لتسديد دين بعضهم كما ورد في بعض الكتب فأي دين شخصي.. يبلغ لشخص من عامة الناس هذا المقدار؟

3/ وقد ناقش في الكتاب (من ص 23 إلى 25) رواية تكليف الجنيدي[1] بتعليم الإمام واستبصاره بسبب الإمام وردها واصمًا إيّاها بالوضع. بعد غضّ النظر عمّا في السند كما قال وأشار إلى أن المسعودي ليس له كتاب باسم دلائل الإمامة، وكان الشيخ المهاجر قد نقل الرواية عن كتاب الشيخ الكوراني بعنوان المسعودي في دلائل الإمامة..

وقد قدم في ذلك وجوها هي التالية:

1/ أن بطل القضية والقائم بالأمر هو عمر بن فرج الرخجي وهو لا علاقة له بالمعتصم وإنما بدأت بزمان الواثق بعد 7 أو 8 سنوات من شهادة الجواد، وكلف بمهمة صغيرة هي استصلاح طريق الحج وما من أحد ذكر أنه كلف بمهمة متمادية في المدينة من المعتصم أو غيره بحيث يقوم بذلك العمل!

(1) مرت في فصل سيرة الإمام من الميلاد إلى الاستشهاد فراجع.

2/ وأن هذا العنصر المثير في سيرة الإمام تتوفر الدواعي لذكره فما باله لم يأت إلا في دلائل الإمامة.

3/ ومن هو هذا الجنيدي الذي تقول الرواية أنه أعلم من في المدينة؟ ولماذا لا يوجد له ذكر خصوصًا أنه قد استبصر في شأن الإمام؟

4/ وأن الشيعة وهم قوة مهمة في ذلك الزمان كيف لهم أن يسكتوا على ممارسة بهذا النحو بحق إمامهم والتي كانت أشبه بعملية غسيل دماغ؟ مع ملاحظة أن المتوكل مع ما عرف عنه من نزق وطيش عندما أراد أن يستقدم الإمام فقد كان بشكل لطيف للغاية في ظاهره..

ونقول ما يلي:

أ/ ما ذكره النقد من أن المسعودي ليس له كتاب باسم دلائل الإمامة، وإنما دلائل الإمامة لابن جرير الطبري (الإمامي) هو صحيح. وأن ما جاء في كتاب الشيخ الكوراني هو من السهو والغفلة (ربما لسرعة التأليف أو لسواه من الدواعي) لا سيما وأن الكوراني قد ذكر مرارا قبل هذه الفقرة وبعدها كتاب المسعودي بعنوان إثبات الوصية وهو الصحيح. فإن الخبر منقول عن إثبات الوصية للمسعودي.

ومن العجب هنا أن الشيخ المهاجر ضعّف الخبر باعتبار أنه في دلائل الإمامة مع أنه يعلم بأنه موجود في إثبات الوصية للمسعودي، والشيخ المهاجر نفسه قد عظم الكاتب والكتاب جدًا في موضع آخر عندما تحدث عن: هل أن وفاة الإمام الهادي كانت بالسم أو كانت بسبب مرض طويل.. فهناك اعتمد على المسعودي وكتابه إثبات الوصية وقال: «ومن المعلوم أن المسعودي مؤرخ خبير متتبع واسع الاطلاع كما أنه كان وثيق الصلة بالأوساط الشيعية كبير الاهتمام بسير الأئمة وهو مصنف الكتاب الفائق الأهمية إثبات الوصية للإمام علي بن ابي طالب»[1]، فكيف تم الاعتماد عليه هناك وعلى الكتاب الفائق الأهمية، وتُرك حتى لم يُذكَر هنا؟

ب/ ربما كان جديرًا بالذكر ما نقله الشيخ الكوراني في كتابه حول خبر الجنيدي فإنه نافع في الإجابة على بعض الأسئلة التي ضعّف بها المهاجر الخبر المذكور، فقد قال الكوراني ما نصه: «راوي خبر الجنيدي، هو محمد بن سعيد، وهو ابن غزوان الأزدي، روى عنه الكليني والصدوق والمسعودي وغيرهم، وذكره النجاشي/ 372 في مصنفي الشيعة، قال: «محمد بن سعيد بن غزوان: له كتاب. قال ابن نوح: أخبرنا محمد بن

(1) المهاجر؛ د. شيخ جعفر المهاجر: الإمام الهمام علي الهادي 89.

أحمد بن داود قال: حدثنا محمد بن عيسى بن عثمان الآجري، عن غزوان بن محمد الأزدي، عن أبيه محمد بن سعيد بن غزوان بكتابه». وهذا كاف في توثيقه، كما قال الميرزا جواد التبريزي «تنقيح مباني العروة: 7/ 262».وأبو عبد الله الجنيدي الذي عيّنه المعتصم معلمًا للإمام الهادي عليه السلام غير الفقيه المعروف محمد بن أحمد بن الجنيد، وغير الجنيد بن محمد البغدادي الصوفي المشهور، وغير الجنيدي الذي ترجم له السمعاني «2/ 99»، فقال: «وأبو عبد الله بن الجنيد الإسكاف كان يتكلم بكلام الجنيد بن محمد البغدادي كثيرًا فلقب به». فالجنيد والجنيدي متعددٌ في مصادر التاريخ والرواة. والظاهر أن الجنيدي هذا قد تشيع على يد الإمام الهادي عليه السلام، وثبت على تشيعه وسكن بغداد، وأنه هو الذي ذكره الصدوق في كمال الدين/ 442، فيمن رأى الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، قال: «ورآه من الوكلاء ببغداد: العمري وابنه، وحاجز، والبلالي، والعطار. ومن الكوفة: العاصمي. ومن أهل الأهواز: محمد بن إبراهيم بن مهزيار. ومن أهل قم: أحمد بن إسحاق. ومن أهل همدان: محمد بن صالح. ومن أهل الري: البسامي والأسدي يعني نفسه. ومن أهل آذربيجان: القاسم بن العلاء. ومن أهل نيسابور: محمد بن شاذان. ومن غير الوكلاء من أهل بغداد:

أبو القاسم بن أبي حليس، وأبو عبد الله الكندي، وأبو عبد الله الجنيدي، وهارون القزاز.. الخ.».[1]

ج/ ما ذكره المهاجر من أن عمر بن فرج الرخجي لا علاقة له بالمعتصم وإنما بدأت بزمان الواثق بعد 7 أو 8 سنوات من شهادة الجواد، لا يصح مع وجود الروايات التاريخية التي تشير إلى هذه العلاقة، فقد ذكر الأزرقي في أخبار مكة[2] أنه هو الذي غير ما كان على بئر زمزم وكان ذلك في سنة 220 هـ.

وقد ذكر التنوخي في الفرج بعد الشدة ما يمكن الاستفادة منه أنه كان في المدينة وأنه كان يراقب آل أبي طالب ويفتش بيوتهم الأمر الذي أغضب المعتصم عليه، فأحضره وأمر بقتله، وأغلظ القول عليه بأنه هل أُمر أن يتعرف على خبر منازل آل أبي طالب؟ (مما يعني أن عمر كان يتجسس عليهم ويضيق عليهم) فأجابه بخبر كاذب بأنه بلغه عن واحد منهم أن أهل قم يكاتبونه![3]

(1) الكوراني: الإمام علي الهادي 12.

(2) الأزرقي؛ محمد بن عبد الله: أخبار مكة 2/ 102 «ثم عمره عمر بن فرج الرخجي في خلافة أبي إسحاق المعتصم بالله أمير المؤمنين في سنة عشرين ومائتين».

(3) التنوخي؛ محسن بن علي: الفرج بعد الشدة 4/ 17: قَالَ مُحَمَّد بن عَبدُوس فِي كتاب الوزراء، حُكيَ عَن أبي عبد الله أَحْمد ابْن أبي داؤد، أَنه قَالَ: مَا صحب السُّلْطَان أرجل، وَلَا أَخبث من عمر بن فرج الرخجي، غضب عَلَيْهِ المعتصم يَوْمًا وهم بقتْله، وَأمر بإحضاره، فَجَاءُوا بِهِ وَقد نزف دَمه.

فَقَالَ المعتصم: السَّيْف، يَا غُلَام، فَجعلت ركبتا عمر تصطكان. =

ويكفي هذا المقدار من الشواهد لبيان أن الرجل هذا كان صنيعة للخلفاء لهم (وملكيًّا أكثر من الملك) حتى هدده المعتصم بالعقوبة لتجاوزه حدوده، وفي هذه الفترة كان في الحرمين، فهل يصح بعد هذا أن يقال أنه لم يكن له علاقة بالمعتصم.. (ونحتمل أن هذا الرجل الآثم كان مختصًا بأمور الطالبيين من وقت مبكر أيام المعتصم إلى أيام المتوكل بل بقي في هذا المنصب[1] إلى سنة 250 هـ!! مع تخلل فترات ربما لا يكون فيها في المدينة، فإنه مع سوء رأي المتوكل العباسي فيه وما كان بينهما من العداوة أيام الواثق إلا أنه مع ذلك جعله على أمور الطالبيين فعاملهم بقسوة بالغة..).

د/ وأما قوله بأن هذا العنصر المثير مما تتوفر الدواعي على نقله، فلا نرى أكثر مما ذكر وهل سيظل الشيعة ورواتهم ومؤرخوهم يطبلون لأنّ عالمًا في النحو أو العربية قد استبصر

= فَقلت: إِن رأى أَمِير الْمُؤمنِينَ أَن يسْأَله عَن ذَنبه، فَلَعَلَّهُ أَن يخرج مِنْهُ بِعُذْر.
فَقَالَ لَهُ: يَا ابْن الفاعلة، أَمرتك فِي ولد أبي طَالب أَن تتعرف خبر مَنَازِلهمْ؟ قَالَ: لَا.
قَالَ: فَلم فعلت ذَلِك؟ قَالَ عمر: إِنَّمَا فعلت ذَلِك لِأَنَّهُ بَلغنِي عَن وَاحِد مِنْهُم أَن أهل قُم يكاتبونه

(1) يشير إلى ذلك ابن الأثير في الكامل 6/ 198 في حديثه عن خروج يحيى بن عمر (ابي الحسين الطالبي) قال ابن الأثير:
«أَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ نَالَتْهُ ضِيقَةٌ، وَلَزِمَهُ دَيْنٌ ضَاقَ بِهِ ذَرْعًا، فَلَقِيَ عُمَرَ بْنَ فَرَجٍ، وَهُوَ يَتَوَلَّى أَمْرَ الطَّالِبِيِّينَ، عِنْدَ مَقْدِمِهِ مِنْ خُرَاسَانَ، أَيَّامَ الْمُتَوَكِّلِ، فَكَلَّمَهُ فِي صِلَتِهِ، فَأَغْلَظَ لَهُ عُمَرُ الْقَوْلَ، وَحَبَسَهُ، فَلَمْ يَزَلْ مَحْبُوسًا».. فأنت ترى هذه القباحة والسفاهة منه من زمان المعتصم إلى ما بعد المتوكل أي ما يصل الى ثلاثين سنة!

واهتدى؟ إذن لطال الأمر وعرض.. فكم من أمثاله حصل لهم الهداية ولم يتوقف أحد عندهم إلا بمقدار نقل الرواية.. وهذا ما حصل هنا أيضًا.

هـ/ والقول بأن شيعة ذلك الزمان كانوا قوة وازنة مهمة.. كيف لهم أن يسكتوا على مثل هذا العمل الذي هو بمثابة غسيل دماغ وإقامة جبرية؟ جوابه: أن القسم الأول من الكلام هو تحليل انتهى إليه المؤلف وهو مسؤول عنه أما أن يُلزم غيره بها فلا.. وأما القسم الثاني فيقال: إن الشيعة قد سكتوا على استقدام أئمتهم من بلدانهم على خلاف إرادتهم فلم يكن هناك رد فعل.. وسجن أئمتهم وأيضًا لم يكن هناك رد فعل وقتلوا بالسم وكذلك! فماذا عدا مما بدا؟

لم يكن الأئمة في وارد التصعيد والمجابهة في أي حالة من الحالات التي ذكرت، ولذلك سكت الشيعة أيضًا!

وبناء على ما تقدم فإننا لا نرى وجهًا سليمًا مما ذكر للتشكيك في الرواية. لا سيما وأن راويها علي بن الحسين المسعودي وهو مَنْ هو في التثبت والخبرة التاريخية.

4/ وقد ذهب الشيخ المهاجر في كتابه المذكور ص 61 إلى أن الإمام الهادي كان في قرارة نفسه مرتاحًا للسفر إلى سامراء

لما توفره العاصمة ـ كشأن كل العواصم ـ من إمكانيات متميزة في التواصل مع قواعده وشيعته باعتبار أن السفر إلى المدن الكبيرة والعواصم أمر طبيعي بخلاف مثل المدينة المنورة التي كانت في ذلك الوقت منطقة معزولة وبيئتها الجغرافية والسكانية قد لا تساعد على الأمر المذكور..

أقول: لم يقدم الشيخ المهاجر حفظه الله ما يفيد من القرائن على ارتياح الإمام عليه السلام لذلك السفر،[1] على أن موضوع إمكانات التواصل المذكور كوجه مؤيد، يمكن معارضته بأن المدينة المنورة تمتلك مثل هذا باعتبار وجود قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومسجده وذلك نقطة جذب وغطاء مناسب لمن أراد الوصول للإمام في المدينة، ولا سيما في فترات الحج والعمرة حيث يختم الناس نسكهم ذاك بزيارة قبر النبي والصلاة في مسجده.

(1) بل ربما يستفاد من بعض روايات المناقب لابن شهراشوب أنه أخرج من المدينة إلى سامراء قهرًا، ولكنه انسجم مع البقاء فيها وقد نقله العطاردي في مسند الإمام الهادي/ 44: قال يومًا الإمام عليّ بن محمد: يا أبا موسى أخرجت إلى سرّ من رأى كرهًا ولو أخرجت عنها أخرجت كرهًا. قال: قلت: ولم يا سيّدي؟ فقال: لطيب هوائها وعذوبة مائها وقلّة دائها.

دور الإمام العلمي والثقافي في الأمة

من خلال تتبع الوضع الذي عاصره الإمام الهادي عليه السلام، وجدنا أنه عمل على أصعدة متعددة؛ فمن جهة واجه تيار البغض لأمير المؤمنين علي عليه السلام، والذي كان يهدف إلى إسقاط نموذجه المثالي في الحكم وإعاقة الاقتداء به في الأمة، ومن جهة أخرى قاوم تيارات الغلو في المعصومين، وسبحان الله فقد كان يعمل صلوات الله عليه في خطين متعارضين تمامًا ومتضادين، فبينما كان تيار البغض (والنصب) كان في أقصى المغرب كان تيار الغلو والارتفاع في أقصى المشرق!

وأيضًا عمل صلوات الله عليه في مواجهة الخط القشري المجسِّم والذي (ألّهَ) الأحاديث وسحق العقل، وفي أثناء ذلك خلق الخلفاء والحكام العباسيون صراعات لا معنى لها ولا فائدة منها للأمة.

وبناء على ذلك سنتناول خمسة عناوين، تشكل مفاتيح لفهم دور الإمام عليه السلام:

1/ الإمام في مواجهة خط البغض والنصب.

2/ الإمام في مواجهة تيارات الغلو.

3/ الإمام في مواجهة التيار القشري المجسِّم.

4/ في مواجهة الاتجاه الجبري والقدري.

5/ موقف الإمام في فتنة خلق القرآن.

أولًا:
الإمام في مواجهة خط البغض والنصب:

يمكن القول بأن الدولة العباسية تأسست على إقصاء الفرع العلوي من بني هاشم، وإضعافه.. بل إذا احتاج الأمر إلى قتل أفراده وبكل قسوة لما ترددت!

ويعود ذلك إلى أن العباسيين وقد سرقوا جهود العلويين في النهضة ضد بني أمية، وأبهموا عنوان (الرضا من آل محمد) حتى يستطيعوا أن يستثمروا الجهود لصالحهم، وكانوا قد فتحوا حسابًا خاصًا لهم، وإن كانوا يظهرون أنهم مع بني عمهم العلويين،[1]

(1) في كتاب أخبار الدولة العباسية/ 200 (نسخة الكترونية في المكتبة الشاملة): «قال عيسى بن حمزة الهمدانيّ ابن أخت بكير: سمعت بكيرا يقول: قلت لمحمد بن علي: أتاني عند شخوصي إليك نعي أخي من السند وترك مالًا كثيرًا أنا وارثه فإن أذنت لي في الخروج في طلبه خرجت ووافيتك عند أوان حاجتك إليّ. قال: قد أذنت لك فامض على بركة الله لوجهك ولا تظهرنّ جدّا، ولتكن دعوتكم وما تلقى به العامة أن تدعوهم إلى الرضا من آل محمد، وتذكر جور بني أميّة، وأن آل محمد أولى بالأمر منهم، فإذا بلغك أنّ الأحول من بني أميّة قد ملك فعجّل الإقبال إليّ ولا تعرّج على شيء، وأبلغ أصحابك ما ألقيت إليك ومرهم بالكفّ إلّا في مثل ما ألقيت حتى يأتيهم رأيي، وحذّر شيعتنا التحرك في شيء مما تتحرك فيه بنو عمّنا من آل أبي طالب، فإن خارجهم مقتول وقائمهم مخذول وليس لهم في الأمر نصيب».

بل انقلبوا عليهم بعدما كانوا قد بايعوهم،[1] وبالطبع فقد قاوم العلويون وبالذات بنو الحسن المجتبى ذلك التنكر لهم والانقلاب عليهم، لا سيما وأن العباسيين وبالذات المنصور العباسي كان يريد إذعانهم وإقرارهم بالبيعة له وإلا سجنهم أو قتلهم، وأدى ذلك إلى إعلان بعضهم الثورة عليه، وخاض المنصور العباسي المعركة بكل أسلحته، وكان منها تشويه سمعة جدهم الإمام الحسن وجدهم الأعلى الإمام علي عليه السلام، ومسح كل حسنات جده عبدالله بن عباس التي تعلمها من أمير المؤمنين علي عليه السلام، وغيّر اتجاه الأسرة العباسية؛ انتماءً وعقيدة وفقهًا ليصبح على خط المواجهة الساخن مع كل ما يمثله أمير المؤمنين من عقائد وفقه وانتماء اجتماعي وولاء. وأعلن الحرب على كل شيء يرتبط به.[2]

ولم يتوقف الأمر مع موت المنصور العباسي بل جعله سياسة دائمة[3] وصبغة لازمة، وسار أبناؤه وأحفاده مع أحفاد

(1) توضيح ذلك في سيرة الإمام جعفر الصادق عليه السلام وأدوار المنصور العباسي.

(2) تجد تفاصيله في سيرة الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

(3) الطبري: تاريخ الطبري 8/ 104 «لما عزم المنصور على الحج دعا ريطة بنت أبي العباس امرأة المهدي- وكان المهدي بالري قبل شخوص أبي جعفر- فأوصاها بما أراد، وعهد إليها، ودفع إليها مفاتيح الخزائن، وتقدم إليها واحلفها، ووكد الإيمان الا تفتح بعض تلك الخزائن، ولا تطلع عليها أحدًا إلا المهدي، ولا هي، إلا أن يصح عندها موته، فإذا صح ذلك اجتمعت هي والمهدي وليس معهما ثالث، حتى يفتحا الخزانة فلما قدم المهدي من الري إلى مدينة السلام، دفعت إليه المفاتيح، وأخبرته عن المنصور أنه تقدم إليها فيه ألا يفتحه ولا يطلع عليه أحدًا حتى يصح عندها موته فلما انتهى إلى المهدي موت المنصور وولي الخلافة، فتح الباب ومعه ريطة، =

أمير المؤمنين وأئمة أهل البيت عليهم السلام بنفس السياسة (وإن كانت مظاهرها تتغير ودرجتها تختلف من حاكم عباسي لآخر إلا أن الجوهر واحد) فجاء المهدي ابنه وسار على نهجه، وبعد المهدي العباسي جاء الهادي والذي نفذ مجزرة في فخ هي ثانية كربلاء[1] من حيث قسوتها وشناعتها، وبنفس المقدار الذي ترجم فيه الحاكمون وحشيتهم وقسوتهم فقد شكل ذلك وقودًا للثوار العلويين يدفعهم باتجاه رفض الخنوع والقبول بالحكم العباسي.

وهكذا تتابعت الأمور، وكان الشق يزداد بين (أبناء العمومة) حتى لقد فعل بنو العباس في بني علي ما لم يفعله بنو أمية.[2] وكان هم العباسيين إثبات أن شرعية الخلافة هي لهم دون العلويين وان نسبهم إلى النبي أقرب فالعم (العباس) أقرب من ابن العم (الإمام علي) وأن الحسنين ليسا ابني النبي وإنما أبناء بنته![3]

= فإذا أزج كبير فيه جماعة من قتلاء الطالبين، وفي آذانهم رقاع فيها أنسابهم، وإذا فيهم أطفال ورجال شباب ومشايخ عدة كثيرة، فلما رأى ذلك المهدي ارتاع لما رأى، وأمر فحفرت لهم حفيرة فدفنوا فيها، وعمل عليهم دكان..»

(1) المجلسي؛ المولى محمد باقر: مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول4/ 161: روى مؤلف كتاب عمدة الطالب عن أبي نصر البخاري عن محمد الجواد بن علي الرضا عليه السلام أنه قال: لم يكن لنا بعد الطف مصرع أعظم من فخ.
وروى صاحب معجم البلدان عنه عليه السلام مثله.

(2) حتى لقد قال الشاعر:
تـــالله مـــا فـعـلـت أمـيـــة فـيـهـم معـشـار مـا فعلت بـنـو العباس

(3) تجد أن أكثر الخلفاء العباسيين يناظرون العلويين في أنهم أقرب إلى النبي ويعطون الأموال الطائلة للشعراء الذين ينشدون في معنى (أنى يكون وليس ذاك بكائن لبني البنات وراثة =

كل ذلك يمكن فهمه ضمن إطار التنافس السياسي على الحكم، إلا أننا نعتقد أن الأمر قد تجاوز موضوع التنافس على الحكومة إلى إيجاد حالة من البغض خاصة لأمير المؤمنين علي عليه السلام، حتى ليصل في زمان المتوكل العباسي إلى درجة (النصب) ويعد المتوكل هذا من (النواصب)!

مظاهر بغض المتوكل للإمام علي:

قد نقلنا في بعض الحواشي في صفحات سابقة هذه النصوص وأمثالها التي تثبت شدة بغض المتوكل وحاشيته لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والتي ذكرها أكثر من مؤرخ من بينهم الطبري، وابن الأثير ونعيد ذكر تلك العبارات لمناسبتها للموضوع هنا وارتباطها به قال: ابن الأثير في كتابه:

1/ «في هذه السنة (230 هـ) أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي، عليه السلام، وهدم ما حوله من المنازل والدور، وأن يبذر ويسقى قبره، وأن يمنع الناس من إتيانه، فنادى [عامل صاحب الشرطة] بالناس في تلك الناحية: من وجدناه عند قبره، بعد ثلاثة، حبسناه في المطبق! فهرب الناس، وتركوا زيارته، وحرث، وزرع.

= الأعمام)! فترى المنصور العباسي يستميت جاهدًا في إثبات ذلك في وجه محمد النفس الزكية، وهو مرة أخرى مع الإمام الصادق، والمهدي مع الإمام الكاظم، والرشيد مع الإمام الكاظم أيضًا والمأمون مع الإمام الرضا وهكذا..

2/ وكان المتوكل شديد البغض لعلي بن أبي طالب، عليه السلام، ولأهل بيته، وكان يقصد من يبلغه عنه أنه يتولى عليًّا وأهله بأخذ المال والدم.

3/ وكان من جملة ندمائه عبادة المخنث، وكان يشد على بطنه، تحت ثيابه، مخدة، ويكشف رأسه، وهو أصلع، ويرقص بين يدي المتوكل، والمغنون يغنون: قد أقبل الأصلع البطين، خليفة المسلمين، يحكي بذلك عليًّا عليه السلام، والمتوكل يشرب، ويضحك، ففعل ذلك يومًا، والمنتصر حاضر، فأومأ إلى عبادة يتهدده، فسكت خوفًا منه، فقال المتوكل: ما حالك؟ فقام، وأخبره، فقال المنتصر: يا أمير المؤمنين إن الذي يحكيه هذا الكاتب، ويضحك منه الناس، هو ابن عمك، وشيخ أهل بيتك، وبه فخرك، فكل أنت لحمه، إذا شئت، ولا تطعم هذا الكلب وأمثاله منه! فقال المتوكل للمغنين: غنوا جميعًا:

غار الفتى لابن عمه رأس الفتى في حر أمه

فكان هذا من الأسباب التي استحل بها المنتصر قتل المتوكل.

4/ وكان ينادمه ويجالسه جماعة قد اشتهروا بالنصب، والبغض لعلي، منهم: علي بن الجهم، الشاعر الشامي، ومن بني شامة ابن لؤي، وعمر بن فرج الرخجي، وأبو السمط من

ولد مروان بن أبي حفصة، من موالي بني أمية، وعبد الله بن محمد بن داود الهاشمي المعروف بابن أترجة»[1]

وقد نسي أو ترك ابن الأثير مظاهر أخر؛ منها:

5/ أنه قتل ابن السكيت الكوفي لأنه فضّل الإمامين الحسن والحسين على ابنيه! وكأنه مقتنع (!) بأن ابنيه أفضل مخالفًا في ذلك لقول رسول الله (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة).

6/ أنه أراد جلد علي بن أبي نصر الجهضمي ألف سوط لأنه أورد حديثا عن النبي فيه مدح لعلي والحسنين عليهم السلام.[2]

وبطبيعة الحال فإنه إذا كان الخليفة على هذا المستوى من القباحة في بغض الإمام علي عليه السلام فإن السياسة العامة ستتبعه.

سنلاحظ أن مصطلح النصب[3] قد لا ينطبق بدقة على المتوكل وجلسائه المذكورين، لا لجهة قلة بغضهم فقد أغرقوا نزعًا فيه وطاشت سهامهم! وإنما لأنه قد أخذ فيه التدين ببغضه عليه السلام، وهؤلاء لا دين لهم ولا تدين، وإنما هو الغرق في الدنيا وشهواتها! نعم هو صادق على مثل الخوارج الذين لضلالهم

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ 6/ 130.

(2) مر الحديث عن الراوي وعن الحادثة.

(3) قال في القاموس المحيط 138:والنَّواصِبُ والنَّاصِبِيَّةُ وأهلُ النَّصْبِ: المُتَدَيّنونَ بِبِغْضَةِ عليّ رضي الله عنه، لأَنَّهُمْ نَصَبُوا له، أي: عادَوْهُ.

كانوا يرون أن من الدين تكفير أمير المؤمنين عليه السلام، وأما هؤلاء الذين يعاقرون الخمر صباح مساء، ويمارسون الزنا بلا حياء فلا دين لهم حتى يتدينوا به في بغض الإمام أو لا.. نعم هم في بغضه أشد وأشنع من الخوارج.

وتفرع من هذا البغض لأمير المؤمنين بغض أبنائه والتعرض لمن ينتسب له، أو ينتهج منهاجه، فقد مرَّ بنا كيف أن ابن اترجة الذي ذكرته بعض المصادر بعنوان بريحة قد أرسل للمتوكل رسالة يحرض فيها على إخراج الإمام الهادي من المدينة! وأن عمر الرخجي كان يفتش في أيام المعتصم العباسي بيوت العلويين حتى غضب منه مع أن المعتصم من يعد من مبغضي الإمام أمير المؤمنين (فويلٌ لمن كفّره نمرود كما قيل). وأما علي بن الجهم «فكان مشهورًا بالنصب كثير الحط على علي وأهل البيت. وقيل: إنه كان يلعن أباه لِمَ سمّاه عَلِيًّا».[1]

فرأس الدولة وندماؤه والمقربون منه والوزراء هم من هذه الفئة، فماذا ترى ينفق في هذه السوق؟ أضف إليها أن حديث أمير المؤمنين عليه السلام وفقهه ونموذجه قد تم تغييبه منذ وقت مبكر من تسلط العباسيين زيادة على ما كان من تغييبه أيام الأمويين.

(1) العسقلاني؛ ابن حجر: لسان الميزان ت أبي غدة 5/ 509.

لذلك نعتقد أن الإمام الهادي عليه السلام، أكد على أمور في هذا الجانب:

منها: زيارة أمير المؤمنين عليه السلام بشكل عام ولا سيما يوم الغدير لما يحمل هذا اليوم من رمزية خاصة لكونه يوم تنصيب الإمام وليًّا على المسلمين بيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وأنشأ عليه الزيارة الخاصة التي سيأتي نصها والإلفات إلى مواضيعها المهمة وهي عبارة عن سرد لتاريخ أمير المؤمنين منذ أول أيام بعثة النبي وإلى أن استشهد عليه السلام في الكوفة، وبيان خصائصه وعالي صفاته..

وكذلك فقد روي عنه زيارة أخرى مختصرة لجده أمير المؤمنين عليه السلام واصفًا إياه بأنه أول مظلوم وأول من غصب حقه.[1]

ومنها: التوصية بزيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام بالرغم من المنع الرسمي وعمليات الهدم المتكررة للقبر الشريف والعمارة القائمة آنئذ، وقيل إنه تم تهديم القبر ثلاث مرات أيام المتوكل العباسي وهي فترة لم تتجاوز خمسة عشر عامًا.

بل كان يرسل إلى قبر الحسين في كربلاء من يدعو له للشفاء من مرضه.[2] وكذلك إنشاء الزيارات ليقرأها الزائر، ويلفت النظر

(1) عطاردي: مسند الإمام الهادي عليه السلام 260 ناقلًا عن الكافي للكليني.

(2) نفس المصدر 263: أبو هاشم الجعفري قال: دخلت على أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام وهو محموم عليل فقال لي: يا أبا هاشم ابعث رجلًا من موالينا إلى الحائر يدعو اللّه لي. فخرجت من عنده فاستقبلني علي بن بلال فأعلمته ما قال لي وسألته ان يكون الرجل الذي يخرج. =

أن إحدى هذه الزيارات فيها إقرار بالمعصومين عليهم السلام وإشهاد على إمامتهم فإنه قد نقل الكليني في الكافي أنه بعد زيارة الإمام «تضع خدّك الأيمن على القبر وقل: أشهد أنّك على بيّنة من ربّك جئت مقرًّا بالذّنوب لتشفع لي عند ربّك يا بن رسول اللّه» ثمّ اذكر الأئمة بأسمائهم واحدًا واحدًا وقل: «أشهد أنّكم حجة اللّه» ثمّ قل: اكتب لي عندك ميثاقًا وعهدًا أنّي أجدّد الميثاق فاشهد لي عند ربّك إنّك أنت الشاهد».[1]

بل نجد روايات عنه وزيارات للأئمة المعصومين كجده الرضا والكاظمين عليهم السلام.

وكذلك ما نقل عنه من الروايات عن جده أمير المؤمنين عليه السلام والإشارة إلى أن لديهم كتاب علي بن أبي طالب، كلُّ ذلك يؤكد حضور الإمام عليه السلام وأبنائه في الساحة الاجتماعية الشعبية عبر الزيارات، ويؤكد حضوره العلمي والفكري، ومما نقل عن الإمام الهادي عليه السلام في هذا الصدد ما رواه أبو دعامة قال: أتيت علي بن محمد بن علي بن موسى عائدًا في علته التي كانت وفاته منها في

= فقال: السّمع والطاعة ولكنّني أقول: انّه أفضل من الحائر إذ كان بمنزلة من في الحائر ودعاؤه لنفسه أفضل من دعائي له بالحائر، فأعلمته عليه السلام ما قال، فقال لي: قل له: كان رسول اللّه صلى الله عليه وآله أفضل من البيت والحجر وكان يطوف بالبيت ويستلم الحجر وانّ للّه تعالى بقاعا يحبّ ان يدعى فيها فيستجيب لمن دعاه والحائر منها.

(1) عطاردي: مسند الإمام الهادي عليه السلام / 261.

هذه السنة، فلما هممت بالانصراف قال لي: يا أبا دعامة قد وجب حقك، أفلا أحدثك بحديث تسر به؟ قال: فقلت له: ما أحوجني إلى ذلك يا بن رسول اللّه!

قال: حدثني أبي محمد بن علي، قال: حدثني أبي علي بن موسى، قال: حدثني أبي موسى بن جعفر، قال: حدثني أبي جعفر بن محمد قال: حدثني أبي محمد بن علي، قال: حدثني أبي علي بن الحسين، قال: حدثني أبي الحسين بن علي، قال: حدثني أبي علي بن أبي طالب، رضي اللّه عنهم! قال: قال رسول اللّه ﷺ «اكتب يا علي» قال: قال: قلت: وما أكتب؟ قال لي: «اكتب بسم اللّه الرحمن الرحيم، الإيمان ما وقرته القلوب، وصدقته الأعمال، والإسلام ما جرى به اللسان، وحلت به المناكحة» قال أبو دعامة: فقلت: يا بن رسول اللّه، ما أدرى واللّه أيهما أحسن: الحديث أم الإسناد؟ فقال: إنها لصحيفة بخط علي بن أبي طالب بإملاء رسول اللّه ﷺ نتوارثها صاغرًا عن كابر».[1]

والتجلّي الأكبر لمواجهة خط البغض (والكراهية) لأمير المؤمنين عليه السلام تجلى في زيارة الإمام الهادي الغديرية، فلنعرض إليها:

(1) عطاردي 57

زيارة الغدير تأريخ حياة وفضائل:

1/ نلاحظ أن هذه الزيارة قام بها الإمام نفسه حيث جعل طريقه عندما أشخصه المعتصم العباسي إلى بغداد في سنة 243هـ كما تقدم، وكان بإمكانه ألا يمر بالكوفة والنجف، لكنه قصد هذه البقعة ليستن به شيعته، فإن هناك من يتساءل بسذاجة: هل كان الأئمة يزورون قبور آبائهم وأجدادهم؟ وكأن الأئمة الذين كانوا يؤكدون تمام التأكيد على الزيارة قصدًا وذهابًا ومشيًا وحتى مع احتفافها بالخطر كما ورد في روايات زيارة الإمام الحسين يأمرون الناس وينسون أنفسهم!!

2/ تؤرخ هذه الزيارة لحياة أمير المؤمنين صلوات الله عليه منذ كان صغيرًا في خدمة رسول الله كأول المؤمنين به والسابقين إلى التصديق به، وتعرض إلى جهاده وحروبه في صف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كبدرٍ والأحزاب وخيبر وحنين، مستشهدة بآيات القرآن الكريم في ذلك، كما تؤرخ لواقعة الغدير وتفاصيلها، حتى إذا غادر النبي المصطفى هذه الحياة الدنيا وحصل الانقلاب على وصاياه، تناولت أمر مظلومية فاطمة الزهراء عليها السلام، حتى أنه ردت شهادة الحسنين وأبيهما في حقها! وبينت لماذا اتخذ أمير المؤمنين موقف الصبر لمصلحة الدين، وأن ذلك لم يكن عن خوف أو ضراعة فما اتقى

ضارعًا ولا أمسك عن حقه جازعًا ولا أظهر الرضا بخلاف ما يرضي الله مداهنًا ولا استكان عن طلب حقه مراقبًا!

وإذا كان جزء مهم من حياة الإمام قد وقع في أيام خلافته الظاهرية فإن الزيارة ـ بلسان الإمام الهادي عليه السلام ـ قد تناولت ما وقع فيها من حروب وفتن، فالزيارة تثبت أن قضية الجمل كان يحركها الطمع والنفاق فقد فضح الإمام الناكثين في بدو حركتهما عندما قالا: نُرِيدُ الْعُمْرَةَ! فقال لهما: ما تُرِيدانِ الْعُمْرَةَ لكِنْ تُرِيدانِ الْغَدْرَةَ! وبينما جدد عليهما الميثاق فقد جدّا كما تقول الزيارة في النفاق.

وأما قاسطو صفين فقد مزقت الزيارة ستورهم، وجلودهم، بعدما كانوا «لا يَدينُونَ دينَ الْحَقِّ، وَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ» بل هم «هَمَجٌ رَعاعٌ ضالّوُنَ، وَبِالَّذي اُنْزِلَ عَلى مُحَمَّد في علي عليه السلام كافِرونَ» ولا غرابة في ذلك فعدوُّ عليٍّ «عَدُوُّ اللَّهِ جاحِدٌ لِرَسُولِ اللَّهِ يَدْعُو باطِلًا، وَيَحْكُمُ جائِرًا، وَيَتَاَمَّرُ غاصِبًا، وَيَدْعُو حِزْبَهُ اِلَى النّارِ، وَعَمّارٌ يُجاهِدُ وَيُنادي بَيْنَ الصَّفَّيْنِ: الرَّواحَ الرَّواحَ اِلَى الْجَنَّةِ، وَلَمَّا اسْتَسْقى فَسُقِيَ اللَّبَنَ كَبَّرَ وَقالَ: قالَ لي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: آخِرُ شَرابِكَ مِنَ الدُّنْيا ضَياحٌ مِنْ لَبَن، وَتَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْباغِيَةُ، فَاعْتَرَضَهُ اَبُو الْعادِيَةِ الْفَزارِيُّ فَقَتَلَهُ، فَعَلى اَبِي الْعادِيَةِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَلَعْنَةُ مَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ اَجْمَعينَ، وَعَلى مَنْ سَلَّ سَيْفَهُ عَلَيْكَ وَسَلَلْتَ سَيْفَكَ عَلَيْهِ يا اَميرَ الْمُؤْمِنينَ مِنَ الْمُشْرِكينَ وَالْمُنافِقينَ اِلى يَوْمِ الدّين».

وكان بإمكان أمير المؤمنين عليه السلام في فترة ولايته أن يداهن هذا ويخادن ذاك، ويلعب على حبال المطامع كما صنع غيره قبله وبعده، ولكن إذا فعل ذلك فما فرقه عنهم؟ لقد كان تقى الإمام حاجزًا عن ذلك وهوى غيره دافعًا لأولئك فـ «كَمْ مِنْ اَمْر صَدَّكَ عَنْ اِمْضاءِ عَزْمِكَ فيهِ التُّقى، وَاتَّبَعَ غَيْرُكَ في مِثْلِهِ الْهَوى، فَظَنَّ الْجاهِلُونَ اَنَّكَ عَجَزْتَ عَمّا اِلَيْهِ انْتَهى، ضَلَّ وَاللَّهِ الظّانُّ لِذلِكَ وَمَا اهْتَدى، وَلَقَدْ اَوْضَحْتَ ما اَشْكَلَ مِنْ ذلِكَ لِمَنْ تَوَهَّمَ وَامْتَرى بِقَوْلِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ: قَدْ يَرَى الْحُوَّلُ الْقُلَّبُ وَجْهَ الْحيلَةِ وَدُونَها حاجِزٌ مِنْ تَقْوَى اللَّهِ فَيَدَعُها رَأيَ الْعَيْنِ، وَيَنْتَهِزُ فُرْصَتَها مَنْ لا حَريجَةَ لَهُ فِي الدّينِ.

إلى أن تنتهي الزيارة إلى تمني الإمام عليه السلام الشهادة، وانتظاره أن يبعث أشقى الأمة ليخضب شيبته من هامته فكم ردد القول: «اَما آنَ اَنْ تُخْضَبَ هذِهِ مِنْ هذِهِ؟ اَمْ مَتى يُبْعَثُ اَشْقاها؟».

3/ تحتوي الزيارة على ما يقرب من 100 صفة وخاصية من صفات وخصائص أمير المؤمنين عليه السلام، فإنها بعد أن تبدأ بالسلام على رسول الله أمين الله على وحيه وعزائم أمره، إذ كان الخاتم لما سبق من الرسالات والرسل والفاتح لما يستقبل من الخير والكرامة والبركة، يعطف بالسلام على الأنبياء والمرسلين إذ كان الجميع في خط إلهي واحد.

وبعدها يبدأ في ذكر خصائص الإمام وصفاته، فأنت هنا تلتقي بموسوعة من الصفات والخصائص لا يتسع مقامنا لذكرها بالكامل فلنشر لبعضها، ولنُحِل القارئ الكريم للزيارة ليتأمل بنفسه فيها؛ فهو يذكر الإمام عليه السلام باعتبار أنه أمير المؤمنين، وسيد الوصيين ووارث علم النبيين ومولى المؤمنين والنبأ العظيم، وأنه الذي آمن بالله بينما كان سواه مشركًا وصدق بالنبي بينما غيره كان مكذبًا وكان المقدم في الجهاد وغيره كان محجمًا.. فهذه خصائص لا يدعيها غيره إلا كان كاذبًا.

لقد كان كما يقول الإمام الهادي في الزيارة: أول من آمن بالله وصلى له وجاهد وأبدى صفحته في دار الشرك ولم يكن يعتز بغيره إذ لا تزيده كثرة الناس حوله عزة ولا تفرقهم عنه وحشة!

وقد شابه سلفه الصالح من أنبياء الله وأوصيائه في خطهم ومحنتهم ولا غرابة في ذلك، فإذا كان إسماعيل امتحن بالذبح صابرًا فأجاب فإن عليًّا قد امتحن بالمبيت على فراش النبي والموت محدق به من كل النواحي، وكما استجاب إسماعيل بقوله لأبيه: افعل ما تؤمر فقد استجاب أمير المؤمنين لأخيه وابن عمه رسول الله وبات على فراشه. فنزل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾[1].

(1) البقرة: 207.

وإذا كان هارون قد فتن بعجل السامري وتفرق عنه قوم موسى إذ خرج لميقات ربه، فقد فتن الشكاكون بالمصاحف المرفوعة على الرماح في صفين وتفرقوا عن أمير المؤمنين.

4/ كما في البنية العامة للزيارات من احتوائها على السلام، كذلك في احتوائها على شهادة الزائر بما يعتقده من عقائد ويخرجها باللفظ معلنًا إيّاها على الشهود والحضور، فإننا نجد أن هذه الزيارة فيها من الشهادات اثنتا عشرة شهادة؛ فالإمام الهادي هنا **يشهد** بأن أمير المؤمنين عليه السلام أخو رسول الله ووصيه ووارث علمه وأمينه على شرعه وخليفته في أمته وأنه أول من آمن به وصدق بما أنزل على نبيه.

كما **يشهد** بأن رسول الله قد أدى مسؤوليته في الإبلاغ في شأن علي ما حمل، فقد صدع بأمره في الغدير فجعل الإمام أولى بالمؤمنين من أنفسهم وعقد البيعة عليهم، وأشهد الله تعالى على ذلك فقال: اللهم اشهد وكفى بك شهيدا.

ويشهد الإمام الهادي بأن أمير المؤمنين قد وفى بعهد الله، وأنه هو وعمه حمزة وأخاه جعفرًا قد تاجروا الله بنفوسهم فأنزل فيه وفيهم آية ﴿فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1] ووصفهم

(1) التوبة: 111.

بأنهم ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾[1]

كما **يشهد** الإمام بأن الشاك فيه ما آمن بالرسول الأمين، وأن من عدل عنه لغيره عاند عن الدين القويم.

ويشهد عليه السلام بأنه الصراط المستقيم الذي أُمِر الناس أن يتبعوه وألّا يتبعوا السبل فتفرق بهم عن سبيله.

كما **يشهد** بأنه لم يزل للهوى مخالفًا وللتقى محالفًا وعن الناس عافيًا وإذا عصي الله ساخطًا.

كما **يشهد** شهادة حق ويقسم بالله قسم صدق أن محمدًا وآله صلوات الله عليهم هم سادات الخلق.

ولك عزيزي القارئ أن تلاحظ فقرات الزيارة لترى بقية الشهادات التي يقدمها الإمام الهادي عليه السلام ويعلم شيعته من بعده إياها في الإيمان بها وإظهارها من خلال الشهادة بها أمام قبر المعصوم عليه السلام.

5/ اشتملت هذه الزيارة على الكثير من الآيات التي نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام أو التي أُوّلت به؛ حيث بلغت نحو **احدى وعشرين آية؛ فمنها**: آية الولاية والنبأ والصراط المستقيم وشراء الله من

(1) التوبة: 112.

المؤمنين أنفسهم وآية عدم استواء العالمين وغير العالمين وتفضيل المجاهدين وتفضيل الإيمان على سقاية الحاج وآية التبليغ لما أنزل بالمؤمن والمؤمنين وآية التطهير وأنه والنبي من المصلين والأمر بالكون مع الصادقين وغيرها..

6/ احتوت الزيارة الهادوية لأمير المؤمنين على عدد كبير من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صراحة أو إشارة، بل نستطيع القول إن كل فقرة من الزيارة هي إشارة لحديث من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

7/ نلحظ فيها توجه البراءة من أعداء الله وأعداء أمير المؤمنين عليه السلام واضحًا ولعل في ذلك إشارة إلى ما كان عليه المتوكل العباسي الذي كان مشهورًا بالنصب وبغض علي بن أبي طالب عليه السلام، بل وحتى المعتصم، وبطبيعة الحال إذا كان الأمر على هذا المستوى من العداء في رأس الدولة فمن الطبيعي أن يتقرب من دونه له بالمزيد من إظهار العداء، بل ستكون السياسة العامة هي هذه! من إنكار فضائل الإمام وتقديم غيره عليه بل وافتراء المثالب عليه.. ولهذا وجدنا حفيده الإمام عليًّا الهادي يلعنهم ويشير إلى إفكهم ويشهد على ضلالهم، وأسوأ من هؤلاء من عانده وخالفه فتارة يقول: «اَفَكَ مَنْ نَسَبَ غَيْرَ ذلِكَ اِلَيْكَ، وَافْتَرى باطِلًا عَلَيْكَ،

وَاَوْلي لِمَنْ عَنَدَ عَنْكَ». وأخرى يقول: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ساواكَ بِمَنْ ناواكَ، وَاللَّهُ جَلَّ اسْمُهُ يَقُولُ: ﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]، فَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ عَدَلَ بِكَ مَنْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ وِلايَتَكَ وَاَنْتَ وَلِيُّ اللَّهِ وَاَخُو رَسُولِهِ». وثالثة يلعن كل الظالمين لآل محمد والتابعين لهم والراضين بفعلهم من أولهم إلى يوم القيامة فيقول: «اَللّهُمَّ الْعَنْ قَتَلَةَ اَميرِ الْمُؤْمِنينَ وَمَنْ ظَلَمَهُ وَاَشْياعَهُمْ وَاَنْصارَهُم، اَللّهُمَّ الْعَنْ ظالِمي الْحُسَيْنِ وَقاتِليهِ، وَالْمُتابِعينَ عَدُوَّهُ، وَناصِريهِ، وَالرّاضينَ بِقَتْلِهِ وَخاذِليهِ لَعْنًا وَبيلًا، اَللّهُمَّ الْعَنْ اَوَّلَ ظالِم ظَلَمَ آلَ مُحَمَّد وَمانِعيهِمْ حُقُوقَهُمْ، اَللّهُمَّ خُصَّ اَوَّلَ ظالِم وَغاصِب لآلِ مُحَمَّد بِاللَّعْنِ، وَكُلَّ مُسْتَن بِما سَنَّ اِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ».

وأما نص الزيارة:

فهذه الزيارة مرويّة[2] بإسناد معتبر عن الإمام عليّ بن محمد النقي عليه السلام قد زار عليه السلام بها الأمير عليه السلام يوم الغدير في السّنة التي

(1) الزمر: 9.

(2) المشهدي؛ محمد بن جعفر: المزار 263/ قال: وأخبرني الفقيه الاجل أبو الفضل شاذان بن جبرئيل القمي رحمه الله، عن الفقيه العماد محمد بن أبي القاسم الطبري، عن أبي علي، عن والده، عن محمد بن محمد بن النعمان، عن أبي القاسم جعفر بن قولويه، عن محمد بن يعقوب الكليني، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أبي القاسم بن روح وعثمان بن سعيد العمري، عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري، عن أبيه صلوات الله عليهما وذكر انه عليه السلام زار بها في يوم الغدير في السنة التي اشخصه المعتصم.

أشخصه المعتصم، وصفتها كما يلي: إذا أردت ذلك فقف على باب القُبّة المنوّرة واستأذن، وقال الشّيخ الشّهيد: تغتسل وتلبس أنظف ثيابك وتستأذن وتقول: اَللّهُمَّ اِنّي وَقَفْتُ عَلى باب وهذا هوَ الاستيذان الاوّل الذي اثبتناه في الباب الأوّل ثمّ ادخل مقدمًا رجلك اليمنى على اليسرى وامش حتّى تقف على الضّريح واستقبله واجعل القِبلة بين كتفيك وقُل:

اَلسَّلامُ عَلى مُحَمَّد رَسُولِ اللَّهِ خاتَمِ النَّبِيّينَ وَسَيِّدِ الْمُرْسَلينَ، وَصَفْوَةِ رَبِّ الْعالَمينَ، اَمينِ اللَّهِ عَلى وَحْيِهِ وَعَزائِمِ اَمْرِهِ، وَالْخاتِمِ لِما سَبَقَ، وَالْفاتِحِ لِمَا اسْتُقْبِلَ، وَالْمُهَيْمِنِ عَلى ذلِكَ كُلِّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكاتُهُ وَصَلَواتُهُ وَتَحِيّاتُهُ، اَلسَّلامُ عَلى اَنْبِياءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَمَلائِكَتِهِ الْمُقَرَّبينَ وَعِبادِهِ الصّالِحينَ.

اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا اَميرَ الْمُؤْمِنينَ، وَسَيِّدَ الْوَصِيّينَ، وَوارِثَ عِلْمِ النَّبِيّينَ، وَوَلِيَّ رَبِّ الْعالَمينَ، وَمَوْلايَ وَمَوْلَى الْمُؤْمِنينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكاتُهُ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا مَوْلايَ يا اَميرَ المؤمنين يا اَمينَ اللَّهِ في اَرْضِهِ، وَسَفيرَهُ في خَلْقِهِ، وَحُجَّتَهُ الْبالِغَةَ عَلى عِبادِهِ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا دينَ اللَّهِ الْقَويمَ، وَصِراطَهُ الْمُسْتَقيمَ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ اَيُّهَا النَّبَأُ الْعَظيمُ الَّذي هُمْ فيهِ مُخْتَلِفُونَ وَعَنْهُ يَسْأَلُونَ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا اَميرَ الْمُؤْمِنينَ، آمَنْتَ بِاللَّهِ وَهُمْ مُشْرِكُونَ، وَصَدَّقْتَ بِالْحَقِّ وَهُمْ

مُكَذِّبُونَ، وَجاهَدْتَ وَهُمْ مُحْجِمُونَ، وَعَبَدْتَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدّينَ صابِرًا مُحْتَسِبًا حَتّى أَتاكَ الْيَقينُ، اَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظّالِمينَ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا سَيِّدَ الْمُسْلِمينَ، وَيَعْسُوبَ الْمُؤْمِنين وَاِمامَ الْمُتَّقينَ، وقائد الْغُرِّ الْمحَجَّلينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكاتُهُ، اَشْهَدُ اَنَّكَ اَخُو رَسُولِ اللَّهِ وَوَصِيُّهُ، وَوارِثُ عِلْمِهِ وَاَمينُهُ عَلى شَرْعِهِ وَخَليفَتُهُ في اُمَّتِهِ، وَاَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ، وَصَدَّقَ بِما اُنْزِلَ عَلى نَبِيِّهِ، وَاَشْهَدُ اَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ عَنِ اللَّهِ ما اَنْزَلَهُ فيكَ، فَصَدَعَ بأمره، وَاَوْجَبَ عَلى اُمَّتِهِ فَرْضَ طاعَتِكَ وَوِلايَتِكَ، وَعَقَدَ عَلَيْهِمُ الْبَيْعَةَ لَكَ، وَجَعَلَكَ اَوْلى بِالْمُؤْمِنينَ مِنْ اَنْفُسِهِمْ كَما جَعَلَهُ اللَّهُ كَذلِكَ، ثُمَّ اَشْهَدَ اللَّهَ تَعالى عَلَيْهِمْ فَقالَ: اَلَسْتُ قَدْ بَلَّغْتُ، فَقالُوا: اَللّهُمَّ بَلى، فَقالَ: اَللّهُمَّ اشْهَدْ وَكَفى بِكَ شَهيدًا وَحاكِمًا بَيْنَ الْعِبادِ، فَلَعَنَ اللَّهُ جاحِدَ وِلايَتِكَ بَعْدَ الاِقْرارِ، وَناكِثَ عَهْدِكَ بَعْدَ الْميثاقِ، وَاَشْهَدُ اَنَّكَ وَفَيْتَ بِعَهْدِ اللَّهِ تَعالى، وَاَنَّ اللَّهَ تَعالى مُوف لَكَ بِعَهْدِهِ، ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1]، وَاَشْهَدُ اَنَّكَ اَميرُ الْمُؤْمِنينَ الْحَقُّ الَّذي نَطَقَ بِوِلايَتِكَ التَّنْزيلُ، وَاَخَذَ لَكَ الْعَهْدَ عَلَى الاُمَّةِ بِذلِكَ الرَّسُولُ، وَاَشْهَدُ اَنَّكَ وَعَمَّكَ وَاَخاكَ الَّذينَ تاجَرْتُمُ اللَّهَ بِنُفُوسِكُمْ فَاَنْزَلَ اللَّهُ فيكُمْ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ

(1) الفتح: 10.

وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[1] ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] ، أشهَدُ يا اَميرَ الْمُؤْمِنينَ اَنَّ الشّآكَّ فيكَ ما آمَنَ بِالرَّسُولِ الاَمينِ، وَاَنَّ الْعادِلَ بِكَ غَيْرَكَ عانِدٌ عَنِ الدّينِ الْقَويمِ الَّذِي ارْتَضاهُ لَنا رَبُّ الْعالَمينَ، وَاَكْمَلَهُ بِوِلايَتِكَ يَوْمَ الْغَديرِ، وَاَشْهَدُ اَنَّكَ الْمَعْني بِقَوْلِ الْعَزيزِ الرَّحيمِ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾[3]، ضَلَّ وَاللَّهِ وَاَضَلَّ مَنِ اتَّبَعَ سِواكَ، وَعَنَدَ عَنِ الْحَقِّ مَنْ عاداكَ، اَللّهُمَّ سَمِعْنا لأمرك وَاَطَعْنا وَاتَّبَعْنا صِراطِكَ الْمُسْتَقيمَ فَاهْدِنا رَبَّنا وَلا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ اِذْ هَدَيْتَنا اِلى طاعَتِكَ، وَاجْعَلْنا مِنَ الشّاكِرينَ لانَعْمِكَ، وَاَشْهَدُ اَنَّكَ لَمْ تَزَلْ لِلْهَوى مُخالِفًا، وَلِلتُّقى مُحالِفًا، وَعَلى كَظْمِ الْغَيْظِ قادِرًا، وَعَنِ النّاسِ عافِيًا غافِرًا، وَاِذا عُصِيَ اللَّهُ ساخِطًا، وَاِذا اُطيعَ اللَّهُ راضيًا، وَبِما عَهِدَ

(1) التوبة: 111.
(2) التوبة: 112.
(3) الأنعام: 153.

اِلَيْكَ عامِلًا، راعِيًا لِمَا اسْتُحْفِظْتَ، حافِظًا لِمَا اسْتودِعْتَ، مُبَلِّغًا ما حُمِّلْتَ، مُنْتَظِرًا ما وُعِدْتَ، وَاَشْهَدُ اَنَّكَ مَا اتَّقَيْتَ ضارِعًا، وَلا اَمْسَكْتَ عَنْ حَقِّكَ جازِعًا، وَلا أحْجَمتَ عَنْ مُجاهَدَةِ غاصِبيكَ ناكِلًا، وَلا اَظْهَرْتَ الرِّضا بِخِلافِ ما يُرْضِي اللَّهَ مُداهِنًا، وَلا وَهَنْتَ لِما اَصابَكَ في سَبيلِ اللَّهِ، وَلا ضَعُفْتَ وَلاَ اسْتكَنْتَ عَنْ طَلَبِ حَقِّكَ مُراقِبًا، مَعاذَ اللَّهِ اَنْ تَكُونَ كَذلِكَ بَلْ اِذْ ظُلِمْتَ احْتَسَبْتَ رَبَّكَ، وَفَوَّضْتَ اِلَيْهِ اَمْرَكَ، وَذَكَّرْتَهُمْ فَمَا ادَّكَرُوا وَوَعَظْتَهُمْ فَمَا اتَّعَظُوا، وَخَوَّفْتَهُمُ اللَّهَ فَما تَخَوَّفُوا، وَاَشْهَدُ اَنَّكَ يا اَميرَ الْمُؤْمِنينَ جاهَدْتَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهادِهِ حَتّى دَعاكَ اللَّهُ اِلى جِوارِهِ، وَقَبَضَكَ اِلَيْهِ بِاخْتِيارِهِ، وَاَلْزَمَ اَعْداءَكَ الْحُجَّةَ بِقَتْلِهِمْ اِيّاكَ لِتَكُونَ الْحُجَّةُ لَكَ عَلَيْهِمْ مَعَ ما لَكَ مِنَ الْحُجَجِ الْبالِغَةِ، عَلى جَميعِ خَلْقِهِ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا اَميرَ الْمُؤْمِنينَ، عَبَدْتَ اللَّهَ مُخْلِصًا، وَجاهَدْتَ فِي اللَّهِ صابِرًا، وَجُدْتَ بِنَفْسِكَ مُحْتَسِبًا، وَعَمِلْتَ بِكِتابِهِ، وَاتَّبَعْتَ سُنَّةَ نَبِيِّهِ، وَاَقَمْتَ الصَّلاةَ، وَآتَيْتَ الزَّكاةَ وَاَمَرْتَ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْمُنْكَرِ مَا اسْتَطَعْتَ، مُبْتَغِيًا ما عِنْدَ اللَّهِ، راغِبًا فيما وَعَدَ اللَّهُ، لا تَحْفِلُ بِالنَّوائِبِ، وَلا تَهِنُ عِنْدَ الشَّدائِدِ، وَلا تُحْجِمُ عَنْ مُحارِبِ اَفَكَ مَنْ نَسَبَ غَيْرَ ذلِكَ اِلَيْكَ، وَافْتَرى باطِلًا عَلَيْكَ، وَاَوْلي لِمَنْ عَنَدَ عَنْكَ، لَقَدْ جاهَدْتَ فِي اللَّهِ حَقَّ الْجِهادِ، وَصَبَرْتَ عَلَى الاَذى

صَبْرَ احْتِساب، وَاَنْتَ اَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَصَلّى لَهُ وَجاهَدَ وَاَبْدى صَفْحَتَهُ في دارِ الشِّرْكِ، وَالاَرْضُ مَشْحونَةٌ ضَلالَةً، وَالشَّيْطانُ يُعْبَدُ جَهْرَةً، وَاَنْتَ الْقائِلُ: لا تَزيدُني كَثْرَةُ النّاسِ حَوْلي عِزَّةً، وَلا تَفَرُّقُهُمْ عَنّي وَحْشَةً، وَلَوْ اَسْلَمَني النّاسُ جَميعًا لَمْ اَكُنْ مُتَضَرِّعًا، اِعْتَصَمْتَ بِاللَّهِ فَعَزَزْتَ، وَآثَرْتَ الاْخِرَةَ عَلَى الاُولى فَزَهِدْتَ وَاَيَّدَكَ اللَّهُ وَهَداكَ وَاَخْلَصَكَ وَاجْتَباكَ، فَما تَناقَضَتْ اَفْعالُكَ، وَلاَ اخْتَلَفَتْ اَقْوالُكَ، وَلا تَقَلَّبَتْ اَحْوالُكَ، وَلاَ ادَّعَيْتَ وَلاَ افْتَرَيْتَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا، وَلا شِرَهْتَ اِلَى الْحُطامِ، وَلا دَنَّسَكَ الآثام، وَلَمْ تَزَلْ عَلى بَيِّنَة مِنْ رَبِّكَ وَيَقين مِنْ اَمْرِكَ تَهْدي اِلَى الْحَقِّ وَاِلى صِراط مُسْتَقيم، اَشْهَدُ شَهادَةَ حَقّ، وَاُقْسِمُ بِاللَّهِ قَسَمَ صِدْق اَنَّ مُحَمَّدًا وَآلَهُ صَلَواتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ساداتُ الْخَلْقِ، وَاَنَّكَ مَوْلايَ وَمَوْلَى الْمُؤْمِنينَ، وَاَنَّكَ عَبْدُ اللَّهِ وَوَلِيُّهُ وَاَخُو الرَّسُولِ وَوَصِيُّهُ وَوارِثُهُ، وَاَنَّهُ الْقائِلُ لَكَ: وَالَّذي بَعَثَني بِالْحَقِّ ما آمَنَ بي مَنْ كَفَرَ بِكَ، وَلا اَقَرَّ بِاللَّهِ مَنْ جَحَدَكَ، وَقَدْ ضَلَّ مَنْ صَدَّ عَنْكَ وَلَمْ يَهْتَدِ اِلَى اللَّهِ، وَلا اِلَيَّ مَنْ لا يَهْتَدي بِكَ، وَهُوَ قَوْلُ رَبّي عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ** ﴾[1] اِلى وِلايَتِكَ، مَوْلايَ فَضْلُكَ لا يَخْفى وَنُورُكَ لا يُطْفَأُ، وَاَنَّ مَنْ جَحَدَكَ الظَّلُومُ الاَشْقى، مَوْلايَ اَنْتَ الْحُجَّةُ عَلَى

(1) طه: 82.

الْعِبادِ، وَالْهادي اِلَى الرَّشادِ، وَالْعُدَّةُ لِلْمَعادِ، مَوْلايَ لَقَدْ رَفَعَ اللَّهُ فِي الاُولى مَنْزِلَتَكَ، وَاَعْلى فِي الاْخِرَةِ دَرَجَتَكَ، وَبَصَّرَكَ ما عَمِيَ عَلى مَنْ خالَفَكَ، وَحالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَواهِبِ اللَّهِ لَكَ، فَلَعَنَ اللَّهُ مُسْتَحِلِّي الْحُرْمَةِ مِنْكَ وَذائِدِي الْحَقِّ عَنْكَ، وَاَشْهَدُ اَنَّهُمُ الاَخْسَرُونَ الذَّينَ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النّارُ وَهُمْ فيها كالِحُونَ، وَاَشْهَدُ اَنَّكَ ما اَقْدَمْتَ وَلا أحجَمْتَ وَلا نَطَقْتَ وَلا اَمْسَكْتَ اِلاّ بأمر مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، قُلْتَ: وَالَّذي نَفْسي بِيَدِهِ لَقَدْ نَظَرَ اِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اَضْرِبُ بِالسَّيْفِ قُدُمًا، فَقالَ: يا عَلِيُّ اَنْتَ مِنّي بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسى اِلاّ اَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعدْي، وَاُعْلِمُكَ اَنَّ مَوْتَكَ وَحَياتَكَ مَعي وَعَلى سُنَّتي، فَوَاللَّهِ ما كَذِبْتُ وَلا كُذِبْتُ، وَلا ضَلَلْتُ وَلا ضُلَّ بي، وَلا نَسيتُ ما عَهِدَ اِلَيَّ رَبّي، وَاِنّي لَعَلى بَيِّنَة مِنْ رَبّي بَيَّنَها لِنَبِيِّهِ، وَبَيَّنَهَا النَّبِيُّ لي وَاِنّي لَعَلَى الطَّريقِ الْواضِحِ، اَلْفِظُهُ لَفْظًا، صَدَقْتَ وَاللَّهِ وَقُلْتَ الْحَقَّ، فَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ ساواكَ بِمَنْ ناواكَ، وَاللَّهُ جَلَّ اسْمُهُ يَقُولُ: ﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]، فَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ عَدَلَ بِكَ مَنْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ وِلايَتَكَ وَاَنْتَ وَلِيُّ اللَّهِ وَاَخُو رَسُولِهِ، وَالذّابُّ عَنْ دينِهِ، وَالَّذي نَطَقَ الْقُرْآنُ بِتَفْضيلِهِ، قالَ اللَّهُ تَعالى: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (*) دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً

(1) الزمر: 9.

وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[1]، وَقالَ اللَّـهُ تَعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (*) ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ (*) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (*) خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[2]، اَشْهَدُ انَّكَ الَمخْصُوصُ بِمِدْحَةِ اللَّهِ، الُمخْلِصُ لِطاعَةِ اللَّهِ، لَمْ تَبْغِ بِالْهُدى بَدَلًا، وَلَمْ تُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّكَ اَحَدًا، وَاَنَّ اللَّهَ تَعالَى اسْتَجابَ لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله وسلم فيكَ دَعْوَتَهُ ثُمَّ اَمَرَهُ بِاِظْهارِ ما اَوْلاكَ لِاُمَّتِهِ، اِعْلاءً لِشَأنِكَ، وَاِعْلانًا لِبُرْهانِكَ، وَدَحْضًا للأباطيل، وَقَطْعًا لِلْمَعاذيرِ، فَلَمّا اَشْفَقَ مِنْ فِتْنَةِ الْفاسِقينَ، وَاتَّقى فيكَ الْمُنافِقينَ، اَوْحى اِلَيْهِ رَبُّ الْعالَمينَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ ﴾[3]، فَوَضَعَ عَلى نَفْسِهِ اَوْزارَ الْمَسيرِ، وَنَهَضَ في رَمْضاءِ الْهَجيرِ، فَخَطَبَ وَاسْمَعَ وَنادى فَاَبْلَغَ ثُمَّ سَأَلَهُمْ اَجْمَعَ، فَقالَ: هَلْ بَلَّغْتُ، فَقالُوا: اللّهُمَّ بَلى، فَقالَ: اللّهُمَّ اشْهَدْ، ثُمَّ قالَ: اَلَسْتُ اَوْلى بِالْمُؤْمِنينَ مِنْ اَنْفُسِهِمْ؟، فَقالُوا: بَلى،

(1) النساء: 95 ـ 96.
(2) التوبة: 19 ـ 22.
(3) المائدة: 67.

فَاَخَذَ بِيَدِكَ وَقالَ: مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَهذا عَلِيٌّ مَوْلاهُ، اَللّهُمَّ والِ مَنْ والاهُ وَعادِ مَنْ عاداهُ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ، فَما آمَنَ بِما اَنْزَلَ اللَّهُ فيكَ عَلى نَبِيِّهِ اِلاّ قَليلٌ وَلا زادَ اَكْثَرَهُمْ غَيْرَ تَخْسير، وَلَقَدْ اَنْزَلَ اللَّهُ تَعالى فيكَ مِنْ قَبْلُ وَهُمْ كارِهُونَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[1]، ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ (*) وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[2]، ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[3]، ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾[4]، اَللّهُمَّ اِنّا نَعْلَمُ اِنَّ هذا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ، فَالْعَنْ مَنْ عارَضَهُ وَاسْتكْبَرَ وَكَذَّبَ بِهِ وَكَفَرَ، وَسَيَعْلَمُ الَّذينَ ظَلَمُوا اَيَّ مُنْقَلَب يَنْقَلِبُونَ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا اَميرَ الْمُؤْمِنينَ وَسَيِّدِ الْوَصِيّينَ، وَاَوَّلَ العابِدينَ، وَاَزْهَدَ الزّاهِدينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكاتُهُ وَصَلَواتُهُ وَتَحِيّاتُهُ، اَنْتَ مُطْعِمُ الطَّعامِ عَلى حُبِّهِ مِسْكينًا وَيَتيمًا وَاَسيرًا لِوَجْهِ اللَّهِ، لا تُريدُ مِنْهُمْ جَزاءً وَلا شُكُورًا، وَفيكَ

(1) المائدة: 54.
(2) المائدة: 55 ـ 56.
(3) آل عمران: 53.
(4) آل عمران: 8 .

اَنْزَلَ اللَّهُ تَعالى وَيُؤْثِرُونَ عَلى اَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَاوُلئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَاَنْتَ الْكاظِمُ لِلْغَيْظِ، وَالْعافي عَنِ النّاسِ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنينَ، وَاَنْتَ الصّابِرُ فِي الْبَأساءِ وَالضَّرّاءِ وَحينَ الْبَأسِ، وَاَنْتَ الْقاسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَالْعادِلُ فِي الرَّعِيَّةِ، وَالْعالِمُ بِحُدُودِ اللَّهِ مِنْ جَميعِ الْبَرِيَّةِ، وَاللَّهُ تَعالى اَخْبَرَ عَمّا اَوْلاكَ مِنْ فَضْلِهِ بِقَوْلِه: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ (*) أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[1]، وَاَنْتَ الَمخْصُوصُ بِعِلْمِ التَّنْزيلِ، وَحُكْمِ التَّأويلِ، وَنَصِّ الرَّسُولِ، وَلَكَ الْمَواقِفُ الْمَشْهُودَةُ، وَالْمَقاماتُ الْمَشْهُورَةُ، وَالاَيّامُ الْمَذْكُورَةُ يَوْمَ بَدْر وَيَوْمَ الاَحْزابِ ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا (*) هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا (*) وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا (*) وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾[2]، وَقالَ اللَّهُ تَعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ

(1) السجدة: 18 ـ 19.

(2) الأحزاب: 10 ـ 13.

ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾[1]، فَقَتَلَتْ عَمْرَهُمْ وَهَزَمْتَ جَمْعَهُمْ ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾[2]، وَيَوْمَ اُحُد (اِذْ يُصْعِدُونَ وَلا يَلْوُونَ عَلى اَحَد وَالرَّسُولُ يَدْعُوهُمْ في اُخْراهُمْ) وَاَنْتَ تَذُودُ بُهَمَ الْمُشْرِكينَ عَنِ النَّبِيِّ ذاتَ الَيمينِ وَذاتَ الشِّمالِ حَتّى رَدَّهُمُ اللَّهُ تَعالى عَنْكما خائِفينَ، وَنَصَرَ بِكَ الْخاذِلينَ، وَيَوْمَ حُنَيْن عَلى ما نَطَقَ بِهِ التَّنْزيلُ ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ (*) ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3]، وَالْمُؤْمِنُونَ اَنْتَ وَمَنْ يَليكَ، وَعَمُّكَ الْعَبّاسُ يُنادِي الْمُنْهَزِمينَ يا اَصْحابَ سورَةِ الْبَقَرَةِ، يا اَهْلَ بَيْعَةِ الشَّجَرَةِ، حَتَّى اسْتَجابَ لَهُ قَوْمٌ قَدْ كَفَيْتَهُمُ الْمَؤُنَةَ، وَتَكَفَّلْتَ دُونَهُمُ الْمَعُونَةَ، فَعادُوا آيِسينَ مِنَ المَثُوبَةِ، راجينَ وَعْدَ اللَّهِ تَعالى بِالتَّوْبَةِ، وَذلِكَ قَوْلُ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ عَلى مَنْ يَشاءُ، وَاَنْتَ حائِزٌ دَرَجَةَ الصَّبْرِ، فائِزٌ بِعَظيمِ الاَجْرِ، وَيَوْمَ خَيْبَرَ اِذْ اَظْهَرَ اللَّهُ خَوَرَ الْمُنافِقينَ، وَقَطَعَ دابِرَ الْكافِرينَ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمينَ، وَلَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللَّهَ مِنْ

(1) الأحزاب: 22.
(2) الأحزاب: 25.
(3) التوبة: 25 ـ 26.

قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الاَدْبارَ، وَكانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤولًا، مَوْلايَ اَنْتَ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ، وَالْمحَجَّةُ الْواضِحَةُ، وَالنِّعْمَةُ السّابِغَةُ، وَالْبُرْهانُ الْمُنيرُ، فَهَنيئًا لَكَ بِما آتاكَ اللَّهُ مِنْ فَضْل، وَتَبًّا لِشانِئِكَ ذِي الْجَهْلِ، شَهِدْتَ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم جَميعَ حُرُوبِهِ وَمَغازيهِ، تَحْمِلُ الرّايَةَ اَمامَهُ، وَتَضْرِبُ بِالسَّيْفِ قُدّامَهُ، ثُمَّ لِحَزْمِكَ الْمَشْهُورِ، وَبَصيرَتِكَ فِي الاُمُورِ، اَمَّرَكَ فِي الْمَواطِنِ وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ اَميرٌ، وَكَمْ مِنْ اَمْر صَدَّكَ عَنْ اِمْضاءِ عَزْمِكَ فيهِ التُّقى، وَاتَّبَعَ غَيْرُكَ في مِثْلِهِ الْهَوى، فَظَنَّ الْجاهِلُونَ اَنَّكَ عَجَزْتَ عَمّا اِلَيْهِ انْتَهى، ضَلَّ وَاللَّهِ الظّانُّ لِذلِكَ وَمَا اهْتَدى، وَلَقَدْ اَوْضَحْتَ ما اَشْكَلَ مِنْ ذلِكَ لِمَنْ تَوَهَّمَ وَامْتَرى بِقَوْلِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ: قَدْ يَرَى الْحُوَّلُ الْقُلَّبُ وَجْهَ الْحيلَةِ وَدُونَها حاجِزٌ مِنْ تَقْوَى اللَّهِ فَيَدَعُها رَأيَ الْعَيْنِ، وَيَنْتَهِزُ فُرْصَتَها مَنْ لا حَريجَةَ لَهُ فِي الدّينِ، صَدَقْتَ وَخَسِرَ الْمُبْطِلُونَ، وَاِذْ ماكَرَكَ النّاكِثانِ فَقالا: نُريدُ الْعُمْرَةَ فَقُلْتُ لَهُما: لَعَمْرُكُما ما تُريدانِ الْعُمْرَةَ لكِنْ تُريدانِ الْغَدْرَةَ، فَاَخَذْتَ الْبَيْعَةَ عَلَيْهِما، وَجَدَّدْتَ الْميثاقَ، فَجَدّا فِي النِّفاقِ، فَلَمّا نَبَّهْتَهُما عَلى فِعْلِهِما اَغْفَلا وَعادا وَمَا انْتَفَعا وَكانَ عاقِبَةُ اَمْرِهِما خُسْرًا، ثُمَّ تَلاهُما اَهْلُ الشّامِ فَسِرْتَ اِلَيْهِمْ بَعْدَ الاِعْذارِ، وَهُمْ لا يَدينُونَ دينَ الْحَقِّ، وَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ، هَمَجٌ رَعاعٌ ضالّونَ، وَبِالَّذي اُنْزِلَ عَلى مُحَمَّد فيكَ كافرُونَ، ولأهل الْخِلافِ عَلَيْكَ

ناصِرُونَ، وَقَدْ اَمَرَ اللَّهُ تَعالى بِاتِّباعِكَ، وَنَدَبَ الْمُؤْمِنينَ اِلى نَصْرِكَ، وَقالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[1]، مَوْلايَ بِكَ ظَهَرَ الْحَقُّ وَقَدْ نَبَذَهُ الْخَلْقُ، وَاَوْضَحْتَ السُّنَنَ بَعْدَ الدُّرُوسِ وَالطَّمْسِ، فَلَكَ سابِقَةُ الْجِهادِ عَلى تَصْديقِ التَّنْزيلِ، وَلَكَ فَضيلَةُ الْجِهادِ عَلى تَحْقيقِ التَّأْويلِ، وَعَدُوُّكَ عَدُوُّ اللَّهِ جاحِدٌ لِرَسُولِ اللَّهِ يَدْعُو باطِلًا، وَيَحْكُمُ جائِرًا، وَيَتَامَّرُ غاصِبًا، وَيَدْعُو حِزْبَهُ اِلَى النّارِ، وَعَمّارٌ يُجاهِدُ وَيُنادي بَيْنَ الصَّفَّيْنِ: الرَّواحَ الرَّواحَ اِلَى الْجَنَّةِ، وَلَمَّا اسْتَسْقى فَسُقِيَ اللَّبَنَ كَبَّرَ وَقالَ: قالَ لي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: آخِرُ شَرابِكَ مِنَ الدُّنْيا ضَياحٌ مِنْ لَبَن، وَتَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْباغِيَةُ، فَاعْتَرَضَهُ اَبُو، الْعادِيَةِ الْفَزارِيُّ فَقَتَلَهُ، فَعَلى اَبِى الْعادِيَةِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَلَعْنَةُ مَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ اَجْمَعينَ، وَعَلى مَنْ سَلَّ سَيْفَهُ عَلَيْكَ وَسَلَلْتَ سَيْفَكَ عَلَيْهِ يا اَميرَ الْمُؤْمِنينَ مِنَ الْمُشْرِكينَ وَالْمُنافِقينَ اِلى يَوْمِ الدّينَ، وَعَلى مَنْ رَضِيَ بِما ساءَكَ وَلَمْ يَكْرَهْهُ وَأَغْمَضَ عَيْنَهُ وَلَمْ يُنْكِرْ، اَوْ اَعانَ عَلَيْكَ بِيَد اَوْ لِسان، اَوْ قَعَدَ عَنْ نَصْرِكَ، اَوْ خَذَلَ عَنِ الْجِهادِ مَعَكَ، اَوْ غَمَطَ فَضْلَكَ وَجَحَدَ حَقَّكَ، اَوْ عَدَلَ بِكَ مَنْ جَعَلَكَ اللَّهُ اَوْلى بِهِ مِنْ نَفْسِهِ، وَصَلَواتُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكاتُهُ وَتَحِيّاتُهُ، وَعَلَى الاَئِمَّةِ مِنْ آلِكَ

(1) التوبة: 119.

الطّاهِرِينَ، اِنَّهُ حَميدٌ مَجيدٌ، وَالاَمْرُ الاَعْجَبُ وَالْخَطْبُ الاَفْظَعُ بَعْدَ جَحْدِكَ حَقَّكَ، غَصْبُ الصِّديقَةِ الطّاهِرَةِ الزَّهْراءِ سَيِّدَةِ النِّساءِ فَدَكًا، وَرَدُّ شَهادَتِكَ وَشَهادَةِ السَّيِّدَيْنِ سُلالَتِكَ وَعِتْرَةِ الْمُصْطَفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكُمْ، وَقَدْ اَعْلَى اللَّهُ تَعالى عَلَى الاُمَّةِ دَرَجَتَكُمْ، وَرَفَعَ مَنْزِلَتَكُم وَاَبانَ فَضْلَكُم وَشَرَّفَكُمْ عَلَى الْعالَمينَ، فَاَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ وَطَهَّرَكُمْ تَطْهيرًا، قالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَل: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا (*) إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا (*) وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا (*) إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾[1]، فَاسْتَثْنَى اللَّهُ تَعالى نَبِيَّهُ الْمُصْطَفى وَاَنْتَ يا سَيِّدَ الاَوْصِياءِ مِنْ جَميعِ الْخَلْقِ، فَما اَعْمَهَ مَنْ ظَلَمَكَ عَنِ الْحَقِّ، ثُمَّ اَفْرَضُوكَ سَهْمَ ذَوِي الْقُرْبى مَكْرًا، وَاَحادُوه عَنْ اَهْلِهِ جَوْرًا، فَلَمّا آلَ الاَمْرُ اِلَيْكَ اَجْرَيْتَهُمْ عَلى ما اَجْرَيا رَغْبَةً عَنْهُما بِما عِنْدَ اللَّهِ لَكَ، فَاَشْبَهَتْ مِحْنَتُكَ بِهِما مِحَنَ الاَنْبِياءِ عليهم السلام عِنْدَ الْوَحْدَةِ وَعَدَمِ الاَنْصارِ، وَاَشْبَهْتَ فِي الْبَياتِ عَلَى الْفِراشِ الذَّبيحَ عليه السلام، اِذْ اَجَبْتَ كَما اَجابَ، وَاَطَعْتَ كَما اَطاعَ اِسْماعيلُ صابِرًا مُحْتَسِبًا اِذْ قالَ لَهُ: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2]، وَكَذلِكَ اَنْتَ لَمّا اَباتَكَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم، وَاَمَرَكَ اَنْ تَضْجَعَ في مَرْقَدِهِ واقيًا لَهُ بِنَفْسِكَ اَسْرَعْتَ اِلى اِجابَتِهِ مُطيعًا، وَلِنَفْسِكَ

(1) المعارج: 19 ـ 22.
(2) الصافات: 102.

عَلَى الْقَتْلِ مُوَطِّنًا، فَشَكَرَ اللَّهُ تَعالى طاعَتَكَ وَاَبانَ عَنْ جَميلِ فِعْلِكَ بِقَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾[1]، ثُمَّ مِحْنَتُكَ يَوْمَ صِفّينَ وَقَدْ رُفِعَتِ الْمَصاحِفُ حيلَةً وَمَكْرًا، فَاَعْرَضَ الشَّكُّ، وَعُزِفَ الْحَقُّ وَاتُّبِعَ الظَّنُّ، اَشْبَهَتْ مِحْنَةَ هارُونَ اِذْ اَمَّرَهُ موُسى عَلى قَوْمِهِ فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ وَهارُونُ يُنادى بِهِمْ وَيَقُولُ: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى (*) قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾[2]، وَكَذلِكَ اَنْتَ لَمّا رُفِعَتِ الْمَصاحِفُ قُلْتَ يا قَوْمِ اِنَّما فُتِنْتُمْ بِها وَخُدِعْتُمْ، فَعَصَوْكَ وَخالَفُوا عَلَيْكَ، وَاسْتَدْعَوْا نَصْبَ الْحَكَمَيْنِ، فَاَبَيْتَ عَلَيْهِمْ، وَتَبَرَّأْتَ اِلَى اللَّهِ مِنْ فِعْلِهِمْ، وَفَوَّضْتَهُ اِلَيْهِم فَلَمّا اَسْفَرَ الْحَقُّ وَسَفِهَ الْمُنْكَرُ، وَاعْتَرَفُوا بِالزَّلَلِ وَالْجَوْرِ عَنِ الْقَصْدِ اخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِهِ، وَاَلْزَمُوكَ عَلى سَفَه التَّحْكيمَ الَّذي اَبَيْتَهُ وَاَحَبُّوهُ وَحَظَرْتَهُ، وَاَباُحُوا ذَنْبَهُمُ الَّذي اقْتَرَفُوهُ وَاَنْتَ عَلى نَهْجِ بَصيرَة وَهُدى، وَهُمْ عَلى سُنَنِ ضَلالَة وَعَمىً، فَما زالُوا عَلَى النِّفاقِ مُصِرّينَ، وَفِي الْغَيِّ مُتَرَدِّدينَ حَتىّ اَذاقَهُمُ اللَّهُ وَبالَ اَمْرِهِمْ، فَاَماتَ بِسَيْفِكَ مَنْ عانَدَكَ، فَشَقِيَ وَهَوى وَاَحْيا بِحُجَّتِكَ مَنْ سَعَدَ فَهُدِيَ صَلَواتُ اللَّهِ عَلَيْكَ غادِيَةً وَرائِحَةً وَعاكِفَةً وَذاهِبَةً، فَما يُحيطُ الْمادِحُ وَصْفَكَ، وَلا

(1) البقرة: 207.

(2) طه: 90 ـ 91.

يُحْبِطُ الطّاعِنُ فَضْلَكَ، اَنْتَ اَحْسَنُ الْخَلْقِ عِبادَةً، وَاَخْلَصُهُمْ زَهادَةً، وَاَذَبُّهُمْ عَنِ الدّينِ، اَقَمْتَ حُدُودَ اللَّهِ بِجُهْدِكَ، وَفَلَلْتَ عَساكِرَ الْمارِقينَ بِسَيْفِكَ، تُخْمِدُ لَهَبَ الْحُرُوبِ بِبَنانِكَ، وَتَهْتِكُ سُتُورَ الشُّبَهِ بِبَيانِكَ، وَتَكْشِفُ لَبْسَ الْباطِلِ عَنْ صَريحِ الْحَقِّ، لا تَأْخُذُكَ فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لائِمٍ، وَفي مَدْحِ اللَّهِ تَعالى لَكَ غِنىً عَنْ مَدْحِ الْمادِحينَ وَتَقْريظِ الْواصِفينَ، قالَ اللَّهُ تَعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾[1]، وَلَمّا رَأَيْتَ اَنْ قَتَلْتَ النّاكِثينَ وَالْقاسِطينَ وَالْمارِقينَ وَصَدَقَكَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَعْدَهُ فَاَوْفَيْتَ بِعَهْدِهِ قُلْتَ: اَما آنَ اَنْ تُخْضَبَ هذِهِ مِنْ هذِهِ؟ اَمْ مَتى يُبْعَثُ اَشْقاها؟ واثِقًا بِاَنَّكَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَبَصيرَةٍ مِنْ اَمْرِكَ، قادِمٌ عَلَى اللَّهِ، مُسْتَبْشِرٌ بِبَيْعِكَ الَّذي بايَعْتَهُ بِهِ، وَذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ العظيم اللهم الْعَنْ قَتَلَةَ اَنْبِيائِكَ وَاَوْصِياءِ اَنْبِيائِكَ بِجَميعِ لَعَناتِكَ، وَاَصْلِهِمْ حَرَّ نارِكَ، وَالْعَنْ مَنْ غَصَبَ وَلِيَّكَ حَقَّهُ، وَاَنكَرَ عَهْدَهُ، وَجَحَدَهُ بَعْدَ الْيَقينِ وَالاِقْرارِ بِالْوِلايَةِ لَهُ يَوْمَ اَكْمَلْتَ لَهُ الدّينَ، اَللّهُمَّ الْعَنْ قَتَلَةَ اَميرِ الْمُؤْمِنينَ وَمَنْ ظَلَمَهُ وَاَشْياعَهُمْ وَاَنْصارَهُم، اَللّهُمَّ الْعَنْ ظالِمي الْحُسَيْنِ وَقاتِليهِ، وَالْمُتابِعينَ عَدُوَّهُ، وَناصِريهِ، وَالرّاضينَ بِقَتْلِهِ وَخاذِليهِ لَعْنًا وَبيلًا،

(1) الأحزاب: 23.

اَللّهُمَّ الْعَنْ اَوَّلَ ظالِم ظَلَمَ آلَ مُحَمَّد وَمانِعيهِمْ حُقُوقَهُمْ، اَللّهُمَّ خُصَّ اَوَّلَ ظالِم وَغاصِب لآل مُحَمَّد بِاللَّعْنِ، وَكُلَّ مُسْتَن بِما سَنَّ اِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد خاتَمِ النَّبِيّينَ وَعَلى عَلِيٍّ سَيِّدِ الْوَصِيّينَ وَآلِهِ الطّاهِرينَ، وَاجْعَلْنا بِهِمْ مُتَمَسِّكينَ وَبِوِلايَتِهِمْ مِنَ الْفائِزينَ الاْمِنينَ الَّذينَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ».

ثانيًا:
الإمام الهادي في مواجهة تيارات الغلو

بالرغم من أن بعض الباحثين[1] رأى أن المشكلة الأساس عند هؤلاء أو بعضهم على الأقل كانت إفشاء أسرار التنظيم، وهذه ـ لو تمّت ـ فإنها لا شك مشكلة كبيرة، لكننا نعتقد أن الغلو هو أخو النصب والبغض لأبيه وأمه، بل وأسوأ منه!

فإن سياسة بغض أمير المؤمنين عليه السلام وأهله، مفضوحة ومكشوفة السوأة[2] إلى الدرجة التي لا تخفى على أحد بل قد تجر مقتل القائمين بها كما حصل للمتوكل ووزيره ابن خاقان. بينما الغلو قد يتسرب إلى الداخل الشيعي من دون أن تلحظ خطورته، بل ربما رأى فيه بعض غير الواعين انتصارًا للمعصومين وإقرارًا بمنزلتهم واعترافًا بشأنهم وأنهم يستحقون ذلك!

(1) رأى د. المهاجر في كتابه الإمام الهمّام علي الهادي ص 113أن مشكلة فارس بن حاتم بن ماهويه القزويني.. الأساس لم تكن الغلو وإنما كان إفشاء أسرار التنظيم وأنه جاء من بلده إلى سامراء لهذا الغرض فأهدر الإمام دمه ونفذ العملية شاب عراقي اسمه الجنيد.

(2) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان 15/ 37، بعد ما ذكر هدم المتوكل قبر الحسين عليه السلام قال ـ وذكر بنفس النص غيره ـ «فكتبَ أهلُ بغداد سَبَّ المتوكِّل على الحيطان وفي المساجد والجوامع، ودَعَوا عليه عقب الصلوات، وهجاهُ الشعراء..

وربما كلما زاد الضغط والأذى على الأئمة وشيعتهم كان ذلك مبررًا عند الغلاة ليتجاوزوا حد البشرية إلى حد الألوهية والشرك بالله.

ويمكن لنا أن نلحظ أن الغلاة على قسمين؛ فمنهم من يدفعه للادعاء ببعض المقامات المغالية، ما ينتظره من زعامة جماعة والسيطرة عليها، وهؤلاء في الغالب لا يعتقدون بما يقولونه للناس وإنما يكذبون في ذلك. ويتخذون تلك الأفكار الباطلة سُلّمًا لرئاستهم، فهم يبدأون بالقول بأن الإمام الفلاني نعوذ بالله قد حل فيه روح الإله، وأنه أرسل هذا المغالي نبيًّا، أو أنه نبيٌّ وهذا المغالي بابه ونائبه وهكذا!

والقسم الآخر؛ وهو من عامة الناس الذين يختلط عليهم الأمر فباسم تقديس الإمام يصدقون ما يقال لهم ويخدعون عن المنهج الصحيح.

وبالرغم من أن مسألة الغلو لم تبدأ في زمان الإمام الهادي وإنما كان لها تاريخ سابق، فقد غلا في أمير المؤمنين عليه السلام قوم، وقد أشار إليهم في أكثر من حديث[1] وقد ذكر عليه السلام الصنفين؛ المبغضين القالين والكارهين وأيضًا الغلاة المحبين! كما حصل

(1) منها قوله كما في نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام (تحقيق صبحي الصالح)، ص 489: هلك فيَّ رجلان: محب غالٍ ومبغض قالٍ.

في زمان الإمام الصادق عليه السلام كذلك جماعة من الغلاة، أشهرهم أبو الخطاب الأسدي.[1]

ومن خلال حديث الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام، يظهر أن هؤلاء كانوا «يتوالدون» ويستنسخ بعضهم بعضًا ويعبرون من زمان إمام لزمان الإمام الذي بعده، فها هو يقول في شأن محمد بن الفرات الجعفي وهو من الغلاة: «آذاني محمد بن الفرات، آذاه الله وأذاقه الله حر الحديد، آذاني لعنه الله ما آذى أبو الخطاب لعنه الله جعفرَ بنَ محمد عليه السلام بمثله، وما كذب علينا خطابيٌّ، مثل ما كذب محمد بن الفرات، والله ما من أحد يكذب علينا إلا ويذيقه الله حر الحديد.

قال محمد بن عيسى: فأخبراني وغيرهما: أنه ما لبث محمد بن الفرات إلا قليلًا حتى قتله إبراهيم بن شكلة، أخبث قتلة، فكان

(1) عطاردي؛ الشيخ عزيز الله: مسند الإمام الصادق عليه السلام 20/ 339 «لما لبى أبو الخطاب بالكوفة وادعى في أبي عبد اللّه عليه السلام ما ادعاه دخلت على أبي عبد اللّه عليه السلام مع عبيد بن زرارة فقلت له جعلت فداك لقد ادعى أبو الخطاب وأصحابه فيك أمرا عظيمًا؛ إنه لبى بلبيك جعفر لبيك معراج وزعم أصحابه أن أبا الخطاب أسري به إليك فلما هبط إلى الأرض من ذلك دعا إليك ولذلك لبى بك.
قال فرأيت أبا عبد اللّه عليه السلام قد أرسل دمعته من حماليق عينيه وهو يقول يا رب برأت إليك مما ادعى فيَّ الأجدع عبد بني أسد خشع لك شعري وبشري، عبدٌ لك ابنُ عبد لك خاضعٌ ذليلٌ. ثم أطرق ساعة في الأرض كأنه يناجي شيئًا ثم رفع رأسه وهو يقول:
أجل أجل عبدٌ خاضعٌ لربه صاغرٌ راغمٌ من ربه خائفٌ وجلٌ، لي واللّه ربٌ أعبده لا أشرك به شيئًا! ما له خزاه اللّه وأرعبه ولا آمن روعته يوم القيامة ما كانت تلبية الأنبياء هكذا ولا تلبية الرسل إنما لبيت بلبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك..»

محمد بن الفرات يقول: إنه باب وإنه نبي، وكان القاسم اليقطيني، وعلي بن حسكة القمي كذلك، يدعيان لعنهما الله».[1]

وكان في زمان الإمام الهادي عليه السلام تلك النماذج الغالية، وبعضهم ممن له (تاريخ) سابق! بينما بعضهم الآخر اختص بزمانه عليه السلام، فلعنهم الإمام وأظهر البراءة منهم وأنه لا يعرفهم في شيعته، بل أمر بمحاربتهم، وذلك لأنهم ليسوا أهل شبهة حتى يتناظر معهم ويتناقش وإنما أهل فتنة مصرون عليها لما تكسبهم من مكاسب! وهم في ذلك ينشرون بين الناس ما يعارض التوحيد وقد خرجوا منه بلا شك إلى الشرك! ولأن العملية لا تحتاج إلا لسان كذوب وقلب فاجر فلقد كثر هؤلاء حتى «زاد عددهم في زمن الإمام الهادي عليه السلام إلى نحو عشرين شخصًا».[2]

وقد عد المهاجر ـ في رصده إياهم ـ ثلاثة منهم قميين: علي بن حسكة القمي، والحسن بن محمد بن بابا القمي، والقاسم بن الحسن اليقطيني القمي.[3]

(1) معجم رجال الحديث 18: 136، وإبراهيم بن المهدي العباسي (ابن شكلة) هو أخو هارون الرشيد، وكان موسيقيًّا ومغنيًا واجتمع عليه العباسيون مناكفة منهم للمأمون لما عهد بولاية العهد للإمام علي بن موسى الرضا. وهو الذي يقول فيه دعبل الخزاعي واصفًا أي درك وصلت الخلافة له:

إن كان إبراهيم مضطلعًا بها فلتصلحن من بعده لمخارقِ

ومخارق: مغنٍ مشهور.

(2) الكوراني: الإمام علي الهادي 303.

(3) المهاجر: الإمام الهادي 109 .

ومن الغلاة في سائر المناطق محمد بن الفرات الجعفي، ومنهم محمد بن نصير النميري، والحسين بن علي الخواتيمي..

ومنهم فارس بن حاتم بن ماهويه القزويني، إلا أن الشيخ المهاجر عند حديثه عنه استبعد كون فارس هذا من الغلاة وإنما كان ممن يريد كشف (أسرار التنظيم) وجاء من قزوين إلى سامراء لهذا الغرض فتخلص الإمام منه بأمر أحد الشباب بقتله!

وقد استفاد المهاجر من كون اغتياله بعد خروجه من المسجد بين المغرب والعشاء أنه ليس مغاليًا لأن الغلاة يؤولون العبادات بأسماء أشخاص، وإنما كان بحسب التعابير الواردة عنه في الروايات كان «يكذب»، و«اختان الأموال». وأنه ما من دليل يدل على أنه كان من الغلاة بل هناك دلائل معاكسة ونافية لذلك.[1]

ولنا أن نلاحظ على ما أفاده المحقق المهاجر وهو البارع في استنطاق النصوص ما يلي:

أولًا: ما تم الحديث عنه بشكل عام في منهج القراءة الحركية من أن هذه القراءة مسكونة بفكرة معينة وأنها تسوق النصوص إليها، طواعية أو قسرًا. ونجد مثاله هنا، فحتى لو قبلنا كلامه في القرائن التي ساقها إلا أن ذلك غاية ما ينفعه هو أن يثبت أنه ليس

(1) المهاجر 110 ـ 111.

من الغلاة كما رأى، ولكنه لا يثبت أنه كان يريد أن يفشي أسرار التنظيم وأنه جاء من بلده إلى سامراء لهذا الغرض!

وثانيًا: إننا نجد أن نفس العبارات التي صدرت من الأئمة بحق الغلاة صدرت بحقه، بل والسياق نفس السياق:

فمن ذلك ما روي عن أبي محمد الرازي «ورد علينا رسول من قبل الرجل: أما القزويني فارس فإنه فاسق منحرف ويتكلم بكلام خبيث فلعنه الله»[1] بناء على ظهور كلمة الرجل في الإمام الهادي عليه السلام، ومع وصفه بالفسق فلا ينفع التمسك بكونه خرج من المسجد بين صلاتي العشائين، للاستفادة من ذلك أن الغلاة لا يقيمون العبادات! هذا فاسق بنص الإمام عليه السلام، ومعنى ذلك أن صلاته ليست إلا «مراء وتصدية».

ومن ذلك: ما كتب عروة إلى أبي الحسن عليه السلام في أمر فارس بن حاتم، فكتب: «كذبوه واهتكوه، أبعده الله وأخزاه، فهو كاذب في جميع ما يدعى ويصف»[2] ولا يعتقد أنه كان يدعي ويصف الأسرار الداخلية للتنظيم وإنما وصفه وكذبه هو ما كان عليه من الغلو وادعاء ألوهية الأئمة وأن فارسا وأمثاله أنبياء أو أبواب! كما سيأتي.

(1) الطوسي؛ الشيخ محمد بن الحسن: اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) 2/ 393.
(2) المصدر السابق 390.

ومنه أيضًا ما «خرج من أبي الحسن عليه السلام: هذا فارس لعنه الله يعمل من قبلي فتانًا داعيًا إلى البدعة، ودمُه هدرٌ لكل من قتله» فهو فتان يدعو إلى البدعة وليس أمره أمر شبهة وإنما هو فتّان يفتن الناس عن دينهم ويدعوهم إلى البدعة، ولهذا يكون هدر دمه على القاعدة وتبريره واضح!

وقد قرنه الإمام بالحسن بن بابا القمي الذي لا خلاف في كونه من الغلاة، فلعنهما وضاعف ذلك على فارس مما يشير إلى أنهما في سلك واحد، فعن سهل بن محمد، أنه أرسل للإمام عليه السلام رسالة جاء فيها: «وقد اشتبه يا سيدي على جماعة من مواليك أمر الحسن بن محمد بن بابا، فما الذي تأمرنا يا سيدي في أمره نتولاه أم نتبرأ منه أم نمسك عنه فقد كثر القول فيه؟ فكتب بخطه وقرأته: ملعون هو وفارس تبرأوا منهما لعنهما الله وضاعف ذلك على فارس».[1]

وفي رواية رابعة أشار الإمام فيها إلى تمويه فارس القزويني على الناس بقوله ـ كما باقي الغلاة ـ إن الذي يظهره الإمام للناس عامةً شيءٌ، وما يعلمه (الغلاة) من بواطن هو شيءٌ آخر! فيرد الإمام ذلك بأن باطن ما يخبر عنه وظاهره شيء واحد، وأنه لا يمكن أن يقبل اعتقاد الناس الخطأ في شأن الله عز وجل،

(1) الطوسي؛ الشيخ محمد بن الحسن: اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) 2/ 394.

فيما رواه عبد الله بن جعفر الحميري، قال: «كتب أبو الحسن العسكري عليه السلام إلى علي بن عمر القزويني بخطه: اعتقدْ فيما تدين الله به، إن الباطن عندي حسب ما أظهرت لك فيمن استنبأتَ عنه، وهو فارس لعنه الله، فإنه ليس يسعك إلا الاجتهاد في لعنه وقصده ومعاداته والمبالغة في ذلك بأكثر ما تجد السبيل إليه، ما كنت آمر أن يدان الله بأمر غير صحيح، فجد وشد في لعنه وهتكه وقطع أسبابه وسُدّ أصحابنا عنه، وإبطال أمره، وأبلغهم ذلك مني واحكه لهم عني».

هذا لسان الروايات وهي واضحة في عَد فارس هذا غاليًا منحرف الاعتقاد، وأنه لم يكتف بانحرافه الشخصي بل كان داعيا إلى فتنته وبدعته وأنه كان يضل الناس، ويزعم أن الإمام أخبره بذلك ويعلم بفعله! ولذلك صدر اللعن عليه من الإمام، وأمر الناس بالابتعاد عنه، وهتكه وإبطال أمره، وأخيرًا حيث لم يرعوِ عن ذلك صدر أمر قتله من الإمام.

إننا نجد أن أمره كان واضحًا بهذه الصورة؛ فقد كان في منطقته وله معرفة بعقائد الإمامية أهلته لأن يكتب بعض الكتب كما نقل ذلك النجاشي، ومنها في رد الواقفة والاسماعيلية وهذا جعله يتبوأ مقامًا، ثم بدأ ينازع الوكيل الثقة للإمام الهادي وهو علي بن جعفر الهماني، وينافسه وفي هذه الأثناء ربما مال إليه بعض الناس وسلموه من أموال الخمس ونحوها، فخانها

وصرفها لنفسه، وحدث على أثر ذلك مشكلة اجتماعية في منطقته فاستفتي الإمام في ذلك، ويظهر من بعض الرسائل أن الإمام اقتصر على تأييد علي بن جعفر وأنه لا يقاس غيره به، لكن فارسًا أغرق في النزع وصعّد الموقف لينشر أفكار الغلاة، ونشر بين الناس أنه: إذا كان علي بن جعفر هذا وكيلًا للإمام فإنه هو ـ أي فارس القزويني ـ يعرف عن الإمام ما لا يعرفه علي بن جعفر ولا سائر الناس وأن باطن الإمام شيء آخر وأن فارسًا هو النبي وهو باب الإمام.. إلى آخر ما قاله ويقوله الغلاة. وبدأ ينشر بدعته وفتنته في كل مكان يكون فيه، وهنا أصدر الإمام لعنه مكررًا في رسائل وكتب وأمام شيعته، بل وأمر بلعنه، ولم يزد ذلك فارسًا إلا إمعانًا في غيه فصدر أمر الإمام بقتله.

وهذا الذي قلناه ـ خلافًا للشيخ المهاجر ـ هو ما استقر عليه رأي رجاليي الشيعة الأقدمين والمتأخرين:

ففي رجال الشيخ الطوسي قال: فارس بن حاتم القزويني، غال، ملعون.

وفي رجال الكشي: قال نصر بن الصباح: الحسن بن محمد المعروف بابن بابا، ومحمد بن نصير النميري، وفارس بن حاتم القزويني، لعن هؤلاء الثلاثة علي بن محمد العسكري عليهم السلام».

وقال في: فارس بن حاتم القزويني وهو منهم (من الغلاة)[1]

ما هي أفكار الغلاة وخطتهم؟

ومن خلال الرواية التالية يمكن لنا أن نتعرف على بعض أفكار الغلاة وكيف أنهم لا يقصدون في الحقيقة تعظيم الإمام ورفع منزلته وإنما يقصدون أن يرفعوا منزلة أنفسهم بادعائهم أنهم (أبواب الله!! وأنبياؤه) ويُسقطوا بتبع ذلك عن أنفسهم الواجبات ويفسحوا مجال الشهوات لأنفسهم! وإن كانوا يغلفونها بمفتريات مثل أن معرفة الإمام تكفي عن كل شيء!! وذلك فيما كتبه «بعض أصحابنا إلى أبي الحسن العسكري عليه السلام (يعني عليا الهادي): جعلت فداك يا سيدي أن علي بن حسكة يدعي أنه من أوليائك، وأنك أنت الأول القديم، وأنه بابك ونبيك أمرته أن يدعو إلى ذلك، ويزعم أن الصلاة والزكاة والحج والصوم كلُّ ذلك معرفتُك ومعرفةُ من كان في مثل حال ابن حسكة فيما يدعى من البابية والنبوة فهو مؤمنٌ كاملُ سقط عنه الاستعبادَ بالصلاة والصوم والحج، وذكر جميع شرائع الدين أن معنى ذلك كله ما ثبت لك، ومال الناس إليه كثيرا،[2] فإن رأيت أن تمن على مواليك بجواب في ذلك تنجيهم من الهلكة.

(1) الطوسي:2/ 390.

(2) من الطبيعي أن يميل كثير من الناس مع شهواتهم، فإذا توفر لهم غطاء ديني ـ بالظاهر ـ يرخص لهم الشهوات ويرفع عنهم التكاليف والعبادات فإنهم سيتابعونه!

قال: فكتب عليه السلام: كذب ابن حسكة عليه لعنة الله وبحسبك أني لا أعرفه في مواليَّ ما له لعنه الله، فوالله ما بعث الله محمدًا والأنبياء قبله الا بالحنيفية والصلاة والزكاة والصيام والحج والولاية، وما دعا محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلّا إلى الله وحده لا شريك له. وكذلك نحن الأوصياء من ولده عبيد الله لا نشرك به شيئًا، إن أطعناه رحمنا، وإن عصيناه عذبنا، ما لنا على الله من حجةٍ، بل الحجةُ للَّه عز وجل علينا وعلى جميع خلقه أبرأ إلى الله ممن يقول ذلك وانتفي إلى الله من هذا القول، فاهجروهم لعنهم الله وألجئوهم إلى ضيق الطريق فإن وجدت من أحد منهم خلوة فاشدخ رأسه بالصخر.[1]

عمل الإمام الهادي في مواجهة تيارات الغلو:

رأى الإمام الهادي عليه السلام فيما نعتقد أن خطورة تيارات الغلو وأفكاره أشد من خطورة تيار البغض والنصب كما ذكرنا، وسيستمر ابنه الإمام الحسن العسكري في نفس هذا الخط، فعمل على عدة اتجاهات:

1/ **فضح رموز الغلو، وكبار الغلاة**.. حتى يحد من تأثيرهم في المجتمع الشيعي والموالي. وذلك أن «منبع» التلوث ما لم يغلق فإنه لا ينفع تنظيف السواقي! وإن معالجة الفكرة فقط في وسط المتأثرين غير كاملة التأثير وإنما لا بدَّ من غلق باب

(1) الطوسي: 2/ 388.

الوباء الفكري، وعندها ينفع الإصلاح والتثقيف.

وفي هذا المجال تم تحديد الأشخاص المهمين والذين ـ كما تقدم ـ وصل عددهم إلى عشرين شخصًا، وصدر اللعن بحقهم والبراءة منهم بخط الإمام ولسانه،[1] وعرفوا بأنهم خط منحرف شديد الانحراف كما كان أسلافهم وسابقوهم. وفيما سبق من الصفحات نقلنا شيئا من كلمات الإمام فيهم.

2/ **تخطئة الأفكار ونبذ المنهج** الذي صار إليه الغلاة، وأن هذا ليس من الإسلام ولا من التشيع ولا يرضى عنه الأئمة المعصومون، وقد مر بنا قبل قليل ما أجاب به الإمام الهادي عليه السلام من كتب إليه في شأن ما يقوله علي بن حسكة من أفكار: «كذب ابن حسكة عليه لعنة الله وبحسبك أني لا أعرفه في موالي ماله لعنه الله، فوالله ما بعث الله محمدًا والأنبياء قبله إلا بالحنيفية والصلاة والزكاة والصيام والحج والولاية، وما دعا محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا إلى الله وحده لا شريك له. وكذلك نحن الأوصياء من ولده عبيد الله لا نشرك به شيئًا..» إلى آخر رسالته عليه السلام الذي ذكرناها آنفًا.

وتشير الروايات إلى أن ابن حسكة هذا كان من النشطين في

(1) الطوسي: 2/ 389 في حق الفهري وابن بابا القمي «وأني ألعنهما عليهما لعنة الله».

بث انحرافاته، وأنه كان «أستاذ القاسم اليقطيني وهو أيضًا من الغلاة» ولكن باقي الغلاة أيضًا كانوا يبثون نفس الشبهات، الأمر الذي جعل بعض أركان التشيع يكتبون للإمام وقد رأوا نشر أولئك لتلك الأفكار في وسط الشيعة ويطلبون منه الجواب، فجاء جواب الإمام حازمًا: ليس هذا ديننا فاعتزله!

فقد «حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى، كتب إليه في قوم يتكلمون ويقرأون أحاديث ينسبونها إليك والى آبائك فيها ما تشمئز فيها القلوب، ولا يجوز لنا ردها إذا كانوا يروون عن آبائك عليهم السلام، ولا قبولها لما فيها، وينسبون الأرض إلى قوم يذكرون أنهم من مواليك وهو رجل يقال له: علي بن حسكة، وآخر يقال له: القاسم اليقطيني: من أقاويلهم: انهم يقولون إن قول الله تعالى: «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» معناها رجلٌ. لا سجود ولا ركوع، وكذلك الزكاة معناها ذلك الرجل لا عدد درهم ولا إخراج مالٍ، وأشياء من الفرائض والسنن والمعاصي تأولوها وصيروها على هذا الحد الذي ذكرت. فإن رأيت أن تبين لنا وأن تمن على مواليك بما فيه السلامة لمواليك ونجاتهم من هذه الأقاويل التي تخرجهم إلى الهلاك.

فكتب عليه السلام: ليس هذا ديننا فاعتزله!.[1]

(1) الطوسي: 2/ 387

وفي مورد ثالث يبين الإمام ﷺ عبودية الأئمة الكاملة والتامة لله عز وجل وأن ما عندهم من الكرامة والعلم ليس إلا لأجل أنهم يسجدون له[1] ويسبحون بحمده وأن الشيطان ليفرح إذا انزلق المسلم إلى مستنقع الغلو.

3/ **المقاطعة الاجتماعية**: وذلك لصيانة الناس أنفسهم من الشك وانتقال الشبهات، ومن أجل أن يضيق ذلك مساحة التأثير التي يرجوها الغلاة! لقد رأينا القرآن الكريم ينهى عن مجالسة المستهزئين بآيات الله والكافرين بها ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ..﴾[2] وأي استهزاء أكبر من أن يُنسب عبدٌ للربوبية؟

(1) المسعودي: إثبات الوصية 235 عن الفتح بن يزيد الجرجاني قال: ضمني وأبا الحسن ﷺ الطريق لما قدم به المدينة فسمعته في بعض الطريق... وأخذ الإمام في وصف عظمة الله سبحانه وأضاف: «إن اللّه لم يظهر على غيبه أحدًا إلّا من ارتضى من رسول، وكلّ ما عند الرسول فهو عند العالم، وكلّ ما اطلع الرسول عليه فقد اطّلع أوصياؤه عليه. يا فتح عسى الشيطان أراد اللبس عليك فأوهمك في بعض ما أوردت عليك وأشكك في بعض ما أنبأتك؛ حتى أراد ازالتك عن طريق اللّه وصراطه المستقيم، فقلت متى أيقنت انّهم هكذا: فهم أرباب.
معاذ اللّه، انّهم مخلوقون مربوبون مطيعون داخرون راغمون. فإذا جاءك الشيطان بمثل ما جاءك به فاقمعه بمثل ما نبأتك به.
قال فتح: فقلت له: جعلني اللّه فداك فرّجت عني وكشفت ما لبس الملعون عليّ فقد كان أوقع في خلدي انّكم أرباب.
قال: فسجد ﷺ فسمعته يقول في سجوده: راغمًا لك يا خالقي داخرًا خاضعًا».

(2) النساء: 140.

وكذلك رأينا في توجيهات الإمام عليه السلام من هذا القبيل من إهانة رموز الغلاة والاستخفاف بهم.[1] وكذلك مقاطعتهم «فاهجروهم لعنهم الله وألجئوهم إلى ضيق الطريق.»

4/ القتل لأئمة الكفر والغلو:

من الواضح عند المسلمين أن المرتد الفطري يقتل، والمشهور بينهم أن ذلك من غير استتابة! وأوضح أنحاء الارتداد والكفر اعتبار بعض العباد آلهة، وعدم الإيمان بخاتمية النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للنبوة والرسل.

وهذا متحقق في الغلاة الذين صدر بحقهم البراءة واللعن بعد التحذير والإنذار، واستمرارهم مع كل ذلك على إضلال المجتمع المسلم بهذا المستوى: اعتبار الأئمة آلهة، واعتبار الغلاة أنبياء، وإسقاط جميع الواجبات من صلاة وصوم وزكاة، بل وتحليل المحرمات.[2]

في هذه الحالة فإن الواجب على المسلمين التخلص من عناصر الفساد هذه، حتى لو قامت به الدولة الجائرة! وربما لهذا

(1) الطوسي: 2/ 390 في شأن فارس بن حاتم كتب الإمام لمن سأله: لا تحفلن به وان أتاك فاسخف به. وكتب لعروة في شأنه أيضا: كذبوه وهتكوه أبعد الله وأخزاه فهو كاذب في جميع ما يدّعي ويصف.

(2) الطوسي: 2/ 389.. محمد بن نصير النميري، أنه ادعى أنه نبي رسول، وأن عليّا بن محمد العسكري عليه السلام أرسله، وكان يقول بالتناسخ والغلو في أبي الحسن عليه السلام، ويقول فيه بالربوبية ويقول: بإباحة المحارم، ويحلل نكاح الرجال بعضهم بعضًا في أدبارهم ويقول أنه من الفاعل والمفعول به أحد الشهوات والطيبات، وأن الله لم يحرم شيئًا من ذلك.
وكان محمد بن موسى بن الحسن بن فرات يقوي أسبابه ويعضده، وذكر أنه رأى بعض الناس محمد بن نصير عيانًا، وغلام له على ظهره، وأنه عاتبه على ذلك، فقال: إن هذا من اللذات وهو من التواضع لله وترك التجبر!!

السبب وجدنا سكوتًا من الإمام عليٍّ الرضا مفسَرًا بالرضا على ما فعله إبراهيم بن شكلة (عم المأمون) من قتله محمد بن الفرات الجعفي الغالي.[1]

ولهذا وجدنا الإمام الهادي عليه السلام يصدر أمرًا بقتلهم متى تم الأمن من العقوبة؛ «فإن وجدت من أحد منهم خلوة فاشدخ رأسه بالصخر» ويوضح نصٌّ الارتباطَ بين السبب والحكم فيما روي عن الإمام عليه السلام في شأن ابن بابا القمي، حيث يربط بين غلوه وكفره بقوله إن الإمام وهو إله في زعمه قد بعثه أي ابن بابا نبيًّا! وأن الإمام يأمر من قدر عليه أن يشدخ رأسه بالحجر ويقتله.[2]

كما يصدر الإمام عليه السلام أمرًا خاصًّا بقتل فارس بن حاتم في القضية المعروفة وأن الإمام أمره بذلك مباشرة.

ونعيد هنا ما قلناه في مناقشة الشيخ المهاجر في موضوع فارس بن حاتم القزويني، فإن قتله بناء على ما اخترناه من قول المشهور باعتبار أن قتله كان لغلوه ورِدّته ونشره كفرَه وانحرافاته، وقتلُه حينئذ هو على القاعدة ويشمله الأمر العام بقتل الغلاة

(1) مرَّ في صفحات سابقة قول الإمام الرضا عليه السلام في شأنه: آذاني محمد بن الفرات، آذاه الله وأذاقه الله حر الحديد.

(2) الطوسي 2/ 389.. قال الإمام عليه السلام: يزعم ابن بابا اني بعثته نبيا وأنه باب عليه لعنة الله، سخر منه الشيطان فأغواه،
فلعن الله من قَبِل منه ذلك، يا محمد ان قدرت أن تشدخ رأسه بالحجر فأفعل فإنه قد آذاني آذاه الله في الدنيا والآخرة.

(وهم بهذه الدرجة مرتدون كفرة بما سبق بيانه، وفتانون فجرة يهددون عقيدة المجتمع الشيعي بل المسلم) فهو مشمول بهذه القاعدة العامة، وبشكل خاص فيه أمر الإمام أحد المؤمنين المستعدين للقيام بهذا العمل مع ضمانه له الجنة!

وأما بناء على ما ذهب إليه فلا نجد مبررًا واضحًا للقتل، على أنه لا توجد قرينة كافية على أنه أراد إفشاء أسرار التنظيم كما قال.

5/ وفيما يرتبط بالعقيدة السليمة البعيدة عن الغلو

فقد أنشأ الإمام عليه السلام نصًّا كاملًا بليغًا، ينظر بعينين نضاختين تجريان بالمعرفة، إلى خط الغلو فتركز على بشرية الأئمة عليهم السلام، وأنهم عباد الله المخلصون، والدعاة إلى منهاجه، والسائرون على طريقه وأنهم الذين عظموا جلال الله وأقاموا أحكامه وبذلوا أنفسهم في مرضاته.. هذا لأهل الغلو.

وبالعين الأخرى: إلى تيارات التقصير فضلًا عن البغض والنصب ليقول لهم: هؤلاء البشر هم محال معرفة الله ومساكن بركة الله وخزنة علم الله وأوصياء رسول الله الذين عصمهم الله من الدنس وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا..

فهلم بنا عزيزي القارئ لنبحر في محيط الزيارة الجامعة الكبيرة المروية عن الإمام الهادي عليه السلام.

الزيارة الجامعة الكبيرة دورة معارف عقائدية

من جملة ما ترك لنا الإمام علي الهادي من معارف الدين، الزيارة الجامعة الكبيرة، وهي زيارة يزار بها المعصومون عليهم السلام، وليست خاصة بواحد منهم.

وقد ورد ذكرها في عدد من كتب الحديث، منها كتاب من لا يحضره الفقيه[1] للشيخ الصدوق، وكذلك في كتابه الآخر عيون أخبار الرضا عليه السلام ونقلها عنه شيخ الطائفة الطوسي في تهذيب الأحكام[2] وقام بشرحها الكثير من العلماء، فالغالب أن كل من تعرض لشرح الكتابين (الفقيه والتهذيب) قد شرحها بشكل مفصل أو مختصر، بل إنها شُرحت من علماء آخرين بشكل مستقل.[3]

1/ ينبغي أن يلاحظ القارئ الكريم أن لزيارة (مشاهد وقبور) المعصومين دورين مهمين: عاطفيًّا قلبيًّا وروحيًّا يقوم بربط

(1) الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: من لا يحضره الفقيه 2/ 609، روى محمد بن إسماعيل البرمكي قال: «حدثنا موسى بن عبد الله النخعي قال: قلت لعلي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام علمني يا بن رسول الله قولا أقوله، بليغًا كاملًا إذا زرت واحدًا منكم، فقال: إذا صرت إلى الباب فقف واشهد الشهادتين وأنت على غسل، فإذا دخلت ورأيت القبر فقف وقل: «الله أكبر، الله أكبر ـ ثلاثين مرة ـ، ثم امش قليلًا، وعليك السكينة والوقار، وقارب بين خطاك، ثم قف وكبر الله عز وجل ـ ثلاثين مرة ـ ثم ادن من القبر وكبر الله ـ أربعين مرة ـ تمام مائة تكبيرة، ثم قل..

(2) الطوسي؛ محمد بن الحسن: تهذيب الأحكام 6/ 95.

(3) وقد أشار السيد علي الميلاني في موقعه الالكتروني إلى أن صاحب الذريعة ذكر لها نحو عشرين شرحًا. ونحيل القارئ العزيز الذي يطلب التفصيل إلى شرح السيد الميلاني حفظه الله لها، وقد قدم لها بما يستفاد من الوجوه لتصحيح صدورها عن المعصوم ودراسة سندها ومتنها بتحقيق متين. وطبع ذلك الشرح في كتاب بعنوان: مع الأئمّة الهداة في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة.

الزائر أكثر فأكثر بالمعصوم، ويشعره بالانتماء إليه، وآخر معرفيًّا وعقيديًّا وذلك عندما يقرأ نص الزيارة ويخاطب بها المعصوم المَزُور، ولا سيما إذا كان نص تلك الزيارة مرويًّا عن المعصومين أنفسهم.

ونعتقد أنه لهاتين الجهتين - ولغيرهما - وردت الروايات الكثيرة الواعدة بالثواب العظيم على زيارة قبورهم. ولا سيما إذا كان عارفًا بحقهم، ودور نصوص هذه الزيارات أنها تزيد المعرفة بهم وتبين للزائر حقهم على الخلق وعليه.

2/ الزيارة المعروفة بالجامعة الكبيرة، سميت بالجامعة لأن بالإمكان زيارة المعصومين بها،[1] وتوصيفها بالكبيرة لأن هناك زيارات جامعة ولكنها أقصر منها متنا وأصغر.

وقد رأى بعض علماء الإمامية أن هذه الزيارة معتبرة، بل هي» أصح الزيارات سندًا، وأعمُّها موردًا، وأفصحُها لفظًا وأبلغُها معنىً، وأعلاها شأنًا».[2]

(1) مع تأمل بعض العلماء في زيارة النبي صلى الله عليه وآله بها باعتبار أنها تخاطب المعصومين بـ (وإلى جدكم بعث الروح الأمين) وكذلك بعض المعاني الموجودة فيها حيث أنها ناظرة إلى خلافتهم للنبي فهي لا تناسب النبي المصطفى، وإن كان أكثر فقراتها تنطبق عليه بالصورة الأعلى والأكمل. وكذلك ما يرتبط بالصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام فإنها وإن كانت داخلة في أغلب فقرات إلا أن الزيارة موجهة لـ (الإمام)، وهكذا فإن بعض فقراتها لا يقصد بها بعض الأئمة كما هو الحال في فقرة (لائذ بقبوركم) فهي لا تشمل الإمام المهدي عجل الله فرجه حيث أنه حي يرزق كما يعتقد الإمامية.

(2) المجلسي: بحار الأنوار99/ 146.

فتارة وصفوا سندها في الفقيه بالصحيح أو الحسن كالصحيح، وأخرى بأنه لا حاجة إلى التحقيق في سندها فإن متنها هو سندها ودليل صحة صدورها عنهم ﷺ حيث لا يستطيع غيرهم أن يقول مثل هذا الكلام العميق في معانيه والبليغ في ألفاظه.

بل إن بعضهم قد استدل ببعض فقراتها في أحكام الفقه وهو يعني الثقة بصدورها عن المعصوم.[1]

3/ إن أهمية الزيارة الجامعة هي أنها جاءت في عصرٍ كثر فيه اتجاه الغلو في المعصومين عند بعض من ينتسب إلى التشيع[2]، وفي نفس الوقت كان اتجاه الخلافة العباسية يريد القضاء على صورة المعصومين القدسية وتحويلهم إلى أشخاص عاديين لا ميزة لهم إلا بمقدار من العلم، وهذا يمكن لغيرهم الحصول عليه! بل إنهم يمكن أن يصبحوا عبيد الدنيا والشهوة كما غيرهم![3]

فهذه الزيارة في نفس الوقت الذي تثبت منازلهم العالية

(1) نقله السيد علي الميلاني في كتابه مع الأئمّة الهداة في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة/ منشور على موقعه الالكتروني فقد أشار إلى استدلال السيدين الخوئي والكلبايكاني بفقرة (من جحدكم كافر ومن حاربكم مشرك) في الفقه في باب الطهارة.

(2) مر في صفحات سابقة بحث عن الغلو والغلاة وكيف قاومه الأئمة ﷺ.

(3) نلحظ هذا في إصرار المتوكل كما تقدم في حاشية سابقة وقوله: «ويحكم قد أعياني أمر ابن الرضا! أبى أن يشرب معي أو ينادمني أو أجد منه فرصة في هذا»! وهكذا ما فضح به الإمام الرضا ﷺ المأمونَ العباسي من أنه لا يريد حسنًا بتنصيب الإمام وليًّا للعهد وإنما له مطامع أخر، عندما قال له: «تُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يَقُولَ اَلنَّاسُ إِنَّ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى لَمْ يَزْهَدْ فِي اَلدُّنْيَا بَلْ زَهِدَتِ اَلدُّنْيَا فِيهِ أَلاَ تَرَوْنَ كَيْفَ قَبِلَ وِلاَيَةَ اَلْعَهْدِ طَمَعًا فِي اَلْخِلاَفَةِ..» وقد ذكرنا ذلك مع مصادره في كتابنا: عالم آل محمد: الإمام علي بن موسى الرضا.

ومقاماتهم التي لا يدانيهم فيها أحد، فإنها لا تخرجهم عن كونهم عبيدًا مكرمين.

فأول ما نلاحظ في الحديث المروي عن الإمام الهادي أنه يأمر الزائر بأن يكبر الله سبحانه مائة تكبيرة، موزعة على ثلاثة مواضع، وهذا كما قال بعض العلماء لكيلا يتسرب الغلو إلى نفس الزائر من عظمة الكلمات التي يقولها ويقرأها. كما أننا نلاحظ أن الزائر يسلم عليهم بالصفات التالية: السَّلَامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ وَالْأَدِلَّاءِ عَلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ وَالْمُسْتَقِرِّينَ فِي أَمْرِ اللَّهِ وَالتَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ وَالْمُخْلِصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ وَالْمُظْهِرِينَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ وَعِبَادِهِ الْمُكْرَمِينَ الَّذِينَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

فهم دعاة إلى الله، وأدلاء على مرضاته، ومخلصون في توحيده ومظهرون لنهيه، وعباد مكرمون يعملون بأمره، فمن يقرأ هذه العبارات لا ينبغي أن يتصور أن فيهم شيئا من الله: حلولا أو جزءًا أو بنوة أو شراكة أو غير ذلك مما انحرف إليه الغلاة.

وهكذا عندما يخاطبهم بأنه يشهد بأنهم أئمة راشدون، مطيعون للَّه، قوامون بأمره، عاملون بإرادته وأنهم لهذا عظموا جلال الله وأداموا ذكره وأحكموا عقد طاعته، وأخلصوا له سرًّا وعلانية، ودعَوا إلى سبيله، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأنهم نشروا شرائع

أحكامه وسنوا سنته.. فلا معنى بعد ذلك لأي نحو من أنحاء الغلو والارتفاع:

«وَأَشْهَدُ أَنَّكُمُ الْأَئِمَّةُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ الْمَعْصُومُونَ الْمُكَرَّمُونَ الْمُقَرَّبُونَ الْمُتَّقُونَ الصَّادِقُونَ الْمُصْطَفَوْنَ الْمُطِيعُونَ لِلَّهِ الْقَوَّامُونَ بِأَمْرِهِ الْعَامِلُونَ بِإِرَادَتِهِ الْفَائِزُونَ بِكَرَامَتِهِ اصْطَفَاكُمْ بِعِلْمِهِ وَارْتَضَاكُمْ لِغَيْبِهِ وَاخْتَارَكُمْ لِسِرِّهِ وَاجْتَبَاكُمْ بِقُدْرَتِهِ وَأَعَزَّكُمْ بِهُدَاهُ وَخَصَّكُمْ بِبُرْهَانِهِ وَانْتَجَبَكُمْ بِنُورِهِ وَأَيَّدَكُمْ بِرُوحِهِ وَرَضِيَكُمْ خُلَفَاءَ فِي أَرْضِهِ وَحُجَجًا عَلَى بَرِيَّتِهِ وَأَنْصَارًا لِدِينِهِ وَحَفَظَةً لِسِرِّهِ وَخَزَنَةً لِعِلْمِهِ وَمُسْتَوْدَعًا لِحِكْمَتِهِ وَتَرَاجِمَةً لِوَحْيِهِ وَأَرْكَانًا لِتَوْحِيدِهِ وَشُهَدَاءَ عَلَى خَلْقِهِ وَأَعْلَامًا لِعِبَادِهِ وَمَنَارًا فِي بِلَادِهِ وَأَدِلَّاءَ عَلَى صِرَاطِهِ عَصَمَكُمُ اللَّهُ مِنَ الزَّلَلِ وَآمَنَكُمْ مِنَ الْفِتَنِ وَطَهَّرَكُمْ مِنَ الدَّنَسِ وَأَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَطَهَّرَكُمْ تَطْهِيرًا.

فَعَظَّمْتُمْ جَلَالَهُ وَأَكْبَرْتُمْ شَأْنَهُ وَمَجَّدْتُمْ كَرَمَهُ وَأَدْمَنْتُمْ ذِكْرَهُ وَوَكَّدْتُمْ مِيثَاقَهُ وَأَحْكَمْتُمْ عَقْدَ طَاعَتِهِ وَنَصَحْتُمْ لَهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ وَدَعَوْتُمْ إِلَى سَبِيلِهِ ﴿بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ وَبَذَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي مَرْضَاتِهِ وَصَبَرْتُمْ عَلَى مَا أَصَابَكُمْ فِي جَنْبِهِ وَأَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَأَمَرْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَيْتُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَجَاهَدْتُمْ فِي اللّٰهِ حَقَّ جِهَادِهِ حَتَّى أَعْلَنْتُمْ دَعْوَتَهُ وَبَيَّنْتُمْ فَرَائِضَهُ وَأَقَمْتُمْ حُدُودَهُ وَنَشَرْتُمْ شَرَائِعَ أَحْكَامِهِ وَسَنَنْتُمْ سُنَّتَهُ وَصِرْتُمْ فِي

ذَلِكَ مِنْهُ إِلَى الرِّضَا وَسَلَّمْتُمْ لَهُ الْقَضَاءَ وَصَدَّقْتُمْ مِنْ رُسُلِهِ مَنْ مَضَى».

وهذه المراتب من العبودية لا تتنافى مع المقامات العالية المقدسة، فكما ينسب لأمير المؤمنين عليه السلام قوله: «كفى بي عزًّا أن أكون لك عبدًا، وكفى بي فخرًا أن تكون لي ربًّا، أنت كما أحب فاجعلني كما تحب».[1]

في نفس الوقت فإن من مراتبهم التي كشفتها هذه الزيارة ـ ولم تحط بكل تلك المراتب الكمالية ـ فإن الإمام لم يكن في صدد استقصاء كل تلك المقامات، وإنما هو في صدد جواب السائل موسى النخعي الذي طلب منه كلاما بليغا كاملا يقوله ويزور به المعصومين، والزيارة والوقوف عند القبر قد لا يقتضي أكثر من هذا المقدار من الوقت، وبالتالي هذا العدد من المقامات والمراتب.

فمن تلك المراتب والمقامات ما جاء في الزيارة من وصفهم بـ«مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَمَسَاكِنِ بَرَكَةِ اللَّهِ وَمَعَادِنِ حِكْمَةِ اللَّهِ وَحَفَظَةِ سِرِّ اللَّهِ وَحَمَلَةِ كِتَابِ اللَّهِ وَأَوْصِيَاءِ نَبِيِّ اللَّهِ وَذُرِّيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم».

(1) الحسيني الخطيب؛ السيد عبد الزهراء: مصادر نهج البلاغة وأسانيده4/ 130.

بل ويخاطبهم بـ «يَا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَمَوْضِعَ الرِّسَالَةِ وَمُخْتَلَفَ الْمَلَائِكَةِ وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ وَخُزَّانَ الْعِلْمِ وَمُنْتَهَى الْحِلْمِ وَأُصُولَ الْكَرَمِ وَقَادَةَ الْأُمَمِ وَأَوْلِيَاءَ النِّعَمِ وَعَنَاصِرَ الْأَبْرَارِ وَدَعَائِمَ الْأَخْيَارِ وَسَاسَةَ الْعِبَادِ وَأَرْكَانَ الْبِلَادِ وَأَبْوَابَ الْإِيمَانِ وَأُمَنَاءَ الرَّحْمَنِ وَسُلَالَةَ النَّبِيِّينَ وَصَفْوَةَ الْمُرْسَلِينَ وَعِتْرَةَ خِيَرَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

كما يسلم عليهم ذاكرًا أعلى ما يمكن توفره في البشر من صفات كاملة فيقول الزائر: «السَّلَامُ عَلَى أَئِمَّةِ الْهُدَى وَمَصَابِيحِ الدُّجَى وَأَعْلَامِ التُّقَى وَذَوِي النُّهَى وَأُولِي الْحِجَى وَكَهْفِ الْوَرَى وَوَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَثَلِ الْأَعْلَى وَالدَّعْوَةِ الْحُسْنَى وَحُجَجِ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْأُولَى وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ».

ولمن أراد مزيدًا من التعرف على فقرات معانيها وتفصيل ما جاء فيها فليرجع إلى شروحها المفصلة.

4/ **إن الزيارة بحسب تقسيمها** سنجد فيها: خمس تسليمات عليهم بفقراتها، وأربع شهادات من جهة الزائر، ووصف للمزور.. وأربع مرات تفدية واستعداد للتضحية بالنفس والأهل والمال والولد.. وهذا يشابه سائر الزيارات في بنيتها العامة حيث تحتوي في العادة على التسليم على المزور،

وعلى الشهادة له بما هو أهل ذلك من الخير والفضل وإقامة الصلاة والجهاد في سبيل الله وسائر الصفات الحسنة.

5/ **هناك بعض الإثارات والتشكيكات** التي قد يثيرها المخالفون الطائفيون حول بعض عبارات الزيارة المذكورة، وربما تأثر بها على مستوى السؤال أو التردد بعض أتباع أهل البيت عليهم السلام، ونرى من اللازم الإشارة لها.

فإن هناك إثارة تقول بأنه جاء في هذه الزيارة بعض الكلمات المشيرة إلى الشرك مثل: بكم ينزل الغيث وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض «.. يتساءل هؤلاء هل يحتاج الله لهم؟ وألا يعد هذا شركا بالله تعالى المستغني عن كافة عباده؟

وهكذا الفقرة التي تقول «إياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم» والحال أن القرآن يخالف ذلك بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ (*) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾.[1]

والجواب: على ذلك بالنقض والحل؛ **أما النقض** فنحن نقول لهم: لو حذفنا هذه العبارات.. هل تقبلون باقي الزيارة؟ وباقي الصفات؟

وبالطبع فإن هؤلاء المخالفين لا يقبلون أي حرف من الزيارة! بل لا يرون مشروعية للزيارة لا في قصد القبر وشد الرحال إليه،

(1) الغاشية 25 ـ 26.

ولا في مخاطبة صاحب القبر فإنه ميت عندهم لا يسمع ولا يعي! ولا في ذكر هذه العبارات ولا غيرها، فكل ذلك عندهم هو أمر مبتدع! لقد رفضوا زيارة قبر الرسول المصطفى! أفتراهم يقبلون بزيارة أبنائه الأوصياء؟

وأما الحل: فالجواب عن الإشكال الأول: هو بأن يقال: إنه جرت سنة الله سبحانه في خلقه أن يدبر الكون من خلال وسائط (ملائكة، قوانين، ومخلوقات) لا عجزًا منه ولا استعانة وإنما هذا أبلغ في إظهار قدرته وعظمته!

فإن الله سبحانه وهو المحيي والمميت، يقدر على إماتة كل خلقه وإحيائهم، لكنه مع ذلك أوكل الأمر إلى أحد ملائكته وهو اسرافيل وأوكل إليه نفختين في الصور إحداهما تميت والأخرى تحيي! ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾[1]

وهكذا في إماتة الخلق بالتدريج كما هو في الدنيا فتارة يقول ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ﴾.[2]

وفي نفس الوقت يقول سبحانه: ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ﴾[3]

(1) الزمر: 68.
(2) الزمر: 42.
(3) السجدة 11.

إن جبرئيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ورضوان خازن الجنان ومالك خازن النيران والكرام الكاتبين المراقبين للإنسان والحفظة الذين يحفظونه بأمر الله وإذنه، بل (وعلى أحد تفسيري) الصافات والزاجرات والتاليات والمرسلات والعاصفات والناشرات والفارقات والملقيات[1].. كل هذه إنما هي جنود الله ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[2] .. بها يدبر الكون، لا أنها هي التي تدبر، وإنما بها..

بل حتى القوانين الطبيعية فإنه ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[3] ولكن هذا إنما يتم بنظام وضعه الخالق سبحانه وأجرى الكون على أساسه، فلا الكواكب يصدم بعضها بعضا ولا يبتعد بعضها عن البعض الآخر وإنما هي مجذوبة لبعضها بنظام.. به تبقى الكواكب والأفلاك. فبهذا النظام وهو خلق الله يدير الله الكون. بالجاذبية وهي (من جند الله) يحفظ ما على الأرض فلا يطير في الهواء، وتستقر الأرضيات فيها، وبالماء يكون كل شيء حيًّا وهو خلق من خلق الله.. فهل عجز الله سبحانه حتى يحتاج لكل تلك الملائكة

(1) بمراجعة التفاسير بين الفريقين يتبين أن أحد الرأيين في هذه الأسماء أنها إشارات للملائكة الموكلين بهذه المهمات، فراجع.
(2) المدثر: 31.
(3) يس: 40.

والمخلوقات؟ أو أنه شريكة له في ربوبيته وألوهيته؟ كلا. وإنما هي من مظاهر عظمته وقدرته. فعلى ضعفها وقلتها وذلتها وعبوديتها أودع فيها شيئًا من قدرته فصارت هكذا..

ونفس الكلام يقال بالنسبة للمعصومين عليهم السلام، فهم لا يشاركون الله في شيء وإنما أجرى فيهم سره، وأودع فيهم شيئًا من قوته وعظمته، فبذلك حفظت الأرض إذ لولاهم لساخت بأهلها، وبهم رُزِق الورى..

أترى أن الجاذبية وهي قانون.. تحفظ الأرض بإذن الله وأمره، بينما لا يحفظها من الفناء والعذاب وجودُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟[1] وإذا ثبت بالنسبة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقد ثبت في أوصيائه وولده.

وأما الجواب عن السؤال الثاني: فإننا لو التزمنا بأن الله سبحانه يباشر حساب الخلق وأنه يعودون إليه ويؤوبون له، بالمعنى الظاهري الحرفي فإن ذلك يلزم منه التجسيم وحصول الله في جهة دون سائر الجهات، كما تقول ارجع إلى فلان وخذ حسابك منه! وهذا لا يقول به المسلمون الواعون. وإنما المشبهة والمجسمة.

فإذن يلزم أن يعنون بعنوان غير هذا. وهو أن مرجع الناس

(1) الأنفال: 33 ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾.

ومصائرهم إلى ربهم، وأنهم مهما تهربوا في هذه الدنيا من الحساب فإن لهم يومًا لا يستطيعون الفرار منه. وهذا على وزن ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾[1] ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾[2].

فإيابهم إلى الله ومرجعهم له، وحسابهم يكون منه، ولكن ليس بالضرورة أن يكون بشكل مباشر بل الملائكة تارة تأتي بالكتب، وأخرى تتولى سوق الجاحدين إلى جهنم، وثالثة تقدم هؤلاء وتؤخر أولئك، وهكذا الحال بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة فإنه وهم يسقون الناجين من حوض الكوثر، ويذودون عصاة الخلق عنه كما تذاد غريبة الابل. وكل ذلك إنما يتم بأمر الله وإذنه.

إن بعض الناس عندما يقال لهم: الملَك الفلاني يتولى حساب الناس! يستقبله بصدر كالأرض رحابة! لكن إذا قيل له إن عليًّا بن أبي طالب هو قسيم الجنة والنار، ترى (صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ) مع أنه لا ذاك يقوم بالأمر بنفسه واستقلاله ولا هذا!

نص الزيارة

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَمَوْضِعَ الرِّسَالَةِ وَمُخْتَلَفَ الْمَلَائِكَةِ وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ وَخُزَّانَ الْعِلْمِ وَمُنْتَهَى

(1) الشورى:53 .
(2) هود: 123.

الْحِلْمِ وَأُصُولَ الْكَرَمِ وَقَادَةَ الْأُمَمِ وَأَوْلِيَاءَ النِّعَمِ وَعَنَاصِرَ الْأَبْرَارِ وَدَعَائِمَ الْأَخْيَارِ وَسَاسَةَ الْعِبَادِ وَأَرْكَانَ الْبِلَادِ وَأَبْوَابَ الْإِيمَانِ وَأُمَنَاءَ الرَّحْمَنِ وَسُلَالَةَ النَّبِيِّينَ وَصَفْوَةَ الْمُرْسَلِينَ وَعِتْرَةَ خِيَرَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ.

السَّلَامُ عَلَى أَئِمَّةِ الْهُدَى وَمَصَابِيحِ الدُّجَى وَأَعْلَامِ التُّقَى وَذَوِي النُّهَى وَأُولِي الْحِجَى وَكَهْفِ الْوَرَى وَوَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَثَلِ الْأَعْلَى وَالدَّعْوَةِ الْحُسْنَى وَحُجَجِ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْأُولَى وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَمَسَاكِنِ بَرَكَةِ اللَّهِ وَمَعَادِنِ حِكْمَةِ اللَّهِ وَحَفَظَةِ سِرِّ اللَّهِ وَحَمَلَةِ كِتَابِ اللَّهِ وَأَوْصِيَاءِ نَبِيِّ اللَّهِ وَذُرِّيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

السَّلَامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ وَالْأَدِلَّاءِ عَلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ وَالْمُسْتَقِرِّينَ فِي أَمْرِ اللَّهِ وَالتَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ وَالْمُخْلِصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ وَالْمُظْهِرِينَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ وَعِبَادِهِ الْمُكْرَمِينَ الَّذِينَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

السَّلَامُ عَلَى الْأَئِمَّةِ الدُّعَاةِ وَالْقَادَةِ الْهُدَاةِ وَالسَّادَةِ الْوُلَاةِ وَالذَّادَةِ الْحُمَاةِ وَأَهْلِ الذِّكْرِ وَأُولِي الْأَمْرِ وَبَقِيَّةِ اللَّهِ وَخِيَرَتِهِ وَحِزْبِهِ وَعَيْبَةِ عِلْمِهِ وَحُجَّتِهِ وَصِرَاطِهِ وَنُورِهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ كَمَا شَهِدَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ وَشَهِدَتْ لَهُ مَلَائِكَتُهُ وَأُولُو الْعِلْمِ مِنْ خَلْقِهِ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُنْتَجَبُ وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَى أَرْسَلَهُ ﴿بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾.

وَأَشْهَدُ أَنَّكُمُ الْأَئِمَّةُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ الْمَعْصُومُونَ الْمُكَرَّمُونَ الْمُقَرَّبُونَ الْمُتَّقُونَ الصَّادِقُونَ الْمُصْطَفَوْنَ الْمُطِيعُونَ لِلَّهِ الْقَوَّامُونَ بِأَمْرِهِ الْعَامِلُونَ بِإِرَادَتِهِ الْفَائِزُونَ بِكَرَامَتِهِ اصْطَفَاكُمْ بِعِلْمِهِ وَارْتَضَاكُمْ لِغَيْبِهِ وَاخْتَارَكُمْ لِسِرِّهِ وَاجْتَبَاكُمْ بِقُدْرَتِهِ وَأَعَزَّكُمْ بِهُدَاهُ وَخَصَّكُمْ بِبُرْهَانِهِ وَانْتَجَبَكُمْ بِنُورِهِ وَأَيَّدَكُمْ بِرُوحِهِ وَرَضِيَكُمْ خُلَفَاءَ فِي أَرْضِهِ وَحُجَجًا عَلَى بَرِيَّتِهِ وَأَنْصَارًا لِدِينِهِ وَحَفَظَةً لِسِرِّهِ وَخَزَنَةً لِعِلْمِهِ وَمُسْتَوْدَعًا لِحِكْمَتِهِ وَتَرَاجِمَةً لِوَحْيِهِ وَأَرْكَانًا لِتَوْحِيدِهِ وَشُهَدَاءَ عَلَى خَلْقِهِ وَأَعْلَامًا لِعِبَادِهِ وَمَنَارًا فِي بِلَادِهِ وَأَدِلَّاءَ عَلَى صِرَاطِهِ عَصَمَكُمُ اللَّهُ مِنَ الزَّلَلِ وَآمَنَكُمْ مِنَ الْفِتَنِ وَطَهَّرَكُمْ مِنَ الدَّنَسِ وَأَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَطَهَّرَكُمْ تَطْهِيرًا.

فَعَظَّمْتُمْ جَلَالَهُ وَأَكْبَرْتُمْ شَأْنَهُ وَمَجَّدْتُمْ كَرَمَهُ وَأَدْمَنْتُمْ ذِكْرَهُ وَوَكَّدْتُمْ مِيثَاقَهُ وَأَحْكَمْتُمْ عَقْدَ طَاعَتِهِ وَنَصَحْتُمْ لَهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ وَدَعَوْتُمْ إِلَى سَبِيلِهِ ﴿بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ وَبَذَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي مَرْضَاتِهِ وَصَبَرْتُمْ عَلَى مَا أَصَابَكُمْ فِي جَنْبِهِ

وَأَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَأَمَرْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَيْتُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَجَاهَدْتُمْ فِي اللّٰهِ حَقَّ جِهٰادِهِ حَتَّى أَعْلَنْتُمْ دَعْوَتَهُ وَبَيَّنْتُمْ فَرَائِضَهُ وَأَقَمْتُمْ حُدُودَهُ وَنَشَرْتُمْ شَرَائِعَ أَحْكَامِهِ وَسَنَنْتُمْ سُنَّتَهُ وَصِرْتُمْ فِي ذَلِكَ مِنْهُ إِلَى الرِّضَا وَسَلَّمْتُمْ لَهُ الْقَضَاءَ وَصَدَّقْتُمْ مِنْ رُسُلِهِ مَنْ مَضَى.

فَالرَّاغِبُ عَنْكُمْ مَارِقٌ وَاللَّازِمُ لَكُمْ لَاحِقٌ وَالْمُقَصِّرُ فِي حَقِّكُمْ زَاهِقٌ وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفِيكُمْ وَمِنْكُمْ وَإِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ وَمَعْدِنُهُ وَمِيرَاثُ النُّبُوَّةِ عِنْدَكُمْ وَإِيَابُ الْخَلْقِ إِلَيْكُمْ وَحِسَابُهُمْ عَلَيْكُمْ وَفَصْلُ الْخِطَابِ عِنْدَكُمْ وَآيَاتُ اللَّهِ لَدَيْكُمْ وَعَزَائِمُهُ فِيكُمْ وَنُورُهُ وَبُرْهَانُهُ عِنْدَكُمْ وَأَمْرُهُ إِلَيْكُمْ مَنْ وَالاكُمْ فَقَدْ وَالَى اللَّهَ وَمَنْ عَادَاكُمْ فَقَدْ عَادَى اللَّهَ وَمَنْ أَحَبَّكُمْ فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ وَمَنْ أَبْغَضَكُمْ فَقَدْ أَبْغَضَ اللَّهَ وَمَنِ اعْتَصَمَ بِكُمْ فَقَدِ اعْتَصَمَ بِاللَّهِ.

أَنْتُمُ الصِّرَاطُ الْأَقْوَمُ وَشُهَدَاءُ دَارِ الْفَنَاءِ وَشُفَعَاءُ دَارِ الْبَقَاءِ وَالرَّحْمَةُ الْمَوْصُولَةُ وَالْآيَةُ الْمَخْزُونَةُ وَالْأَمَانَةُ الْمَحْفُوظَةُ وَالْبَابُ الْمُبْتَلَى بِهِ النَّاسُ مَنْ أَتَاكُمْ نَجَا وَمَنْ لَمْ يَأْتِكُمْ هَلَكَ إِلَى اللَّهِ تَدْعُونَ وَعَلَيْهِ تَدُلُّونَ وَبِهِ تُؤْمِنُونَ وَلَهُ تُسَلِّمُونَ وَبِأَمْرِهِ تَعْمَلُونَ وَإِلَى سَبِيلِهِ تُرْشِدُونَ وَبِقَوْلِهِ تَحْكُمُونَ.

سَعِدَ مَنْ وَالاكُمْ وَهَلَكَ مَنْ عَادَاكُمْ وَخَابَ مَنْ جَحَدَكُمْ وَضَلَّ مَنْ فَارَقَكُمْ وَفَازَ مَنْ تَمَسَّكَ بِكُمْ وَأَمِنَ مَنْ لَجَأَ إِلَيْكُمْ وَسَلِمَ مَنْ صَدَّقَكُمْ وَهُدِيَ مَنِ اعْتَصَمَ بِكُمْ مَنِ اتَّبَعَكُمْ فَالْجَنَّةُ مَأْوَاهُ وَمَنْ خَالَفَكُمْ فَالنَّارُ مَثْوَاهُ وَمَنْ جَحَدَكُمْ كَافِرٌ وَمَنْ حَارَبَكُمْ مُشْرِكٌ وَمَنْ رَدَّ عَلَيْكُمْ فِي أَسْفَلِ دَرْكٍ مِنَ الْجَحِيمِ.

أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا سَابِقٌ لَكُمْ فِيمَا مَضَى وَجَارٍ لَكُمْ فِيمَا بَقِيَ وَأَنَّ أَرْوَاحَكُمْ وَنُورَكُمْ وَطِينَتَكُمْ وَاحِدَةٌ طَابَتْ وَطَهُرَتْ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ خَلَقَكُمُ اللَّهُ أَنْوَارًا فَجَعَلَكُمْ بِعَرْشِهِ مُحْدِقِينَ حَتَّى مَنَّ عَلَيْنَا بِكُمْ فَجَعَلَكُمْ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَجَعَلَ صَلَوَاتِنَا عَلَيْكُمْ وَمَا خَصَّنَا بِهِ مِنْ وَلَايَتِكُمْ طِيبًا لِخَلْقِنَا وَطَهَارَةً لِأَنْفُسِنَا وَتَزْكِيَةً لَنَا وَكَفَّارَةً لِذُنُوبِنَا فَكُنَّا عِنْدَهُ مُسَلِّمِينَ بِفَضْلِكُمْ وَمَعْرُوفِينَ بِتَصْدِيقِنَا إِيَّاكُمْ.

أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا سَابِقٌ لَكُمْ فِيمَا مَضَى وَجَارٍ لَكُمْ فِيمَا بَقِيَ وَأَنَّ أَرْوَاحَكُمْ وَنُورَكُمْ وَطِينَتَكُمْ وَاحِدَةٌ طَابَتْ وَطَهُرَتْ ﴿بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ خَلَقَكُمُ اللَّهُ أَنْوَارًا فَجَعَلَكُمْ بِعَرْشِهِ مُحْدِقِينَ حَتَّى مَنَّ عَلَيْنَا بِكُمْ فَجَعَلَكُمْ ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ وَجَعَلَ صَلَوَاتِنَا عَلَيْكُمْ وَمَا خَصَّنَا بِهِ مِنْ وَلَايَتِكُمْ طِيبًا لِخَلْقِنَا وَطَهَارَةً لِأَنْفُسِنَا وَتَزْكِيَةً لَنَا وَكَفَّارَةً لِذُنُوبِنَا فَكُنَّا عِنْدَهُ مُسَلِّمِينَ بِفَضْلِكُمْ وَمَعْرُوفِينَ بِتَصْدِيقِنَا إِيَّاكُمْ.

فَبَلَغَ اللَّهُ بِكُمْ أَشْرَفَ مَحَلِّ الْمُكَرَّمِينَ وَأَعْلَى مَنَازِلِ الْمُقَرَّبِينَ وَأَرْفَعَ دَرَجَاتِ الْمُرْسَلِينَ حَيْثُ لَا يَلْحَقُهُ لَاحِقٌ وَلَا يَفُوقُهُ فَائِقٌ وَلَا يَسْبِقُهُ سَابِقٌ وَلَا يَطْمَعُ فِي إِدْرَاكِهِ طَامِعٌ حَتَّى لَا يَبْقَى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا صِدِّيقٌ وَلَا شَهِيدٌ وَلَا عَالِمٌ وَلَا جَاهِلٌ وَلَا دَنِيٌّ وَلَا فَاضِلٌ وَلَا مُؤْمِنٌ صَالِحٌ وَلَا فَاجِرٌ طَالِحٌ وَلَا جَبَّارٌ عَنِيدٌ وَلَا شَيْطَانٌ مَرِيدٌ وَلَا خَلْقٌ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ شَهِيدٌ إِلَّا عَرَّفَهُمْ جَلَالَةَ أَمْرِكُمْ وَعِظَمَ خَطَرِكُمْ وَكِبَرَ شَأْنِكُمْ وَتَمَامَ نُورِكُمْ وَصِدْقَ مَقَاعِدِكُمْ وَثَبَاتَ مَقَامِكُمْ وَشَرَفَ مَحَلِّكُمْ وَمَنْزِلَتِكُمْ عِنْدَهُ وَكَرَامَتَكُمْ عَلَيْهِ وَخَاصَّتَكُمْ لَدَيْهِ وَقُرْبَ مَنْزِلَتِكُمْ مِنْهُ بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَأَهْلِي وَمَالِي وَأُسْرَتِي.

أُشْهِدُ اللَّهَ وَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي مُؤْمِنٌ بِكُمْ وَبِمَا آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرٌ بِعَدُوِّكُمْ وَبِمَا كَفَرْتُمْ بِهِ مُسْتَبْصِرٌ بِشَأْنِكُمْ وَبِضَلَالَةِ مَنْ خَالَفَكُمْ مُوَالٍ لَكُمْ وَلِأَوْلِيَائِكُمْ مُبْغِضٌ لِأَعْدَائِكُمْ وَمُعَادٍ لَهُمْ سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ مُحَقِّقٌ لِمَا حَقَّقْتُمْ مُبْطِلٌ لِمَا أَبْطَلْتُمْ مُطِيعٌ لَكُمْ عَارِفٌ بِحَقِّكُمْ مُقِرٌّ بِفَضْلِكُمْ مُحْتَمِلٌ لِعِلْمِكُمْ مُحْتَجِبٌ بِذِمَّتِكُمْ مُعْتَرِفٌ بِكُمْ وَمُؤْمِنٌ بِإِيَابِكُمْ مُصَدِّقٌ بِرَجْعَتِكُمْ مُنْتَظِرٌ لِأَمْرِكُمْ مُرْتَقِبٌ لِدَوْلَتِكُمْ.

آخِذٌ بِقَوْلِكُمْ عَامِلٌ بِأَمْرِكُمْ مُسْتَجِيرٌ بِكُمْ زَائِرٌ لَكُمْ لَائِذٌ عَائِذٌ بِقُبُورِكُمْ مُسْتَشْفِعٌ إِلَى اللَّهِ عز وجل بِكُمْ وَمُتَقَرِّبٌ بِكُمْ إِلَيْهِ وَمُقَدِّمُكُمْ أَمَامَ طَلِبَتِي وَحَوَائِجِي وَإِرَادَتِي فِي كُلِّ أَحْوَالِي وَأُمُورِي مُؤْمِنٌ بِسِرِّكُمْ وَعَلَانِيَتِكُمْ وَشَاهِدِكُمْ وَغَائِبِكُمْ وَأَوَّلِكُمْ وَآخِرِكُمْ وَمُفَوِّضٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَيْكُمْ وَمُسَلِّمٌ فِيهِ مَعَكُمْ وَقَلْبِي لَكُمْ سِلْمٌ وَرَأْيِي لَكُمْ تَبَعٌ وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ حَتَّى يُحْيِيَ اللَّهُ دِينَهُ بِكُمْ وَيَرُدَّكُمْ فِي أَيَّامِهِ وَيُظْهِرَكُمْ لِعَدْلِهِ وَيُمَكِّنَكُمْ فِي أَرْضِهِ.

فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لَا مَعَ عَدُوِّكُمْ آمَنْتُ بِكُمْ وَتَوَلَّيْتُ آخِرَكُمْ بِمَا تَوَلَّيْتُ بِهِ أَوَّلَكُمْ وَبَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ عز وجل مِنْ أَعْدَائِكُمْ وَمِنَ الْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَالشَّيَاطِينِ وَحِزْبِهِمُ الظَّالِمِينَ لَكُمْ الْجَاحِدِينَ لِحَقِّكُمْ وَالْمَارِقِينَ مِنْ وَلَايَتِكُمْ وَالْغَاصِبِينَ لِإِرْثِكُمْ الشَّاكِّينَ فِيكُمْ الْمُنْحَرِفِينَ عَنْكُمْ وَمِنْ كُلِّ وَلِيجَةٍ دُونَكُمْ وَكُلِّ مُطَاعٍ سِوَاكُمْ وَمِنَ الْأَئِمَّةِ الَّذِينَ ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾.

فَثَبَّتَنِي اللَّهُ أَبَدًا مَا حَيِيتُ عَلَى مُوَالاتِكُمْ وَمَحَبَّتِكُمْ وَدِينِكُمْ وَوَفَّقَنِي لِطَاعَتِكُمْ وَرَزَقَنِي شَفَاعَتَكُمْ وَجَعَلَنِي مِنْ خِيَارِ مَوَالِيكُمُ التَّابِعِينَ لِمَا دَعَوْتُمْ إِلَيْهِ وَجَعَلَنِي مِمَّنْ يَقْتَصُّ آثَارَكُمْ وَيَسْلُكُ سَبِيلَكُمْ وَيَهْتَدِي بِهُدَاكُمْ وَيُحْشَرُ فِي زُمْرَتِكُمْ وَيَكُرُّ فِي رَجْعَتِكُمْ وَيُمَلَّكُ فِي دَوْلَتِكُمْ وَيُشَرَّفُ فِي عَافِيَتِكُمْ وَيُمَكَّنُ فِي أَيَّامِكُمْ وَتَقَرُّ عَيْنُهُ غَدًا بِرُؤْيَتِكُمْ.

بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي مَنْ أَرَادَ اللَّهَ بَدَأَ بِكُمْ وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ مَوَالِيَّ لَا أُحْصِي ثَنَاءَكُمْ وَلَا أَبْلُغُ مِنَ الْمَدْحِ كُنْهَكُمْ وَمِنَ الْوَصْفِ قَدْرَكُمْ وَأَنْتُمْ نُورُ الْأَخْيَارِ وَهُدَاةُ الْأَبْرَارِ وَحُجَجُ الْجَبَّارِ بِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ وَبِكُمْ ﴿يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ وَبِكُمْ ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ وَبِكُمْ يُنَفِّسُ الْهَمَّ وَيَكْشِفُ الضُّرَّ.

وَعِنْدَكُمْ مَا نَزَلَتْ بِهِ رُسُلُهُ وَهَبَطَتْ بِهِ مَلَائِكَتُهُ وَإِلَى جَدِّكُمْ بُعِثَ الرُّوحُ الْأَمِينُ - وَإِنْ كَانَتِ الزِّيَارَةُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام - فَقُلْ: وَإِلَى أَخِيكَ بُعِثَ الرُّوحُ الْأَمِينُ آتَاكُمُ اللَّهُ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ طَأْطَأَ كُلُّ شَرِيفٍ لِشَرَفِكُمْ وَبَخَعَ كُلُّ مُتَكَبِّرٍ لِطَاعَتِكُمْ وَخَضَعَ كُلُّ جَبَّارٍ لِفَضْلِكُمْ وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِكُمْ وَفَازَ الْفَائِزُونَ بِوَلَايَتِكُمْ بِكُمْ يُسْلَكُ إِلَى الرِّضْوَانِ وَعَلَى مَنْ جَحَدَ وَلَايَتَكُمْ غَضَبُ الرَّحْمَنِ.

بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي ذِكْرُكُمْ فِي الذَّاكِرِينَ وَأَسْمَاؤُكُمْ فِي الْأَسْمَاءِ وَأَجْسَادُكُمْ فِي الْأَجْسَادِ وَأَرْوَاحُكُمْ فِي الْأَرْوَاحِ وَأَنْفُسُكُمْ فِي النُّفُوسِ وَآثَارُكُمْ فِي الْآثَارِ وَقُبُورُكُمْ فِي الْقُبُورِ.

فَمَا أَحْلَى أَسْمَاءَكُمْ وَأَكْرَمَ أَنْفُسَكُمْ وَأَعْظَمَ شَأْنَكُمْ وَأَجَلَّ خَطَرَكُمْ وَأَوْفَى عَهْدَكُمْ كَلَامُكُمْ نُورٌ وَأَمْرُكُمْ رُشْدٌ وَوَصِيَّتُكُمُ التَّقْوَى وَفِعْلُكُمُ الْخَيْرُ وَعَادَتُكُمُ الْإِحْسَانُ وَسَجِيَّتُكُمُ الْكَرَمُ وَشَأْنُكُمُ الْحَقُّ وَالصِّدْقُ وَالرِّفْقُ وَقَوْلُكُمْ حُكْمٌ وَحَتْمٌ وَرَأْيُكُمْ عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَحَزْمٌ إِنْ ذُكِرَ الْخَيْرُ كُنْتُمْ أَوَّلَهُ وَأَصْلَهُ وَفَرْعَهُ وَمَعْدِنَهُ وَمَأْوَاهُ وَمُنْتَهَاهُ.

بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي كَيْفَ أَصِفُ حُسْنَ ثَنَائِكُمْ وَأُحْصِي جَمِيلَ بَلَائِكُمْ وَبِكُمْ أَخْرَجَنَا اللَّهُ مِنَ الذُّلِّ وَفَرَّجَ عَنَّا غَمَرَاتِ الْكُرُوبِ وَأَنْقَذَنَا مِنْ شَفَا جُرُفِ الْهَلَكَاتِ وَمِنَ النَّارِ.

بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي بِمُوَالاتِكُمْ عَلَّمَنَا اللَّهُ مَعَالِمَ دِينِنَا وَأَصْلَحَ مَا كَانَ فَسَدَ مِنْ دُنْيَانَا وَبِمُوَالاتِكُمْ تَمَّتِ الْكَلِمَةُ وَعَظُمَتِ النِّعْمَةُ وَائْتَلَفَتِ الْفُرْقَةُ وَبِمُوَالاتِكُمْ تُقْبَلُ الطَّاعَةُ الْمُفْتَرَضَةُ وَلَكُمُ الْمَوَدَّةُ الْوَاجِبَةُ وَالدَّرَجَاتُ الرَّفِيعَةُ وَالْمَقَامُ الْمَحْمُودُ وَالْمَقَامُ الْمَعْلُومُ عِنْدَ اللَّهِ عز وجل. وَالْجَاهُ الْعَظِيمُ وَالشَّأْنُ الْكَبِيرُ وَالشَّفَاعَةُ الْمَقْبُولَةُ ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾.

يَا وَلِيَّ اللَّهِ إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ عز وجل ذُنُوبًا لَا يَأْتِي عَلَيْهَا إِلَّا رِضَاكُمْ فَبِحَقٍّ مَنِ ائْتَمَنَكُمْ عَلَى سِرِّهِ وَاسْتَرْعَاكُمْ أَمْرَ خَلْقِهِ وَقَرَنَ طَاعَتَكُمْ بِطَاعَتِهِ لَمَّا اسْتَوْهَبْتُمْ ذُنُوبِي وَكُنْتُمْ شُفَعَائِي فَإِنِّي لَكُمْ مُطِيعٌ مَنْ أَطَاعَكُمْ فَقَدْ ﴿أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ وَمَنْ عَصَاكُمْ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَمَنْ أَحَبَّكُمْ فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ وَمَنْ أَبْغَضَكُمْ فَقَدْ أَبْغَضَ اللَّهَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي لَوْ وَجَدْتُ شُفَعَاءَ أَقْرَبَ إِلَيْكَ مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الْأَخْيَارِ الْأَئِمَّةِ الْأَبْرَارِ لَجَعَلْتُهُمْ شُفَعَائِي فَبِحَقِّهِمُ الَّذِي أَوْجَبْتَ لَهُمْ عَلَيْكَ أَسْأَلُكَ أَنْ تُدْخِلَنِي فِي جُمْلَةِ الْعَارِفِينَ بِهِمْ وَبِحَقِّهِمْ وَفِي زُمْرَةِ الْمَرْحُومِينَ بِشَفَاعَتِهِمْ إِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا وَ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾.

ثالثًا:
الإمام في مواجهة التيار القشري المجسِّم

يعتقد الباحثون أنه تم صياغة المذهب الرسمي في الأمة وما عرف فيما بعد بأهل السُّنَّة والجماعة على مراحل:

الأولى: في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب.

والثانية: في عهد معاوية بن أبي سفيان.

والثالثة: في عهد أبي جعفر المنصور العباسي.

والرابعة: في عهد جعفر المتوكل العباسي.

وفي كل مرحلة من هذه المراحل تم إنشاء (طابق) في ذلك البناء!

ولا نريد الآن أن نفصل القول في هذه المراحل وماذا حدث فيها وإنما يرتبط حديثنا بالمرحلة الرابعة زمان المتوكل العباسي، لجهة ارتباطها بموضوعنا حول الإمام الهادي عليه السلام.

سوف نلاحظ أنه في هذه المرحلة كانت بداية النهاية للمعتزلة، وسارت الحكومات من بعد المتوكل على هذا الأساس ـ وإن كان هناك بعض الاستثناءات ـ لكنها لم تؤثر في المسار العام.

إن نشاط المعتزلة[1] في أيام المأمون والمعتصم والواثق (من سنة 198هـ إلى 232 هـ) ومطاردتهم لفكر مخالفيهم لم يحولهم إلى تيار عام إلا تحت حماية الخلافة الرسمية في أيام الخلفاء الثلاثة المذكورين.

وأثرت مطاردتهم لمخالفيهم وجبر الناس على الإيمان بمعتقدات المعتزلة في أكثر من موضوع فكري، إلى أثر عكسي عليهم فقد كان يفترض فيهم وهم الدعاة إلى تحكيم العقل وإلى الحرية الفكرية في الاعتقاد أن يتركوا الناس وشأنهم فـ النبي يخاطبه ربه بـ ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ (*) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[2] فكيف بمن دونه؟

وسرعان ما شربوا من نفس الكأس التي سقوا الناس منها! بعد نحو أربع وثلاثين سنة، فإذا بهم في أيام المتوكل العباسي يطارَدون ويسجَنون ويعذَّبون لأجل إيمانهم بتلك المعتقدات التي سجنوا من كفر بها من خصومهم.. وسيأتي الكلام في ذلك في موضوع فتنة خلق القرآن.

(1) قيل عنهم أنهم: غلبت على المعتزلة النزعةُ العقلية فاعتمدوا على العقل في تأسيس عقائدهم وقدموه على النقل، وقالوا بالفكر قبل السمع، ورفضوا الأحاديث التي لا يقرها العقل حسب وصفهم، وقالوا بوجوب معرفة الله بالعقل ولو لم يرد شرعٌ بذلك، وأنه إذا تعارض النص مع العقل قدموا العقل لأنه أصل النص، ولا يتقدم الفرع على الأصل، والحسن والقبح يجب معرفتهما بالعقل، فالعقل بذلك موجبٌ، وآمرٌ وناهٍ، ينقدُهم معارضوهم أنهم غالوا في استخدام العقل وجعلوه حاكمًا على النص، وبذلك اختلفوا عن السلفية الذين استخدموا العقل وسيلة لفهم النص وليس حاكمًا.

(2) الغاشية:21ـ22.

انطلق مخالفو المعتزلة من أهل الحديث ليمسحوا كل الآثار التي خلفها المعتزلة، فضلًا عن غيرهم ممن سموهم (بأهل البدع)! وهذه المرة أيضًا تحت حماية ورعاية السيف الرسمي للخلافة، فما لبث أن جاء المتوكل وجاء معه المحدثون ومعهم من الأحاديث ما لا يقبله القرآن الكريم عند عرضه عليه، ولا العقل الصحيح عند قياسه به! ولكن كل ذلك لا يهم عندهم ما دام الثقة قد نقله!

بل استدعى المتوكل هؤلاء من كل مكان وأمرهم بأن يحدثوا بأحاديث الصفات! فاستحق بعد ذلك لقب «محيي السنة» وبها صاغ توجه المذهب الرسمي لمدرسة الخلفاء.

وكان ذلك في مطلع خلافته إذ «في سنة أربع وثلاثين ومائتين أشخص المتوكل المحدثين، وقسمت الجوائز بينهم، وأمرهم المتوكل أن يحدثوا بالأحاديث التي فيها الرد على المعتزلة والجهمية، فجلس أبو بكر بن أبي شيبة في مسجد الرصافة، فاجتمع عليه نحو من ثلاثين ألفًا ».[1]

وبشكل اكثر وضوحًا يقول في كتاب آخر «..استقدمَ المحدِّثينَ إلى سامرّاء، وأجزلَ عطاياهم وأكرمهم، وأمرهم أن يُحدِّثوا بأحاديث الصِّفَات والرؤية».[2]

(1) الذهبي؛ شمس الدين: تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال 5/ 291.
(2) الذهبي: تاريخ الإسلام ـ ت تدمري 17/ 13.

فما هي هذه السنة التي أحياها المتوكل العباسي؟ وما هي أحاديث الصفات والرؤية؟

يذهب الشيخ الكوراني إلى أنها كانت إحياء أحاديث التجسيم التي يسمونها أحاديث الصفات والرؤية، وإحياء البغض الأموي لأهل البيت عليهم السلام ونصب العداوة لهم.[1] وينقل عن التميمي في المحن إلى أنه كان «يبعث إلى الآفاق فيؤتى إليه بالفقهاء والمحدثين، فخرَّج كل واحد منهم بثلاثين حديثًا في تثبيت القدر، وثلاثين حديثًا في الرؤية، وغير ذلك من السنن، فتعلمها الناس حتى كثرت السنن وفشَت ونمَت، وطُغيت البدعة وذلَّت».

ويتساءل قائلًا: لاحظ قول الراوي: فخرَّج كل واحد منهم بثلاثين حديثًا في تثبيت القدر، وثلاثين حديثًا في الرؤية! فمن أين جاؤوا بها؟

ولعل الجواب واضح في أن الحكومات عندما تضع يدها في أمر الحديث والرواية وتجيز عليها أو تعاقب، فمن الطبيعي أن يكثر ما يحبه الخليفة من الأحاديث ويتوالد! وأن يضمر ما يكرهه وينتهي!

ما هي أحاديث الصفات والرؤية والقدر؟

لما استبعد أهل الحديث حكومة القرآن على الأحاديث ومقياسية

(1) الكوراني: الإمام علي الهادي 50 وقد مر بنا في صفحات سابقة شيئًا من ممارسات المتوكل في تكريس خط النصب والبغض لأمير المؤمنين علي وللعترة عليهم السلام.

العقل لمضمون الأحاديث، تحول الحديث عندهم إلى (رب) لا يجوز الاعتراض عليه، وسيتحول فيما بعد كتابان هما صحيحا البخاري ومسلم إلى قرآن آخر، وأنهما لا يوجد بعد القرآن أصدق منهما وأصح! وأن من الكبائر (العلمية) أن ترد حديثا ورد في الصحيحين!

لما حصل ذلك جاء إلى الساحة الإسلامية، أحاديث تثبت: حصول رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة! وأنهم يرونه كما يرون الشمس والقمر لا يشكون فيهما.. كذلك الحال بالنسبة لرؤيتهم ربهم سبحانه وتعالى. فلنعرض لبعضها مما يشير الرؤية:

1/ **يرونه بصورته التي يعرفونها**: ذكر في مسند أحمد[1].. عن أبي هريرة، قال: قال الناس: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «هل تضارُّون في الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا، يا رسول الله، فقال: «هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟» فقالوا: لا، يا رسول الله، قال: «فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك، يجمع الله الناس، فيقول: من كان يعبد شيئًا فيتْبَعُه، فيتْبَعُ من كان يعبد القمر القمرَ، ومن كان يعبد الشمسَ الشمس، ويتبع من كان يعبد الطواغيتَ الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله عز وجل في غير الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون:

(1) أحمد بن حنبل الشيباني: (164 ـ 241 هـ) إمام المذهب الحنبلي، الذي ارتفع صيته وشأنه في زمان المتوكل العباسي، حتى كان المتوكل لا يولي أحدًا إلا بمشورته.

نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، قال: فيأتيهم الله عز وجل في الصورِة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتْبعونه...».[1]

وقد تورط أتباع هذا المنهج في مشاكل متعددة منها أن الرؤية تقتضي أن يكون المرئي في جهةٍ، فإذا صار في جهة خلت منه سائر الجهات! وفي خصوص هذا الحديث فإنه أثبت أن المنافقين يرونه كما يراه سائر المسلمين ولا نعلم ما هو الوجه في ذلك هل هو لتكريم نفاقهم؟ وأيضًا ما هي (الصورة) التي كان المسلمون يعرفونها من قبل بحيث أنه جاءهم (سبحانه وتعالى) في صورة أخرى فأنكروه! ثم ذهب وجاءهم في صورة أخرى (كانوا يعرفونها) فعرفوه؟ ما هي هذه الصورة وأين رأوه فيها حتى عادت لهم ذاكرتهم؟

لذلك حين تورط أصحاب هذا المنهج قالوا: (بما أصبح فيما بعد كليشة وشعارا يردده اللاحق عن السابق): هو من أحاديث الصفات لله عز وجل، التي يجب أن نؤمن بها على ما جاء بها الصادق الأمين، دون إنكار، ولا تأويل، ولا تشبيه!!

(1) حنبل؛ أحمد بن: مسند أحمد7/ 430 ت أحمد شاكر: وقد علق عليه محقق الكتاب بالقول «والأحاديث في رؤية المؤمنين ربهم عَزَّ وَجَلَّ ثابتة ثبوت التواتر. من أنكرها فإنما أنكر شيئًا معلومًا من الدين بالضرورة. وإنما ينكر ذلك الجهمية والمعتزلة، ومن تبعهم من الخوارج والإمامية»
ثم في شرحه قال: «قوله «فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون»، ثم قوله «فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون»: هو من أحاديث الصفات لله عز وجل، التي يجب أن نؤمن بها على ما جاء بها الصادق الأمين، دون إنكار، ولا تأويل، ولا تشبيه. تعالى الله عن أن يشبه شيئًا من خلقه.

فهو يصوره بصورة، وينقله من مكان إلى مكان ويريه للناس ذاهبًا وراجعًا.. وكل هذا من غير تشبيه! فماذا يكون التشبيه إذن؟

ثم لما حصلت الورطة مع كلمة (الصورة) فهي واضحة في التشبيه قالوا: معناها: يتجلى الله لهم بالصفة التي يعلمونه بها.. فاضطروا إلى التأويل.. فما معنى التأويل غير هذا؟

وإنما أطلنا الكلام في هذا الحديث لأنه ينطبق على باقي الأحاديث التي تأتي.

2/ **قولهم أن النبي رأى ربه**، ووضع الرب كفه بين كتفي النبي! ما رواه في مسند الدارمي..قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَائِشٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ» قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ فَقُلْتُ: «أَنْتَ أَعْلَمُ يَا رَبِّ»، قَالَ: «فَوَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ، فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَتَلَا ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾[1]. [2]

وفي بقية المصادر بعبارات قريبة أو مختصرة.

(1) الأنعام: 75.

(2) الدارمي؛ عبد الله بن عبد الرحمن: مسند الدارمي ـ ت حسين أسد 2/ 1365: ونفس العبارة [تعليق المحقق] هذا من أحاديث الصفات التي علينا أن نؤمن بها ونجريها على ظاهرها من غير تمثيل أو تشبيه أو تأويل.

والغريب أن بعض هذه الأحاديث يروونها عن ابن عباس وهو تلميذ مدرسة الإمام أمير المؤمنين التي تلتزم أنه ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾[1] لا في الدنيا ولا في الآخرة طبقًا لما جاء في الكتاب المجيد، وأحاديث أمير المؤمنين في هذا أكثر من أن تحصى.

فإذن على طبق هذا الحديث رأى النبي ربه في أحسن صورة! ووضع الله (تعالى وتقدس عن ذلك) كفه بين كتفي النبي فيكون مقاس الكف بهذا المقدار يعني يستوعبه ما بين الكتفين! هذا هو حجم كف الله! تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا!

3/ **أحاديثهم في خلق الله وصورته**: بينما يقول القرآن الكريم (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) تقول أحاديث المشبهة إن صورة الله تشبه صورة آدم النبي! فقد رووا في صحيح مسلم.. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَفِي حَدِيثِ ابْنِ حَاتِمٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ».[2]

(1) الأنعام: 103.

(2) النيشابوري: مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم 4/ 2017 ت عبد الباقي: ومرة أخرى يقول الشارح [شرح محمد فؤاد عبد الباقي] (فإن الله خلق آدم على صورته) هذا من أحاديث الصفات وإن من العلماء من يمسك عن تأويلها ويقول نؤمن بأنها حق وأن ظاهرها غير مراد ولها معنى يليق بها وهذا مذهب جمهور السلف وهو أحوط وأسلم!

4/ **وما دامت صورة الله كصورة آدم**، وأنه خلق آدم على صورة الله، فمن الطبيعي أن يكون له أصابع وأن يكون له رجل وساق ويد وأنه ينزل ويصعد ويأتي هرولة وأمثال ذلك مما ذكروه في أحاديثهم! فهاك خذ:

أصابع الرحمن في صحيح مسلم.. عن عَبْد اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، يَقُولُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ».[1]

وكف الله عندهم: قد تقدمت في حديث الرؤية السابق وأنها وضعها الله بين كتفي النبي!

وأن له قدَمًا (تعالى الله عن ذلك) كما في مسند أحمد عن أبي هريرة: «وأما النار، فيُلْقَوْن فيها، وتقول: هل من مزيد؟ حتى يَضَعَ قَدَمَهَ فيها، فهنالك تمتلئ ويزوي بعضها إلى بعضٍ، وتقول: قَطْ، قَطْ، قطْ».[2]

(1) نفس المصدر 4/ 2045 ت عبد الباقي) وهنا كأن محقق الكتاب استبشع المعنى الظاهري فأورد القولين: العبارة المعروفة.. وأشار إلى القول الآخر الذي يقول بتأويل ذلك إلى معنى أن القلوب تحت قدرته..

(2) مسند أحمد: 7/ 437 .

وساقًا (تعالى الله عن ذلك) كما في صحيح البخاري في وصف مشهد القيامة.. حتى يصل إلى أن الله «يَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ، فَيَقُولُونَ: السَّاقُ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ».[1]

وأنه تارة يجلس على الكرسي حتى يكون له أطيط (صوت) (تعالى الله عن ذلك) فيما رووه عن الخليفة عمر قال: إذا جلس تبارك وتعالى على الكرسي سمع له أطيط كأطيط الرحل الجديد»[2]

وكذلك ما رووه «الكرسي موضع القدمين، وله أطيط كأطيط الرحل»،[3] ونقلوا عن ابن عباس قال: «الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحد قدره ».[4]

(1) البخاري؛ محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري 9/ 130 ط السلطانية: ثم تورطوا في معنى الساق وذهبوا مشرقين ومغربين.

(2) الرباط؛ خالد وآخرون: الجامع لعلوم الإمام أحمد ـ العقيدة 3/ 306: قلت ـ يعني الذهبي ـ: وهذا الحديث صحيح عند جماعة من المحدثين (وذكر بعضهم) قد تلقوا هذا الحديث بالقبول وحدثوا به، ولم ينكروه، ولم يطعنوا في إسناده، فمن نحن حتى ننكره ونتحذلق عليهم؟ بل نؤمن به ونكل علمه إلى الله ـ عز وجل ـ قال الإمام أحمد: «لا نزيل عن ربنا صفة من صفاته لشناعة شنِّعت وإن نَبَت عن الأسماع»!!

أقول: ليس فقط نبَتْ عن الأسماع بل رفضتها العقول والبراهين! ومن نحن ومن غيرنا؟ فليُنسب إلى الرب تعالى كل شناعة!

(3) نفس المصدر 3/ 307.

(4) نفس المصدر 3/ 306.

وما دام له صورة كآدم ويد وأصابع وقدم وساق، فإنه ينبغي أن يكون كآدم أيضا: يجلس على كرسي حتى يئط، ويتحرك وينزل ويصعد: فقد رووا أن: «أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا بقي ثلث الليل، نزل الله عَزَّ وَجَلَّ إلى سماء الدنيا، فيقول: من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفرَ له؟ من ذا الذي يسترزقني فأرزقَه؟ من ذا الذي يستكشف التفسير فاكشفَه عنه، حتى ينفجر الفجر».[1]

ويهرول كما في صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي.. وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً».[2]

الإمام الهادي عليه السلام يبطل أحاديث المجسمة والحشوية

بالرغم من أن الظروف العامة لم تساعد الإمام الهادي عليه السلام

(1) مسند أحمد: 7/ 299 ت أحمد شاكر: قال محققه: وهو حديث صحيح متواتر المعنى، قطعي الثبوت والدلالة. أقول: ولكي يتخلص من الشناعة الظاهرة فيه قال: «نذهب إلى ما وسع سلفنا الصالح، رضي الله عنهم، من السكوت عن التأويل، ونؤمن بما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة. وننزه الله سبحانه عن الكيف والشبه بخلقه!! ومرة أخرى أقول لمحققه: إذا لم يكن هذا كيفًا وتشبيهًا بالخلق.. فما هو الكيف والتشبيه؟

(2) صحيح مسلم: 4/ 2061 ت عبد الباقي: وهنا قد أحسن محقق الكتاب إذ قال باستحالة إرادة ظاهر الكلام: هذا الحديث من أحاديث الصفات ويستحيل إرادة ظاهره وقد سبق الكلام في أحاديث الصفات مرات.. ونتساءل: لماذا لا يقال في باقي الأحاديث نفس الكلام؟ مع أن لدينا تحفظًا على اصل ثبوتها!

في إبطال أفكار المجسمة والمشبهة، بالمقدار الذي ساعدت جده الإمام عليًّا الرضا عليه السلام، لكون الجد قد عاش في زمان المأمون العباسي أغلب فترة إمامته المباركة، وكان المأمون على خلاف شديد معهم ومناصرًا لأفكار المعتزلة وآرائهم، والتي تلتقي في كثير من مواضيعها فيما يخص تنزيه الباري سبحانه ومسائل صفاته وأسمائه وامتناع رؤيته، ولزوم عدله وغير ذلك من المسائل الاعتقادية، تلتقي مع الشيعة الإمامية، فأتاح هذا فرصة مناسبة لانتشار فكر الإمامية وعقائدهم فيما يرتبط بهذا الموضوع وموضوع تنزيه الأنبياء عن المعاصي والذنوب، بل ربما استعان المأمون بالإمام الرضا عن طريق اصطناع الحوارات وعقد الجلسات بينه وبين المحدثين والدفع باتجاه طرح المسائل الخلافية بالنحو الذي يظهر فيه عوار آراء المحدثين والمجسمة، ولمن أراد التفصيل فليرجع إلى مناظراته عليه السلام معهم وقد أشرنا لبعضها في كتابنا (عالم آل محمد: الإمام علي بن موسى الرضا).

لكن في زمان الإمام الهادي كان غالب إمامته في فترة المتوكل العباسي (من سنة 232 ـ إلى 247 هـ) وهو من أشد أنصار المجسمة والقشريين مع ما كان عليه من التساهل الفاضح في الالتزام الديني وقد ذكرنا شيئًا من تناقضاته في فصول سابقة. ومن الطبيعي أن مثل هذا الذي زعموه ناصر السنة، والذي أرسل

وراء المحدثين من كل مكان ليأتوا إلى سامراء وينشروا أحاديث الرؤية والصفات والقدر، ومعها أيضًا سُنّة البغض لأمير المؤمنين علي عليه السلام. كان من الطبيعي ألّا يجد الإمام الهادي نفس الجو والبيئة المساعدة له على بيان خلل وخطل تلك الآراء السقيمة. فإنها تعني معارضة خطة تبناها الخليفة وتابعها بنفسه!

بل حتى في الفترة التي أعقبت زمان المأمون وجاء فيها المعتصم العباسي ثم الواثق، لم تكن كفترة المأمون! أما المعتصم فقد كان معروفًا بالجهل وعدم الاقبال على المسائل الفكرية، وظني أنه لم يكن يعرف ما الفرق بين الفئتين! ولا ما يترتب على الفكرتين المتخالفتين.. ولكنه ورث وضعًا سياسيًّا وإداريًّا لا يستطيع إلا التعامل معه والجريان في تياره! والواثق وإن كان أذكى وأفهم من المعتصم إلا أنه كما يبدو لم يكن لديه الحماس الذي كان لدى المأمون في مناصرة أفكار المعتزلة، بالإضافة إلى أن ممارسات بعضهم قد تعدت الحدود وأخذت تؤثر بشكل عكسي، في تعاطف الناس مع أعداء المعتزلة!

مع كل هذا فإننا نلحظ أن الإمام عليه السلام لم يتوقف عن تخطئة التيار المشبه والمجسم والذي يتمسك بالأحاديث أكثر من نظره للقرآن وآياته، ولا يفكر في متن الأحاديث ومضمونها بمقدار ما يقدس رواتها وما داموا قد رووا هذا وهم كما قال الذهبي في بعض

تعليقاته (أئمة الهدى وسرج الدجى!!) فإذن يجب أن يؤخذ عنهم وان استلزم من الشناعات ما يستلزم.

أخذ الإمام يوضح أن الله سبحانه وتعالى لا يمكن رؤيته ويستحيل ذلك، وأنه ليس بجسم ولا صورة وأن البشر لا يستطيعون أن يحيطوا به علمًا لا بالنظر إليه ولا بتصوره في صورة عقلية ووهمية، لا في الدنيا ولا في الآخرة ولا في اليقظة ولا في المنام.. وأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وأكد على الرجوع إلى القرآن الذي ينفي كل ما رواه أولئك.

وقد أشار الشيخ المهاجر في حديثه عن هذا الجانب إلى ما ذكره الشيخ جعفر السبحاني في كتابه بحوث في الملل والنحل[1] من أن فكرة رؤية الله سبحانه ترجع أصولها إلى ما جاء في كتب اليهود والنصارى، وأورد السبحاني في كتابه هذا بعض النصوص المشيرة إلى أصولها.

كما ذكر المهاجر أيضًا أن قسمًا من الروايات معنوَنةٌ بعنوان كتبتُ، أو كتب إليه فلان، وهو يشير إلى أن الرواية صدرت لتوضيح الجواب لشيعة الإمام في غير سامراء. ولعل هذا يؤكد ما تقدم قبل سطور من أن البيئة العامة للعاصمة (سامراء) لم تكن

(1) بحوث في الملل والنحل 2/ 193.

مشجعة على خوض هذه النقاشات، ولكن أصل المسألة كانت مطروحة هنا وهناك فكان الإمام عليه السلام يجيب على أسئلة شيعته ويوضح القول الصائب فيها. وسنرى بعض ما قام به الإمام في هذه الجهة من خلال النقاط التالية:

الأولى/ فمن ذلك ما نقله الكليني في كتابه الكافي،[1] بإسناده عن أحمد بن إسحاق، قال: كتبت إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام أسأله عن الرّؤية وما اختلف فيه الناس؟ فكتب: «لا تجوز الرّؤية، ما لم يكن بين الرائي والمرئيّ هواء [لم] ينفذه البصر فإذا انقطع الهواء عن الرائي والمرئيّ لم تصحّ الرؤية؛ وكان في ذلك الاشتباه، لأنّ الرائي متى ساوى المرئيّ في السبب الموجب بينهما في الرؤية وجب الاشتباه وكان ذلك التشبيه لأنّ الأسباب لا بدّ من اتّصالها بالمسبّبات».

ومختصر معناها: أنه لكي يرى الرائي شيئًا فلا بدَّ أن يكون بينه وبين المرئي فراغ يخترقه البصر حتى يصل إلى إدراكه، ولكي يكون هناك فراغ لا بدَّ أن يكون المرئي محدودًا من الجهات، حتى يراه الرائي بأبعاده وهذا مستحيل بالنسبة لله سبحانه إذ يلزم من ذلك أن يكون في جهة خاصة دون سائر الجهات، ويلزم أن

(1) الكليني: الكافي 1/ 145.

يكون محدودًا ذا أبعاد معينة! وتلك الأبعاد يقدر البصر أن يحيط بها وكل ذلك محال في حق الباري سبحانه.

وعبر عن فكرتها الشيخ المهاجر بقوله: «الفكرة التي تقوم عليها حجة الإمام هي أن الهواء/ الفراغ الذي هو شرط حصول الرؤية غير متصور بين الله تعالى وبين الرائي المزعوم، لأنه يقتضي أن وجود كليهما محدود على حد سواء، ينتهي بالنقطة التي يبدأ عند الفراغ الفاصل بينهما. والخُلْف في هذا واضحٌ بغنىً عن البيان لأن وجود الباري سبحانه كليٌّ مطلق في حين أن وجود الانسان جسمي محدود ولذلك تستحيل رؤية الله تعالى».[1]

الثانية/وفي رواية أخرى ينقلها الشيخ الصدوق في كتابه التوحيد بسنده عَنْ حَمْزَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ ﷺ؛ أَسْأَلُهُ عَنِ الْجِسْمِ وَالصُّورَةِ؟ فَكَتَبَ ﷺ: سُبْحَانَ مَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لَا جِسْمٌ وَلَا صُورَةٌ.[2]

الثالثة/وفي نفيه لرؤية أي أحد لله سبحانه (من الأنبياء فنازلًا) يقول الإمام لم تقع عليك عيون لا بإشارة ولا عبارة وذلك

(1) المهاجر: الإمام الهمام الهادي 138.

(2) الصدوق: التوحيد 97 ونلاحظ هنا أن الإمام ﷺ قد نفى كلا الأمرين، وكأنه يشير في ذلك إلى ما كان منتشرا عند أهل الحديث المجسمة من أن الناس يرون الله في الصورة التي يعرفونها!! وقد مر ذكر ذلك قريبا. وفيه نفي باتٌّ لها وللجسم الذي جعلوا جسم آدم نموذجًا لصورة الله!

في مناجاته لله تعالى، وهو يبين لنا أيضًا أحد وظائف المناجاة والدعاء، حيث منها تصحيح المفاهيم ونشر المعرفة الدينية. ففي توحيد الصدوق بسنده عن أبي الحسن علي بن محمد عليهما السلام، أنه قال: (إلهي تاهت أوهام المتوهمين وقصر طرف الطارفين، وتلاشت أوصاف الواصفين، واضمحلت أقاويل المبطلين عن الدرك لعجيب شأنك، أو الوقوع بالبلوغ إلى علوك فأنت في المكان الذي لا يتناهى ولم تقع عليك عيون بإشارة ولا عبارة هيهات ثم هيهات!

فهو في آخرها يقول: لم تقع عليك عيون بإشارة ولا عبارة! وهو ينفي بذلك الرؤية نفيا تاما، بل يستفيد بعض الشراح[1] أنه حتى الصورة العلمية والعبارة الواصفة لم تقع على الله سبحانه.

الرابعة/بل وجدنا تفسيرا دقيقا[2] للإمام عليه السلام، لآية السماوات مطويات بيمينه والتي استدل بها المجسمة على وجود يمين لله! قد فسرها الإمام بنحو آخر ينفي هذه الفكرة، ففي حديث ينقله

(1) القمي؛ القاضي سعيد: شرح توحيد الصدوق1/ 364 و«العبارة» بمعنى ما يعبّر به عن الشيء. والمراد بـ«العيون» أعمّ من عيون الأبصار وعيون القلوب والعقول؛ فكما انّه لا يشير إليه تعالى العين الحاسة إشارة حسيّة ولا يعبّر عنه بمثال وشبح أو صورة، كذلك عين العقل لا يشير إليه إشارة عقلية ولا يعبّر عنه بأمر معقول مدرك ولا ماهيّة معلومة إذ لا يحيطون به علمًا ولا يخرقون إلى ذي العرش سبيلًا.

(2) أشار العلامة المجلسي في البحار 4/ 2 إلى التفسيرين، ما قاله الإمام عليه السلام، والتفسير بتأويل اليد والقبضة بالقدرة والسيطرة.

الشيخ الصدوق في التوحيد[1] قال: سألته عن قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ - ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[2] فَقَالَ: ذَلِكَ تَعْيِيرُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِمَنْ شَبَّهَهُ بِخَلْقِهِ. أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ: (وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) وَمَعْنَاهُ إِذْ قَالُوا إِنَّ ـ الْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَالسَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ؟ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾[3] ثُمَّ نَزَّهَ عَزَّ وَجَلَّ نَفْسَهُ عَنِ الْقَبْضَةِ وَالْيَمِينِ فَقَالَ: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

فإن التفسير المعهود لها هو: أن الله يتحدث عن قوم بأنهم ما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته، والحال أن الأرض جميعًا في قبضته وتحت سلطته، وأن السماوات مطويات بيمينه! والغريب أن هذه الآية قد استدل بها المجسمة والمشبهة على أن الله تعالى وتقدس له قبضة ويمين وأن السماوات موجودة فيها! بينما رأى سائر المسلمين أنها كناية عن أن كل شيء تحت تصرفه، فلا معنى لأن يتحدث في أن هذه في يده اليمنى وتبقى اليسرى فارغة!! أو أن كلتا يديه يمين بالمعنى الحرفي! وإنما المقصود هو

(1) الصدوق: التوحيد161.
(2) الزمر: 67.
(3) الأنعام: 91.

ذاك، تمامًا مثلما تقول أن السلطان الفلاني أصبح البلد بتمامه في قبضته أو تحت يده، لا بالمعنى الحرفي للكلمة، وإنما بمعنى أنه سيطر عليه وتصرف فيه من غير منازعة.

غير أن إمامنا الهادي عليه السلام يستدل بآية أخرى لتوضيح المعنى، وهو التفسير الذي يعززه بعض ما روي من طريق مدرسة الخلفاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وذلك أن الإمام عليه السلام يجمع بين آيتين ورد فيهما هذا التعبير ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾[1] و﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2].

فهو يقرر في الأولى: أنهم ما قدروا الله حق قدره، وذلك بأنهم قالوا بأن الله لم ينزل الكتاب على بشر! ثم يرد عليهم: قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى؟ ويخاطبهم بأنكم بقولكم ذاك لم تعرفوا الله حق معرفته.

وفي الثانية يقرر: أنهم ما قدروا الله حق قدره، وذلك بأنهم قالوا

(1) الأنعام: 91.
(2) الزمر: 67.

بأن الأرض في قبضته (بالمعنى الحرفي للقبضة) والسماوات كذلك! فيرد عليهم منزها نفسه عن القبضة واليمين بالمعنى الحرفي بأنه: سبحانه وتعالى عما يشركون.

هكذا كان استدلال الإمام ﷺ. ويؤيده ما روته العامة في كتبهم بأنه: «جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1]». [2]

فبناء على هذا الخبر لو تم يمكن استفادة أمور:

1/ أن فكرة أصابع الله (والتي مرَّ الحديث عنها في صفحات سابقة وأن قلوب العباد بين أصبعين من أصابعه) هي فكرة يهودية بامتياز تسربت إلى ساحة الحديث والرواية.

2/ ضمن هذه الفكرة فإن الحبر اليهودي فصل الأمر بحيث جعل

(1) الزمر: 67.

(2) صحيح البخاري 6/ 126 ط السلطانية، وصحيح مسلم 4/ 2147 ت عبد الباقي.

السماوات على اصبع والارضين على اصبع والشجر كذلك والماء.. الخ.. فضحك النبي ساخرا من هذا الفهم الساذج.

3/ إن أهل الحديث والحشو فسروا ضحك النبي ـ في الرواية المذكورة ـ من عند انفسهم وتبرعوا بذلك فقالوا: فضحك حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر!! ومن أين علموا بأن ذلك كان لتصديقه وليس للسخرية من هذه السذاجة، التي تذكرنا بالقول: أن النملة لو تصورت ربها لتصورت له قرنين!

4/ على ذلك القول الذي قاله اليهودي بأن السماوات هكذا والأرضين، نزل القرآن الكريم بأنه (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) وهو منطبق على اليهود وكثيرا ما خاطبهم القرآن بذلك. وفي الواقع هذا تعيير كما قال الإمام وعيب لمن شبه الله بخلقه!

الخامسة: ما روي عن إبراهيم بن محمّد الهمدانيّ قال: كتبت إلى الرّجل (تعبير عن الإمام علي الهادي عليه السلام): أنّ من قِبلَنا من مواليك قد اختلفوا في التوحيد، فمنهم من يقول: جسم، ومنهم من يقول: صورة، فكتب عليه السلام بخطّه: «سبحان من لا يحدّ ولا يوصف، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير».

السادسة: وقد تحولت هذه إلى عقيدة معروفة بين الإمامية،

فهذا هو السيد عبد العظيم الحسني (وهو من خلص أصحاب الإمام الهادي) يعرض عقائده ودينه عليه، ويؤكد على نفي الجسمية والتشبيه وما يقوله أتباع المنهج الحشوي: «قال: دخلت على سيّدي عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام فلما بصر بي قال لي: مرحبا بك يا أبا القاسم أنت وليّنا حقًّا.

قال: فقلت له: يا بن رسول اللّه إنّي أريد أن أعرض عليك ديني، فإن كان مرضيّا أثبت عليه حتّى ألقى اللّه عزّ وجلّ. فقال: هات يا أبا القاسم، فقلت: إنّي أقول: إنّ اللّه تبارك وتعالى واحد، ليس كمثله شيء، خارج عن الحدّين حدّ الإبطال وحدّ التّشبيه، وإنّه ليس بجسم ولا صورة ولا عرض ولا جوهر، بل هو مجسّم الأجسام، ومصوّر الصّور، وخالق الأعراض والجواهر، وربّ كلّ شيء..

وبعد أن عرض عليه تمام عقائده، قال له الإمام: يا أبا القاسم هذا واللّه دين اللّه الّذي ارتضاه لعباده، فاثبت عليه، ثبّتك اللّه بالقول الثابت في الحياة الدّنيا وفي الآخرة».[1]

(1) الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: كمال الدين وتمام النعمة 410.

رابعًا:
الإمام في مواجهة الاتجاه الجبري والقدري

تختلف المعاني المرادة في التعبير بالقدرية أو الاتجاه القدري، وسنستعمل هذا اللفظ هنا ضمن معناه الذي يتواءم مع الاتجاه الجبري، ويرى أن أفعال الإنسان مكتوبة عليه ومقدرة من الأزل، وكأنه لا يملك فكاكا منها، لأنه لو فعل ذلك لتخلف علم الله وانقلب إلى جهل!

ولا ينبغي أن يظن الظان أن المسألة ترف نظري، يتناقش فيه بعض العلماء، وإنما كانت سياسة مستمرة عمل على تكريسها الحاكمون بدءا من بني أمية[1] وانتهاء ببني العباس، ولذلك صح ما قيل من أن (الجبر والتشبيه أمويان والعدل والتنزيه علويان).

(1) د. جواد علي: مجلة الرسالة611/ 16 بترقيم الشاملة آليًا: «وبنو أُمية كانوا يكرهون القول بحرية الإرادة، لا دينًا فقط، ولكن سياسيًا كذلك، لأن الجبر يخدم سياستهم. فالنتيجة للجبر أن الله الذي يسير الأمور قد فرض على الناس بني أمية كما فرض كل شيء ودولتهم بقضاء الله وقدره. فيجب الخضوع للقضاء والقدر.
كذلك أتى عطاء بن يسار ومعبد الجهني الحسن البصري وقالا: يا أبا سعيد، هؤلاء الملوك يسفكون دماء المسلمين ويأخذون أموالهم ويقولون إنما تجري على قدر الله تعالى».

وقد بقي خط الجبر والتشبيه في أيام بني العباس هو التيار الرسمي الغالب.

وأول ما يلحظ الانسان فيه هو الاستفادة السياسية التي يؤمنها التوجه القدري والجبري للحاكمين، فإنه من جهة يرفع المسؤولية عن الناس في الإصلاح والتغيير ما دام هذا الذي نراه من الفساد والانحراف هو أمر مكوَّن ومكتوب من السماء بل الخالق هو الذي خلقنا ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾.[1]

بل يرفع المسؤولية عن انحرافات الحاكمين أنفسهم الذين سوف ينسبون هذه الأفعال للباري سبحانه! فهل نسينا قول ابن زياد لزينب عليها السلام[2] أو كلامه للإمام السجاد عليه السلام.[3]

كما يرى هذا الاتجاه أن هذا الأمر مكتوب من مئات أو آلاف السنين وبالتالي فلا مجال لتغييره أو تبديله.

(1) الصافات: 96 فسرها عبدة الطاغوت بأن أعمالكم هذه (من الحسنات والسيئات) قد خلقها الله، في حين أن المتكلم بها هو نبي الله إبراهيم عليه السلام محتجا على عبدة الأصنام بأنهم كيف يعبدون ما ينحتون؟ والحال أن الله هو الخالق لهم ولما صنعوه من حجر وخشب، وغير ذلك؟

(2) ابن أعثم الكوفي؛ أحمد: الفتوح 5/ 122: فقال ابن زياد: الحمد لله الذي فضحكم وأكذب أحدوثتكم! فقالت زينب: الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد صلى الله عليه وآله وطهرنا في كتابه تطهيرا، وإنما يفضح الفاسق ويكذب الفاجر. فقال ابن زياد: كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك ؟

(3) المصدر نفسه 123: فالتفت ابن زياد إلى علي بن الحسين رضي الله عنه قال: أو لم يقتل علي بن الحسين؟ قال: ذاك أخي وكان أكبر مني فقتلتموه وإن له مطلا منكم يوم القيامة، فقال ابن زياد: ولكن الله قتله!

بل نستطيع أن نلاحظ أن هذا الاتجاه يحظى بمقبولية بين قسم كبير من الناس، وذلك لأنه قد يبرر لهم كسلهم وتخلفهم، فحتى لا يحرج البعض أمام تخلفه يتوسل بأن الله قد كتب عليه وعلى أمثاله هذا المصير! ويبرر البعض حتى ذنوبه وانحرافاته بمثل هذه الأفكار بأن تلك هي «كِتْبة الباري» و«قدر الله الذي لا مفر منه» وأمثال ذلك، حتى لقد صارت مثل هذه الأفكار حوارًا بين نبيي الله آدم وموسى!

فقد رووا عن أبي هريرة عن رسول الله «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَقَالَ مُوسَى: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُونَا، خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ فَقَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى، أَنْتَ اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ ـ وَقَالَ مَرَّةً: بِرِسَالَتِهِ ـ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ قَالَ: حَجَّ آدَمُ مُوسَى، حَجَّ آدَمُ مُوسَى، حَجَّ آدَمُ مُوسَى».[1]

وفي مقابل هذا التوجه كانت أحاديث أئمة الهدى عليهم السلام تقضي بمسؤولية الإنسان عن أعماله، ثوابا وعقابا، ولا يتعارض ذلك مع

(1) مسند أحمد 12/ 343 ط الرسالة: وقد علّق على الحديث بعضُهم بما يثبت الموضوع الجبري وأن الإنسان ليس مستقلًا في الفعل ولا متمكنًا من الترك بقوله: «أي غلب عليه بالحجة بأن ألزمه بأن العبد ليس بمستقل بفعله ولا متمكن في تركه بعد أن قضى عليه من الله تعالى. وما كان كذلك لا يحسن اللوم عليه عقلًا»! والطريف أن أحدهم تساءل عن مكان الحوار هذا أين كان؟ وفي أي زمان وبين النبيين آلاف السنين؟

علم الله سبحانه وتعالى به وبعمله بها، كما لا يتعارض مع قدر الله سبحانه وقضائه، فإن كل واحد من البشر مع أنه يعلم بأنه تحت نظر الله وبعلم الله ما يقوم به من صغير الأعمال وكبيرها، يرى نفسه في ذات الوقت قادرا على الفعل والترك، وليس مجبرا على اتجاه معين.. وإلا لبطل الثواب والعقاب.

فها هو مولانا الإمام الهادي عليه السلام كما يروي عنه علي بن جعفر الكوفي، يسلسل الحديث عن آبائه الكرام واحدًا بعد واحد إلى أن يصل إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا يعبر في كثير من الأحيان عن اهتمام الإمام ببيان أن هذا خطٌّ واحدٌ بين المعصومين، وفكرة واحدة عابرة للزمان بينهم، وإلا فإن مقام كل واحد منهم ليس مقام الرواية عمن سبقه فقط وإنما هو مقام الإمامة. ولكن الإمام قد يلجأ أحيانًا إلى أن يظهر روايته هذا اللفظ أو المضمون عن آبائه، أولًا: لاحتمال وجود من لا يرى إمامته فيتعامل معه الإمام على هذا الأساس ويسلسل الحديث للإمام علي أو للرسول، وثانيًا: لبيان أهمية هذا المضمون وتركيز الانتباه عليه (مثل حديث سلسلة الذهب وغيره).

روى الإمام الهادي عن آبائه عن أمير المؤمنين:

قَالَ: دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقَالَ

أَخْبِرْنَا عَنْ خُرُوجِنَا إِلَى أَهْلِ الشَّامِ أَبِقَضَاءٍ مِنَ اللَّهِ وَقَدَرٍ؟ فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: أَجَلْ يَا شَيْخُ! فَوَاللَّهِ مَا عَلَوْتُمْ تَلْعَةً وَلَا هَبَطْتُمْ بَطْنَ وَادٍ إِلَّا بِقَضَاءٍ مِنَ اللَّهِ وَقَدَرٍ.

فَقَالَ الشَّيْخُ: عِنْدَ اللَّهِ أَحْتَسِبُ عَنَائِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ!

فَقَالَ: مَهْلًا يَا شَيْخُ لَعَلَّكَ تَظُنُّ قَضَاءً حَتْمًا وَقَدَرًا لَازِمًا لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَبَطَلَ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَالزَّجْرُ وَلَسَقَطَ مَعْنَى الْوَعِيدِ وَالْوَعْدِ وَلَمْ يَكُنْ عَلَى مُسِيءٍ لَائِمَةٌ وَلَا لِمُحْسِنٍ مَحْمِدَةٌ وَلَكَانَ الْمُحْسِنُ أَوْلَى بِاللَّائِمَةِ مِنَ الْمُذْنِبِ وَالْمُذْنِبُ أَوْلَى بِالْإِحْسَانِ مِنَ الْمُحْسِنِ.

تِلْكَ مَقَالَةُ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ وَخُصَمَاءِ الرَّحْمَنِ وَقَدَرِيَّةِ[1] هَذِهِ الْأُمَّةِ وَمَجُوسِهَا! يَا شَيْخُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَلَّفَ تَخْيِيرًا وَنَهَى تَحْذِيرًا وَأَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيرًا وَلَمْ يُعْصَ مَغْلُوبًا وَلَمْ يُطَعْ مُكْرِهًا وَلَمْ يَخْلُقِ ﴿ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[2] قَالَ فَنَهَضَ الشَّيْخُ وَهُوَ يَقُولُ ـ

(1) هنا تم التعبير عن أصحاب الاتجاه الجبري بـ (القدرية) يعني الذين يقولون بأن كل شيء هو بقدر الله وينفون إرادة الانسان ومسؤوليته عن أعماله، بينما نجد في كتب علم الكلام وفي المناقشات المذهبية أنهم ينسبون الكلمة هذه إلى المعتزلة باعتبارهم يقولون بقدرة الإنسان على أفعاله واستقلاله بها.

والملاحظ هنا أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهو باب مدينة علم النبي وصم الاتجاه الجبري بأنهم يقولون بمقالة عبدة الأوثان وخصماء الرحمن ومجوس الأمة!

(2) ص: 27.

أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِي نَرْجُو بِطَاعَتِهِ يَوْمَ النَّجَاةِ مِنَ الرَّحْمَنِ غُفْرَانًا
أَوْضَحْتَ مِنْ دِينِنَا مَا كَانَ مُلْتَبِسًا جَزَاكَ رَبُّكَ عَنَّا فِيهِ إِحْسَانًا[1]

ويظهر أن الموضوع بما يحمل من ملابسات اجتماعية، ومنها أن السلطة الحاكمة كان يهمها بلا ريب أن ينتشر الفكر الجبري والقدري بين المسلمين، لما تقدم ذكره من أسباب، فمن الطبيعي أن يجد تموجاته والنقاش فيه في أكثر الدوائر الشعبية، ومنها الدائرة المرتبطة بمذهب أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وبناء على ذلك فلما كان النقاش في هذا الموضوع قد تفاعل مع المجتمع الشيعي فلا بدَّ أن ينتظر هؤلاء البصيرة والمعرفة من إمامهم وهو عِدل القرآن، فأرسل أهل الأهواز للإمام رسالة، وأجابهم بجواب مفصل ومستوعب للمسألة من أطرافها المختلفة، ونحن وإن كنا لا نستطيع ـ في هذه الصفحات شرح الرسالة كاملة ـ لكننا سوف نتعرض إلى خلاصة موجزة لبعض أفكارها، ولمن أراد التفصيل فليرجع إلى الكتب المختصة في هذا.

قال في تحف العقول[2]: وروي عن الإمام الراشد الصابر أبي الحسن علي بن محمد عليهما السلام في طوال هذه المعاني رسالته في الرد على أهل الجبر والتفويض وإثبات العدل والمنزلة بين المنزلتين:

(1) الصدوق: التوحيد 381.
(2) الحراني؛ ابن شعبة: تحف العقول عن آل الرسول 471.

1/ في البداية ثبت الإمام مرجعية القرآن في الأمة حيث أقرت به واجتمعت على كونه وحيًا من الله، وحين كان كذلك فكل حديثٍ عُرض على القرآن وصدقه فيلزم كل الأمة الإقرارُ به، وإلا يلزم الجاحدَ الخروجُ عن الملة. و«أول خبرٍ يعرف تحقيقه من الكتاب وتصديقه والتماس شهادته عليه خبر ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووجد بموافقة الكتاب وتصديقه بحيث لا تخالفه أقاويلهم، حيث قال: «إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ـ أهل بيتي ـ لن تضلوا ما تمسكتم بهما وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»[1] وتصديقه في كتاب الله آية التصدُّق بالخاتم في الركوع[2] وتصديقه من سنة رسول الله في حديث الغدير والمنزلة. وغيرهما.

2/ ثم نقل الإمام الهادي عليه السلام ما قاله جده الصادق عليه السلام حين سئل: هل أجبر الله العباد على المعاصي؟ فقال: «هو أعدل من ذلك.[3] فقيل له: فهل فوّض إليهم؟ فقال عليه السلام: هو أعز وأقهر لهم من ذلك»[4].

(1) في شرح الحديث ومصادره ومعناه وما يرتبط به يمكن الرجوع إلى سلسلة أحاديثنا: عترة النبي (المعصومون).

(2) ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[المائدة: 55].

(3) وهو الذي التزم به الاتجاه الجبري الذي نحن بصدد الحديث عنه وأنه لو أجبرهم على المعاصي ثم عاقبهم عليها لكان ظالمًا لهم والله أعدل من أن يفعل ذلك!

(4) وهذا هو الاتجاه الذي قال به بعض تيارات المعتزلة أصحاب التفويض وأن الإنسان قادر على ما =

وكذلك تقسيم الإمام اعتقادات الناس في التكليف من حيث الاختيار والجبر إلى ثلاثة أقسام: الناس في القدر على ثلاثة أوجه: ـ رجل يزعم أن الامر مفوض إليه فقد وَهّن الله في سلطانه فهو هالك (أي جعله ضعيفًا).

- ورجل يزعم أن الله جل وعز أجبر العباد على المعاصي وكلفهم ما لا يطيقون فقد ظَلّم الله في حكمه (أي جعله ظالما) فهو هالك!
- ورجل يزعم أن الله كلف العباد ما يطيقون ولم يكلفهم ما لا يطيقون، فإذا أحسن حمد الله وإذا أساء استغفر الله فهذا مسلم بالغ» (أي بلغ الغاية الصحيحة) وهو ما يذهب إليه الإمامية.

إن «من زعم أن الله جل وعز أجبر العباد على المعاصي وعاقبهم عليها. ومن قال بهذا القول فقد ظلم الله في حكمه وكذبه ورد عليه قوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[1]. وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.[2]

3/ ثم شرع ﷺ في بيان إبطال التفويض (الاختيار المطلق) الذي

= يريد! وكأنهم بذلك يجعلونه خارجا عن القدرة الإلهية ويجيبهم الإمام بأن الله أعز من أن يفوض للعباد كل ما يعملون (ويستقيل من التأثير)!

(1) الكهف: 49.

(2) الحج: 10.

ذهب إليه المعتزلة فـ«من زعم أن الله تعالى فوض أمره ونهيه إلى عباده فقد أثبت عليه العجز وأوجب عليه قبول كل ما عملوا من خير وشر، أبطل أمر الله ونهيه ووعده ووعيده، لعلة ما زعم أن الله فوضها إليه لان المفوض إليه يعمل بمشيئته، فإن شاء الكفر أو الإيمان كان غير مردود عليه ولا محظور، فمن دان بالتفويض على هذا المعنى فقد أبطل جميع ما ذكرنا من وعده ووعيده وأمره ونهيه..»

وإنما حقيقة الأمر هي «إن الله عز وجل خلق الخلق بقدرته، وملّكهم استطاعة تعبدهم بها، فأمرهم ونهاهم بما أراد فقبل منهم اتباع أمره ورضي بذلك لهم. ونهاهم عن معصيته وذم من عصاه وعاقبه عليها ولله الخيرة في الأمر والنهي، يختار ما يريد ويأمر به وينهى عما يكره ويعاقب عليه بالاستطاعة التي ملّكها عباده لاتباع أمره واجتناب معاصيه، لأنه ظاهر العدل والنصفة والحكمة البالغة»[1].

4/ وهكذا استمر عليه السلام في تلك الرسالة يستدل بآيات القرآن الكريم في أن الأمر بين المنزلتين، فلا جبر ينتهي الاعتقاد به إلى ظلم الله سبحانه لعباده إن أجبرهم على المعصية ثم عاقبهم، ولا

(1) الحراني: تحف العقول 476.

تفويض أو قدرة مطلقة على التصرف ينتهي الاعتقاد به إلى نفي سلطة الله على الكون وتوهين حكمه على عباده.. وإنما أمر بين الأمرين.

ومن أحب تفصيل المطلب فليرجع إلى رسالته ﷺ التي أرسلها إلى أهل الأهواز، ونقل نصها الشيخ أبو الحسن الحراني في كتابه تحف العقول.

خامسًا:
موقف الإمام في فتنة خلق القرآن

ما هي قضية خلق القرآن؟

أ/ هي قضية انقسم حولها المسلمون إلى ثلاث فئات؛ الأولى مثبتة لكون القرآن مخلوقًا وهم المعتزلة بشكل أساس. والثانية نافية لكونه مخلوقًا وقائلة بأنه قديم وهم الأشاعرة وأهل الحديث خصوصًا. والثالثة: رافضة للنقاش في أصل الموضوع باعتباره قضية ملهاة لا ثمرة حقيقية لها، وهم الإمامية، ويتفق معهم في نفس النتيجة الخوارج كما نسب لهم.

ب/ يذهب باحثون إلى أن أصل إثارتها بشكل واسع كانت على يد القس المسيحي يوحنا الدمشقي[1] فإنه كما قال

(1) هو من أسرة مسيحية هي أسرة سرجيوس (وفى بعض المصادر سرجون) ويظن أنه كان حاكما لدمشق قبل فتح المسلمين لها واتخذه معاوية مستشارا له في الشؤون المالية مع بقائه معتنقا لدينه المسيحي، وكان حفيده يوحنا الدمشقي يشرف على الشؤون المالية بدوره لعهد عبد الملك بن مروان، وقد ألّف يوحنا هذا عدة كتب مضادة للاسلام وهو في موقعه ذاك! وتوفي حوالي سنة 132 هـ.

د. جواد علي[1] ألّف رسالة يناقض فيها أفكار المسلمين (مع أنه كان في أعلى مراكز السلطة الأموية) ويعلّم المسيحيين كيفية المناظرة مع المسلمين وإبطال مقولاتهم والانتصار للمسيحية.. فمما جاء فيها: «إذا سألك العربي ما تقول في المسيح؟ فقل له إنه كلمة الله.

ثم ليسأل النصراني المسلم: بِمَ سُمّي المسيح في القرآن؟ وليرفض أن يتكلم بشيء حتى يجيبه المسلم فإنه سيضطر إلى أن يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[2].

فإذا أجاب بذلك فاسأله: هل كلمة الله وروحه مخلوقة أو غير مخلوقة؟ فإن قال مخلوقة فليرد عليه بأن الله إذن كان ولم تكن له كلمة ولا روح، فإن قلت ذلك فسيفحم العربي، لأن من يرى هذا الرأي زنديق في نظر المسلمين».

ويعني ذلك أن عيسى لما كان كلمة الله، وكلمة الله قديمة فإذن عيسى قديم (وهو تعبير عن الاشتراك في الألوهية) وليس مخلوقًا أو حادثًا!

(1) علي؛ د. جواد: مجلة الرسالة 610/ 6.
(2) النساء: 171.

ولكي يرد المعتزلة هذه الشبهة قالوا إن كلام الله، والقرآن الكريم هو حادث ومخلوق، فإذا كان كذلك فلا يلزم أن يكون عيسى قديمًا (أزليًا) فتبطل حجة المسيحيين.

ج/ كان توجه أهل الحديث هو الإقرار بأن كلام الله (وبالتالي القرآن) قديم، بينما قال مخالفوهم بخلاف ذلك وصرح به بشكل أساس ولو لأجل رد المسيحيين، الجعد بن درهم الذي قتله خالد القسري ـ والي هشام بن عبد الملك ـ على أفكاره كما يُزعَم، وتلميذه الجهم بن صفوان الذي تكونت باسمه جماعة تنسب إليه، أو أطلق أهل الحديث عليهم ذلك (الجهمية).

د/ وبالرغم من أن المسألة كانت موجودة في الوسط المسلم، إلا أنها لم تتحول إلى قضية القضايا إلا في زمان المأمون العباسي بدءًا من سنة 218هـ حيث أقدم على محاولة إلزام الفقهاء أولًا ثم الناس ثانيًا بالإيمان بفكرة خلق القرآن حيث أنه كان يعتقد بها تبعًا لمناصرته لآراء المعتزلة (والجهمية).

واعتبر أهل الحديث أن الموضوع يمس أصل الدين، ولا سيما وأن فكرتهم فيه أن من قال بخلق القرآن فهو كافر! فخاضوا المعركة بكل ما يستطيعون، ولكن سلطة المأمون كانت تتابع الفرض للفكرة بلا هوادة، فلجأ بعض الفقهاء لقبول رأي رجال

السلطة تقية وأجابوهم إلى ما دعوهم، وبقي قسم آخر ذكروا أن منهم أحمد بن حنبل الشيباني (إمام المذهب الحنبلي) رفضوا وأصروا على موقفهم مع تعرضهم للأذى.

هـ/ مع وفاة المأمون أيضًا في سنة (218 هـ) أوصى أخاه محمدًا المعتصم العباسي بأن يتابع سياسته في إلزام الناس بالاعتقاد بخلق القرآن، وهو الذي فعله المعتصم خصوصًا مع حضور قاضيه المتحكم أحمد بن أبي دؤاد الأيادي، واستمرت المساءلة والفرض كما كانت أيام المأمون إلى أن مات المعتصم، وجاء بعده ابنه هارون الواثق العباسي وتابع سياسة أبيه وعمه..

د/ لكن الأمر ما لبث أن تغير وانقلب رأسًا على عقب، عندما جاء بعد الواثق أخوه جعفر المتوكل العباسي حيث مال إلى أهل الحديث وأعلى من شأن الحنابلة وإمامهم أحمد، وأخذ يعرض الناس بعكس ما كان يصنع أبوه المعتصم وعمه المأمون وأذاق أنصارهما القائلين بخلق القرآن ألوان الإيذاء، وسقاهم الكأس المصبَّرة التي سقوا غيرهم إياها. ونفس أهل الحديث الذين كانوا قد أوذوا في ما سبق وجربوا قسوة الظلم عليه، ها هم الآن يقومون بنفس العمل مع غيرهم! حتى لقد نقل عن أحمد بن حنبل قوله: «فَمَنْ قالَ: مَخْلُوقٌ، فهو كافرٌ باللَّه العَظِيْمِ، ومَنْ لَمْ يُكَفِّرْهُ فهو كافِرٌ...

واحْذَرُوا رأَي جَهْمٍ؛ فَإِنَّهُ صاحِبُ رَأْيٍ، وكَلام وخُصُوْمات، فَقَدْ أَجْمَع مَنْ أَدْرَكْنا من أَهْلِ العِلْمِ أَنَّ الجَهْمِيَّة افترَقَتْ ثَلاثَ فِرَقٍ؛ فَقالَتْ طائِفة مِنْهُمْ: القُرآنُ كَلامُ اللَّهِ مَخْلُوْق. وقالَتْ طائِفَة: القُرْآنُ كَلامُ اللَّهِ. وسَكَتَتْ، وهي الواقِفَةُ المَلْعُوْنَةُ، وقالَ بَعْضُهُمْ: أَلْفاظُنا بالقُرآنِ مَخْلُوْقَةٌ. فكلُّ هؤلاء جَهْمِيَّة كُفّار، يُسْتَتابُوْنَ، فَإِنْ تابُوا وإِلا قُتِلُوا. وأَجْمَعَ منْ أَدْرَكْنا مِنْ أَهْل العِلْمِ: أَنَّ مَنْ هذِه مَقالَتُهُ إِنْ لَمْ يَتُبْ لَمْ يُناكَحْ، ولا يَجُوْزُ قَضاؤُه، ولا تُؤْكَلُ ذَبِيْحَتُهُ»». [1]

توجيه الإمام الهادي في هذه الفتنة

عاصر الإمام الهادي عليه السلام أيام اشتداد هذه الفتنة في إمامته (التي بدأت من 220 هـ) وذلك في زمان المعتصم والواثق وهما يناصران القول بخلق القرآن، وعاصر أيضًا زمان اشتدادها في الطرف الآخر المعاكس زمان المتوكل العباسي ومن جاء بعده، أي أن إمامته عليه السلام كانت في إبان اشتداد هذه الفتنة بداية ونهاية!

ومن الكلمات الجميلة في وصف ذلك الصراع ما قاله الدكتور

(1) الرباط؛ خالد وآخرون: الجامع لعلوم الإمام أحمد ـ العقيدة 3/ 40: وبهذا المعنى فإن كل المسلمين كفار باستثناء فئة من الحنابلة ـ وليس كلهم ـ فإن بعضهم يتوقف، والبعض الآخر يؤمن بكونه غير مخلوق لكن لفظه وقراءته للقرآن هي مخلوقة وهذان بحسب النص أيضًا من الواقفة الملعونة، والجهمية وهم يستتابون من هذه المقالة فإن رجعوا وإلا قتلوا!! بهذه البساطة.

المهاجر: «أقل ما ينبغي أن يقال على النزاع هو أنه عبَثٌ في عبثٍ، وهو أيضًا تفريط وتضييع للطاقة الفكرية فيما لا يعود بغير الضرر على الجميع؛ أهل السياسة رموا منه إلى شيء، وأهل الحديث إلى غيره، وأهل الحكمة والرأي إلى ثالث. على أنه ثمة أمر جامع بينهم هو أن كلّا منهم كان يعمل على التنكيل بخصومة مستعينا بالسلطة حين يتأتى له..»[1]

بعد هذه المقدمات حول أصل الصراع ـ الفتنة، ونتائجه سنفهم لماذا كان موقف الإمام الهادي عليه السلام بالنحو الذي بينته الروايات عنه، سواء تلك التي كانت على شكل توجيهات ابتدائية قام بها لبعض شيعته بمبادرة منه، ومن دون سؤال منهم أو تلك التي سئل الإمام فيها وطلب منه تحديد موقف:

- فقد كَتَبَ[2] عَلِيُّ (الهادي) بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا عليه السلام إِلَى بَعْضِ شِيعَتِهِ بِبَغْدَادَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ * عَصَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنَ الْفِتْنَةِ فَإِنْ يَفْعَلْ فَقَدْ أَعْظَمَ بِهَا نِعْمَةً! وَإِنْ لَا يَفْعَلْ فَهِيَ الْهَلْكَةُ نَحْنُ نَرَى أَنَّ الْجِدَالَ فِي الْقُرْآنِ بِدْعَةٌ اشْتَرَكَ فِيهَا السَّائِلُ وَالْمُجِيبُ فَيَتَعَاطَى السَّائِلُ مَا لَيْسَ لَهُ وَيَتَكَلَّفُ الْمُجِيبُ مَا لَيْسَ عَلَيْهِ وَلَيْسَ الْخَالِقُ إِلَّا اللَّهَ عَزَّ

(1) المهاجر: الإمام الهمام الهادي 142.
(2) الصدوق: التوحيد 224.

وَجَلَّ وَمَا سِوَاهُ مَخْلُوقٌ وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ لَا تَجْعَلْ لَهُ اسْمًا مِنْ عِنْدِكَ فَتَكُونَ مِنَ الضَّالِّينَ جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنَ ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾.[1]

ولم يكن هذا هو الموقف الوحيد من قبل أئمة أهل البيت عليهم السلام فإننا نعثر على روايات عن الإمام الصادق عليه السلام؛ ويفترض أن ذلك كان في أوائل صدور هذه الشبهة التي بثها يوحنا الدمشقي (ت حوالي سنة 132 هـ)، وكذلك توجد روايات عن الإمام موسى الكاظم وابنه علي بن موسى الرضا عليهما السلام.

ولا يعني عدم الخوض في النقاش انهم لا قول لهم فيها، بل قولهم أنه مخلوق إذ أنه ما سوى الله، وما سوى الله مخلوق[2] حتى لقد كان هذا المعنى معروفًا ـ كقاعدة ـ فقد روي عن أبي هَاشِم (الجعفري) أنه قال: إِنِّي قُلْتُ فِي نَفْسِي أَشْتَهِي أَنْ أَعْلَمَ مَا يَقُولُ أَبُو مُحَمَّدٍ (الحسن العسكري) عليه السلام فِي الْقُرْآنِ أَهُوَ مَخْلُوقٌ؟ أَوْ أَنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ وَالْقُرْآنُ سِوَى اللَّهِ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ، فَقَالَ: أَمَا بَلَغَكَ مَا رُوِيَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام لَمَّا نَزَلَتْ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[3] خَلَقَ اللَّهُ لَهَا أَرْبَعَةَ آلَافِ جَنَاحٍ فَمَا كَانَتْ تَمُرُّ بِمَلَاءٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا خَشَعُوا لَهَا، وَقَالُوا: هَذِهِ نِسْبَةُ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

(1) الأنبياء: 49.
(2) الخزعلي؛ أبو القاسم: موسوعة الإمام العسكري 1/ 302.
(3) الإخلاص: 1.

ومعنى ذلك أنها (نزلت)، (خلق الله لها)، و(كانت تمر بملاء من الملائكة) وكل ذلك آية أنها مخلوقة.

لنا أن نلاحظ في رسالة الإمام الهادي السابق ذكرها لشيعته أنه رأى هذا الجدال بدعة، اشترك فيها السائل والمجيب على حد سواء، ولعل ذلك ناظر إلى فكرة أن أصل الشبهة ذكرها قس مسيحي وأشغل المسلمين بها من أجل أن ينصر فكرته الرامية إلى تأليه المسيح عيسى بن مريم! فورط بعض المسلمين في الجواب عنها، وهذا يشير - فيما يشير - إلى الحاجة الأكيدة الموجودة في الأمة لهدي أهل البيت عليهم السلام وعلمهم، فقد رأينا كيف أن شبهة من الشبهات كانت برسم الخلافة (الأموية والعباسية) ظلت عابرة للزمان من أيام هشام بن عبد الملك الأموي إلى زمان المعتز العباسي أي قرابة قرن من الزمان وهي كالكرة يقذفها قوم يمينا فيتلقفها آخرون ويقذفونها شمالا وهكذا..

وليتها بقيت كشبهة فكرية! وإنما وصلت إلى حد تكفير كل فئة للفئة الأخرى وقتل أنصار كل جماعة بيد الجماعة الثانية، فانظر إلى ما نقل آنفًا عن رأي أحمد بن حنبل إمام الحنابلة كيف أنه كفّر على هذه المسألة فئات كثيرة! وكيف قتل جماعة المعتزلة من خصومهم في هذه المسألة؟

هذا مع أن جوابها هو في كلمتين: الله الخالق وكل ما سواه مخلوق.

الحالة العامة للتشيّع أيام الإمام علي الهادي

يمكن للباحث أن يلاحظ أن التشيع كمدرسة عقدية وفقهية بل وككيان اجتماعي بلغ في زمان الإمام علي الهادي عليه السلام وابنه الحسن العسكري غايته القصوى.

وسنوجز في النقاط التالية بعض علائم هذا المدعى:

1/ إن تراكم عمل الأئمة المعصومين عليهم السلام منذ زمان إمامة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (11هـ) إلى زمان شهادة الإمام الهادي (254 هـ)، قد أدى مع تنوع ذلك العمل في مجالات مختلفة إلى إكساب هذا المجتمع الشيعي قوة وتناميًا، فإنهم عليهم السلام وجهوا جهودهم تلك إلى هذه المجموعة البشرية المؤمنة بهم في زمانهم وما بعد زمانهم. وكانوا ينظرون إليها كوحدة واحدة، ومن الطبيعي أن ذلك التوجيه الذي استمر هذه الفترة الطويلة (حوالي قرنين ونصف) أن يؤتي ثماره، وكان زمان الإمام علي الهادي عليه السلام وابنه الحسن العسكري هو أوج ذلك العطاء.

2/ سنلاحظ أن الرقعة الجغرافية للتشيع وأتباع أهل البيت عليهم السلام قد انتشرت في مساحات واسعة من الأمة، مع ملاحظة أن الخلافة الرسمية (أيام الأمويين والعباسيين) في عامة حالاتها لم تكن تسمح بانتشاره بل في أكثر الحالات كانت تقاوم ذلك، وتحاصر فكره وفقهه وانتماء الناس إليه، بل تحاربه في كل الأصعدة، وبالإمكان النظر إلى (المراسيم) التي أصدرتها الخلافة في فترات متعددة ضد هذا المذهب وأنصاره، وأما الحرمان والاقصاء فكان هو السياسة الدائمة والمستمرة..

مع كل هذا فإن هذا المذهب والمنهج الذي كانت بدايته في المدينة المنورة، في صورة «شيعة لعلي بن أبي طالب» قد تحول إلى المذهب الثاني في الأمة في كل أقطارها، ولو أخذنا مثالا على ذلك فإنه يعكس صورة تقريبية عن انتشاره في جغرافيا العالم الإسلامي آنئذ، وننقل نصًّا هو بدوره يحتاج إلى التأمل فيه.

فقد نقل الشيخ الصدوق رواية تشير إلى من رأى الإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف وفيها تعداد لأسمائهم ومناطقهم وبالنظر إلى معادلة وهي أن الذين رأوه لا يشكلون إلا نسبة بسيطة من وكلاء وأعيان الشيعة، وأن مناطقهم هي الأقل بالنسبة لسائر المناطق، مع ذلك نلاحظ أنها كثيرة.

قال: ورآه من الوكلاء ببغداد: العمري وابنه، حاجز، والبلالي، والعطار. ومن الكوفة: العاصمي. ومن أهل الأهواز: محمد بن إبراهيم بن مهزيار. ومن أهل قم: أحمد بن إسحاق. ومن أهل همدان: محمد بن صالح..

وسنذكر ـ من النص ـ المناطق فقط من دون ذكر الأسماء لأن غايتنا هو التعرف على الرقعة الجغرافية التي كان يتواجد فيها هؤلاء الوكلاء والأعيان.

في العراق: بغداد، والصيمرة، وشهرزور، وهي تقع في المنطقة الشمالية من العراق.

في إيران: الري، قم، الأهواز، اصفهان، آذربيجان، نيسابور، همدان، الدينور، قزوين، فارس، مرو.. ومعنى ذلك أن كل البلدات الرئيسة في إيران قد شاهد بعض أفرادها الإمام الحجة المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، وبالطبع فإننا لا نتصور أن هذا الذي رأى الإمام هو الوحيد في تلك المنطقة، لا سيما إذا احتملنا أنه من أعيانها والمعروفين فيها.

اليمن: كذلك فإنه ذكر في ذلك النص رؤية بعض أهل اليمن للإمام عليه السلام.

مصر: وكذلك ذكر بالنسبة إلى مصر..

تركيا والمنطقة الشمالية من العراق: ذكر أنه رآه بعضهم من منطقة نصيبين وهي تقع ما بين شمال العراق وجنوب تركيا ومثلها شهر زور.

وربما لو استثنينا بلاد الشام وتوابعها فإننا نستطيع أن نقول بأن أهم ولايات العالم الإسلامي في حينها، كان منها من رأى الإمام عليه السلام.. وهذا يعني أن التشيع ـ بدرجة أو بأخرى ـ قد وجد في تلك الولايات.

بالطبع يحتاج هذا إلى دراسة أوسع وأعمق مما ذكرناه على سبيل الإشارة.

3/ هناك مدخل آخر يمكن من خلاله استكشاف الاتساع الجغرافي للمذهب في العالم الإسلامي، وهو وجود الوكلاء فإن الوكالة عن الإمام ليس وظيفة تشريفية وإنما هي انبعاث عن حالة احتياج في تلك المنطقة لمن يأخذون عنه أحكامهم المستجدة وقضاياهم الحادثة. بل وكان الوكلاء الواسطة بين الشيعة وبين أئمتهم وعن طريقهم كان يتم إيصال الأموال (من أخماس وحقوق شرعية من المكلفين للأئمة عليهم السلام) وأيضًا كانوا يتصرفون بأمر الإمام في بعضها، بل وكانوا يستلمون من الإمام عليه السلام أموالًا كثيرة للصرف على حاجات تبليغ الدين والاهتمام بشؤون أتباعه.

وبالنظر إلى عدد هؤلاء في أزمنة الأئمة عليهم السلام نجد أعداداً كبيرة وعينات وكفاءات مهمة! وقد أعد الشيخ المهاجر في كتابه التاريخ السري للإمامة ملحقًا بجدول بأسمائهم من زمان الإمام الصادق، إلى زمان الإمام العسكري عليهما السلام، فجاء بما مجموعه (69) اسمًا من الوكلاء.

ونشير إلى ملاحظة حرية بالتأمل وهي وجود الأسر والعوائل (فقد رأينا في بعض الوكلاء أنه يكون وكيلًا لإمام، ويكون ابنه وكيلا لنفس الإمام أو لإمام آخر، ويكون حفيده كذلك) وبعبارة أخرى تكون الوكالة عن الإمام أجيالًا في الأسرة كما هو الحال في القاسم بن محمد بن علي بن إبراهيم بن محمد الهمداني؛ فإنه وكيل وأبوه وكيل وجده وكيل وجد أبيه إبراهيم وكيل. وكذلك عثمان بن سعيد العمري وابنه محمد بن عثمان بدأت وكالة الأب من أيام الإمام الهادي واستمرت وكالته ووكالة ابنه مع الإمام العسكري وسفارة الثاني عن الإمام المهدي إلى حوالي سنة 305هـ وهذا يعني أن وكالة هذه الأسرة عن الأئمة عليهم السلام ما يصل إلى نحو ستة عقود من الزمان.

نقول: أصل وجود الوكلاء وبهذا العدد وبتلك المهمات يشير بوضوح إلى مدى انتشار المذهب في الأمة وبين أبنائها، وأنه تجاوز المنطقة التقليدية لوجود الأئمة عليهم السلام كالحجاز أو حتى العراق.

4/ كذلك ما يشير إلى الانتشار الكبير للمذهب في الأمة، تلامذة الأئمة عليهم السلام ممن كان يؤمن بمنهجهم تماما، أو ممن يستفيد من علومهم ويعتبرهم ورثة علم الرسول، وأكثر العلماء إحاطة به، وهذا العدد من التلامذة أوضح أن التشيع مدرسة خاصة ومنهج متميز في فهم الإسلام كما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه مختلف عن الفهم الرسمي الذي تتبناه الخلافة.

ونستطيع أن نتعرف على صورة تقريبية لأولئك التلامذة من خلال ما ذكره المؤلفون عن عدد رواة وأصحاب كل إمام، مع أن هؤلاء لا يدعون استيعاب كل الأسماء، ولكن ملاحظة ذلك يعطي الصورة التقريبية كما قلنا، فإن كل تلميذ أو راو من تلامذتهم أو رواتهم له محيط اجتماعي يعيش فيه ويتفاعل معه ويؤثر فيه بنشر تلك الأفكار التي أخذها عن الأئمة عليهم السلام.

فقد ترجم الشيخ محمد هادي الأميني في كتابه: أصحاب أمير المؤمنين والرواة عنه في جزئين لألفين وأربعمائة (2400) أخذوا عنه بنحو من الأنحاء وتأثروا به، وهؤلاء هم الذين أمكن الحصول على أسمائهم وشيء من الذكر لهم في التاريخ. وما فقد من الأسماء ربما لا يقل عن هذا.

بينما ترجم الشيخ عبد الحسين الشبستري في سلسلة حول

أصحاب الأئمة عليهم السلام وجدتُ منها: ما عنونه باسم: الفائق في أصحاب ورواة الإمام الصادق لثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسين (3750) اسمًا ممن عاصروا الإمام جعفرا الصادق عليه السلام، وكذلك ترجم لأصحاب الإمام موسى الكاظم بعنوان: احسن التراجم لأصحاب الإمام الكاظم فجاء بنحو خمسمائة وثلاثين (530) اسمًا، وللإمامين الجواد بعنوان سبل الرشاد إلى أصحاب الإمام الجواد، وأصحاب الإمام الهادي عليه السلام بعنوان النور الهادي إلى أصحاب الإمام الهادي، ترجم من أصحابهما نحو مائة وتسعين (190) اسما لكل منهما.

وأما الشيخ محمد مهدي نجف فقد ترجم لثمانمائة وثلاثين من أصحاب الإمام الرضا في كتابه المعنون بالجامع لرواة وأصحاب الإمام الرضا..

5/ يمكن القول أن الكمال الحقيقي للدين تحقق في هذه الفترة بعدما تم تبليغ علوم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تفسير القرآن وبيان العقائد الصحيحة للإسلام، ورسم القواعد في الفقه والأحكام، على يد المعصومين عليهم السلام وهم ورثة النبي في علمه وبذلك صنعوا ضمانة لعدم انحراف الأمة ككل عن هذا المنهج. ولعل هذا أحد معاني ما روي في مصادر مدرسة الخلفاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم من أنه «لا تجتمع أمتي على ضلال»، بمعنى

أنه ولو كان الخط الرسمي والسياسي العام خاطئًا في مناهجه وأحكامه إلا أن هناك في الأمة من لا يتبع ذلك المنهج، ويملك الطريق الصائب بحيث لو أراده أحد فإنه يمكن التعرف عليه وهو ما كان لدى العترة الطاهرة من ذريته صلى الله عليه وآله وسلم.

لقد تبلورت مدرسة الإمامة كطريق متميز في عقائدها وفقهها، وكان هذا معروفًا لدى الحاكمين وعند الفقهاء من أتباع المدرسة الأخرى بل كان معروفًا عند عامة الناس.

وهذه المدرسة وإن كانت محارَبَة تارة ومحاصَرَة أخرى إلا أنها كانت متميزة عن غيرها.

وقد يسأل سائل: إن الدين قد كمل بنزول القرآن الكريم معلناً ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى ..﴾[1] فما معنى أن هذه المرحلة هي التي تحقق فيها كمال الدين الحقيقي؟

والجواب: أنه بنزول القرآن كمل الدين بطريقين: ببيان العقائد والأحكام وطريقة الحياة المطلوبة (في أصولها العامة) وبتوجيه الناس إلى الأخذ من الرسول الكريم فيما أوجبه القرآن بقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾[2] والنبي بدوره أرشد إلى طريق

(1) المائدة: 3.
(2) الحشر: 7.

الأخذ عنه بشكل مباشر فقال: «خذوا عني مناسككم» و«صلوا كما رأيتموني أصلي» وأيضًا حين أرشد إلى الأخذ عن ورثة علمه وعترته التي ما أن يتمسك بها الناس ـ وبالقرآن ـ حتى ينجوا من الضلال في حديث الثقلين المعروف.

وشاهد ذلك أننا لو تصورنا ـ لا سمح الله ـ أنه ما الذي كان سيحدث لو أن أئمة أهل البيت عليهم السلام وعترة النبي لم يكونوا في تاريخ الأمة ووجودها، لكانت هذه الأمة لا تكون أحسن حالا من الأمم المنحرفة تمامًا عن التوحيد والتنزيه إلى التشبيه والتجسيم في العقائد، وما هو مثلها في العقائد والأحكام.

6/ مما يؤكد سعة انتشار التشيع لأهل البيت عليهم السلام (بمراحله المختلفة من تعاطف قلبي كبير، وتشيع سياسي واجتماعي، والتزام عقائدي فقهي) أننا وجدنا حضور شيعة أهل البيت عليهم السلام في بيوت الخلفاء وقصورهم حتى على مستوى النساء، والولاة وحكام المناطق، بل والوزراء والقادة العسكريين، مع أن هذا المذهب والاتجاه كان محارَبا، وكان الانتماء إليه بأي درجة من الدرجات مجرَّمًا.

فإما أن كفاءات هؤلاء قد فرضت نفسها بحيث أن السلطات الحاكمة قد غضت الطرف عن انتمائهم المذهبي لأجل كفاءاتهم

العملية والإدارية، أو لأن هؤلاء كانوا يمارسون التقية والتخفي بشكل لا تستطيع السلطة إيجاد الدليل الدامغ عليهم أو لغير ذلك من الأسباب.

ويطول تتبع الأسماء بتفاصيلها، وقد ذكر الشيخ المهاجر في كتابه التاريخ السري بعض جوانب هذا الموضوع وربما نعود إليه إن شاء الله في مناسبة أخرى كالحديث عن سيرة الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

الحياة الأسرية للإمام الهادي عليه السلام

بحسب ما جاء في بعض الأخبار في تأويل الآية المباركة: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾[1] فإنها نزلت في آل محمد لا في عموم الأمة كما في رواية[2] عن الإمام الرضا عليه السلام، وأن هذه الدرجات تنطبق على الأشخاص بحسب الموقف من إمامة آل محمد صلوات الله عليهم. كما روي عن أبي هاشم الجعفري عن الإمام الحسن

(1) فاطر: 32.

(2) الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه:عيون أخبار الرضا عليه السلام1/ 207 عن الريان بن الصلت قال: حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون بمرو وقد اجتمع في مجلسه جماعة من علماء أهل العراق وخراسان فقال المأمون: أخبروني عن معنى هذه الآية: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾[فاطر: 32] فقالت العلماء: أراد الله عز وجل بذلك الأمة كلها فقال: المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟ فقال الرضا عليه السلام: لا أقول كما قالوا ولكني أقول: أراد الله عز وجل بذلك العترة الطاهرة فقال المأمون: وكيف عنى العترة من دون الأمة؟ فقال له الرضا عليه السلام: إنه لو أراد الأمة لكانت أجمعها في الجنة لقول الله عز وجل: ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ ثم جمعهم كلهم في الجنة فقال عز وجل: ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ ﴾[فاطر: 33] الآية فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم فقال المأمون: مَن العترة الطاهرة؟ فقال الرضا عليه السلام: الذين وصفهم الله في كتابه فقال عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[الأحزاب: 33]...

العسكري: كلهم من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، الظالم لنفسه: الذي لا يقر بالإمام، والمقتصد: العارف بالإمام، والسابق بالخيرات بإذن الله: الإمام.[1]

ومن خلال هذه الروايات سوف ننطلق في ذكر الحياة الأسرية للإمام عليه السلام بما تشتمل عليه من ذكر أولاده وأهله.

زوجة الإمام:

يذكر المؤرخون[2] أنه عليه السلام كان له سُرِّية[3] لا غير، وتتعدد أسماؤها لما سبق أن ذكرناه في كتاب آخر من أنها قد تكون مسماة باسمٍ قبل شرائها وقدومها لبيت الإمام، فيغير الإمام اسمها بعدماً تكون في بيته، أو يكون حدث خاص ـ كولادتها للإمام التالي ـ فيغير الإمام اسمها، أو للمحافظة عليها من مراقبة السلطات كما نقل ذلك في أم الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، أو لغير ذلك من الأسباب وتبقى هذه الأسماء جميعها في الروايات، فينقل الاسم متعددًا.

(1) الخزعلي: موسوعة الإمام العسكري 2/ 207.

(2) اللجنة العلمية: موسوعة الإمام الهادي عليه السلام1/ 50.

(3) الأزهري؛ محمد بن أحمد: تهذيب اللغة2/ 203 «وَاخْتلفُوا فِي السُّرِّيّة من الإماءِ لِمَ سُمِّيتْ سُرِّيّة؟ فَقَالَ بَعضهم: نُسبَتْ إِلَى السِّرِّ وَهُوَ الْجِماع، وضُمَّت السينُ فَرْقًا بَين المَهِيرة وَبَين الْأمة تكونُ للوطْء، فَيُقَال للحُرَّة إِذا نكحَت سِرًّا: سِرِّية، وللأَمةَ يتسَّراها صاحبُها سُرِّيّة. وأخبَرَني المنذريّ عَن أبي الهَيْثم أَنه قَالَ: السُّرُّ: السُّرُورُ فسمِّيت الجاريةُ سُريّةً لِأَنَّهَا مَوضِع سُرورِ الرجل، وَهَذَا أحسنُ الْقَوْلَيْنِ».

وقد ذكر في أسمائها عليها السلام: حُديث، وسوسن، وسليل. وهذا الأخير هو الوارد في روايات تمدحها، فقد ذكر المسعودي في إثبات الوصية أنّه: «لمّا أُدخلت سليل أُمّ أبي محمّد (العسكري) على أبي الحسن (الهادي) عليهما السلام قال: سليل مسلولة من الآفات والعاهات، والأرجاس والأنجاس، ثمّ قال لها: سيهب اللّه حجّته على خلقه يملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا.[1]

وبالإضافة لذلك فإنه يظهر علو منزلتها مما أخبرت عنه السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد وأخت الإمام الهادي من أنها عندما سئلت عن الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف في بداية استتاره، وسألها أحمد بن إبراهيم عن أنه: إلى من تفزع الشيعة؟ فقالت: إلى الجدّة، أُمّ أبي محمّد[2] (وهي سليل زوجة الإمام الهادي وأم العسكري وجدة المهدي) عليهم السلام.

وقد أشرنا في مواضع متعددة[3] من هذه السلسلة إلى حِكَم وفوائد نكاح الأئمة عليهم السلام للجواري، بحيث يمكن القول أنه منذ زمان الإمام الكاظم وإلى آخر الأئمة المهدي عليهم السلام، كانت أمهات الأئمة من هذا الصنف.

(1) (المسعودي: إثبات الوصية 244.

(2) نفس المصدر 272.

(3) في كتاب: كاظم الغيظ: الإمام موسى بن جعفر، وكتاب عالم آل محمد: الإمام علي بن موسى الرضا، وكتاب: الأعظم بركة: الإمام الجواد.

أولاده عليه السلام:

1/ **السيد محمد أبو جعفر**: وهو أكبر أولاده، ومع هذا فقد كانت (أبو الحسن) كنية والده، وهذه الكنية ورد في روايات سبقت ولادة الإمام بفترة طويلة من الزمان.

والسيد محمد يعد من فقهاء أهل البيت وكبار شخصياتهم وله موقع متميز، حتى أن بعض الشيعة في زمان الإمام الهادي عليه السلام احتمل أن يكون هو الإمام من بعد أبيه، لجهة كونه الأكبر (والكبير في ذهن الناس هو المؤهل لوراثة وخلافة أبيه، ولجهة علمه وتقواه).[1] ولأجل علمه وتقواه فقد كان طوع أمر أبيه، ولم يدّعِ ما ليس له، وإن كان بعض الشيعة يعتقدون فيه ذلك.. نعم هذا ينبهنا على أن صفاته من حيث العلم والعمل كانت صفات متميزة.

توفي في سنة 252 هـ، قيل وهو في طريق عودته من سامراء إلى المدينة، فوافته المنية في منطقة (بلد).[2] ويعرف في الذاكرة الشعبية في العراق بـ«سبع الدجيل» وينقل عنه أهل تلك المنطقة الكثير من الكرامات التي حصلت عند مرقده.

(1) ذكرنا في سلسلة عترة النبي، في البحث عن معرّفات الإمام أن الكبر في السن ليس من العلامات، فقد تخلف في كثير من المرات، وكان الإمامة في الأصغر.

(2) تبعد عن بغداد بنحو 85 كيلومتر وتقع شمالها.

2/ **الإمام أبو محمد الحسن العسكري**: ويأتي الحديث عنه عليه السلام إن شاء الله في الجزء الخاص به من هذه السلسلة.

3/ **الحسين بن علي الهادي**: ذكر المؤرخون اسمه في ضمن أولاد الإمام الهادي عليه السلام، كما ذكروا أنه توفي في زمان أبيه، وأنه كان على درجة عالية من الفضل حتى لقد كان البعض من الشيعة يعبر عنه وعن أخيه الحسن، بالحسنين ويشبههما بالسبطين عليهما السلام، وفي هذا من الإشارة لعظيم منزلته ما يكفي.

نقل عنه الحر العاملي حديثاً في صفات الإمام المهدي[1] كما نقل عنه الصدوق في معاني الأخبار حديثاً يرتبط بمعنى الحروف المقطعة في أوائل السور القرآنية. وكذلك نقل عنه في عيون الأخبار رواية أن في السماء ملكًا بصورة علي بن أبي طالب إذا اشتاقت الملائكة للإمام نظروا لوجه ذلك الملك.[2]

كذلك روى عن آبائه الحديث القدسي: «إنّي أنا اللّه لا إله إلّا أنا، فمن أقرّ بالتوحيد دخل حصني، ومن دخل حصني أمن من

(1) الحر العاملي؛ محمد بن الحسن: إثبات الهداة 5/ 73 قال: حدثنا الحسين بن علي بن محمّد بن علي بن موسى عن أبيه علي (بن محمد عن أبيه علي) بن موسى عن أبيه موسى بن جعفر بن محمّد عليه السلام قال: «لا يكون القائم إلّا إمام ابن إمام ووصي ابن وصي» في بعض المصادر روي عن الحسن بن علي (اي ال'مام العسكري) كما يلاحظ أن في السند سقطا أشرنا إليه بالقوس.

(2) الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام 2/ 139.

عذابي»[1] وعبر عنه في أول سند الحديث بـ«السيّد المحجوب إمام عصره بمكّة».

ولا نجد تفاصيل كثيرة عن حياته في كتب السيرة.

4/ جعفر بن علي: وقد اختلف في شأنه فمنهم من يلقبه بالتواب، ومنهم من يلقبه بالكذاب.

والاتجاه الأول (التواب): يشترك فيه قسم من الإمامية وأكثر أتباع مدرسة الخلفاء؛ ويبرر الذاهبون إلى تزكيته تلقيبه بالتواب إما بنفي ما ذكر عنه من روايات تنسبه إلى القبائح، فلا يصححونها من الأصل أو يقولون إنها كانت في فترة من فترات حياته وأنه تاب فيما بعد واستقام.

ويعتمد القسم الأول على أن الروايات التي تنسب إليه شرب الخمر واللهو واللعب إنما كانت من دعايات العباسيين والغرض منها هو تشويه سمعته ومن خلالها تشويه سمعة أبيه عندما يختلط الامر على عامة الناس فإذا نسب إلى جده الإمام الرضا وقيل هذا ابن الرضا أو ابن الهادي يصنع كذا وكذا من الموبقات، فإنه يتم تشويه صورة الجد والأب.

ويضيفون إلى ذلك ما هو القاعدة المعروفة من أنه (الْبَلَدُ

(1) الخزعلي؛ موسوعة الإمام الهادي 3/ 291.

الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ») فلا يعقل أن يكون ابن الإمام بهذه الصورة السيئة التي تنقل عنه!

بل يستفيدون مما ورد في التوقيع عن الإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف من قوله: «أما سبيل عمي جعفر وولده فسبيل إخوة يوسف عليه السلام»[1] ويفسرون ذلك بأن سبيلهم أن تاب الله عليهم وأن يوسف عفا عنهم وقال: لا تثريب عليكم اليوم.

وربما يرى البعض أن يجدر السكوت عن أخطائه لو كانت، كرامة لآبائه واحترامًا لهم (ولأجل عين ألف عين تكرم).

بل فسر قوم ما صدر من اللعن بشأنه والتوبيخ له بأن ذلك لأجل الستر على العلاقة المناسبة بينه وبين أخيه الحسن العسكري! وإن ذلك إنما كان في الظاهر دون الواقع حتى أنهم «قالوا بإمامته بعد أبيه منه وفرقة بعد أخيه الحسن ـ عليه السلام ـ منه؛ فلمّا قيل لهم: إنّهما ما زالا متهاجرين طول زمانها وقد وقفتم على صنائع جعفر في مخلفي الحسن ـ عليه السلام ـ وسوء معاشرته له في حياته، قالوا: إنّما ذلك كان بينهما في الظاهر»[2]

وأما أتباع مدرسة الخلفاء فقد أثنوا عليه ورفضوا لقب الكذاب

(1) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص 514.

(2) التستري؛ الشيخ محمد تقي: قاموس الرجال2/ 646 ناقلا عن النوبختي.. أقول: النوبختي ليس دقيقًا فيما يرتبط بموضوع الفرق الشيعية وائتمامها!

عليه، واستفادوا من حيازته كما قالوا ميراث أخيه الحسن العسكري لإثبات أنه لا وجود للمهدي كما تذهب إليه الشيعة كما قالوا.[1]

الاتجاه الثاني: جعفر الكذاب

وكأن هذا القول هو المشهور لدى علماء الشيعة، فهم **أولًا**: يردون ما ذكر من أن القاعدة هي أن يخرج الطيب من الطيب! ولا يرونها حاكمة على كل الحالات، وأن القرآن الكريم كما قال ذلك أيضًا قال: ﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ ﴾[2] وأن هذا الأمر جارٍ في ذراري الأنبياء كابن نوح والأئمة كالذين نازعوا أخوتهم الأئمة الحقيقيين (كعبد الله الأفطح بن الإمام الصادق) وغيره.

---

(1) العسقلاني؛ ابن حجر: لسان الميزان 2/ 119 «جعفر بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الحسيني أخو الحسن الذي يقال له العسكري وهو الحادي عشر من الأئمة الإمامية ووالد محمد صاحب السرداب وكان جعفر منابذًا لأخيه الحسن فسماه شيعة الحسن جعفر الكذاب واشتهر بذلك لكون الذي لقبه بذلك من شيعتهم ذكرته لأبيه على السبب في نسبته الى الكذب وإنها لا أصل لها لأنهم لا يوثق بنقلهم».
وقال محمود شكري الآلوسي في مختصر التحفة الاثني عشرية 1/ 21: «جعفر بن علي الهادي بن محمد الجواد، يلقبه الشيعة الإمامية بـ (الكذاب) لأنه أخذ ميراث أخيه الحسن بن علي العسكري وأنكر أن يكون له ولد عندما مات بلا عقب، وأهل مكة أدرى بشعابها. ورغم أنهم يعترفون بأنه شريف النسب اتهموه بالفسق والفجور وشرب الخمر، كما روى المجلسي في مرآة العقول: 1/ 422، ويروون الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ بكذب دعواه كما في كمال الدين: ص185، توفي سنة 271هـ. عمدة الطالب: ص 199؛ دائرة المعارف الشيعية: 7/ 196».

(2) الروم: 19.

ويردون ما تمت استفادته مما نسب للإمام الحجة في أن سبيل جعفر سبيل أخوة يوسف، بالقول أن الاحتمال الأقوى في معناها هو أن باعثه على ذلك من العداوة والتآمر هو الحسد، وهو ما كان عليه أخوة يوسف بالنسبة ليوسف، وأن حسدهم إياهم قد دعاهم إلى محاولة قتله!

وثانيًا: أن أمره في الانحراف كان معروفًا حتى أنه بمجرد أن استشهد الإمام العسكري عليه السلام، وتصدى هذا زورًا للإمامة لم يترك عاداته السيئة من اللعب والعبث ومرافقة المغنين في دجلة! كما سيأتي.

وكذلك يستندون إلى ما جاء من الروايات وهي كثيرة في ذمه وتجريحه وهي قبل ولادته بعشرات السنين، ولو كان الأمر سينتهي إلى حسن حاله وتوبته لما كانت هناك حاجة إلى مثل هذا.

ا/ فمن ذلك ما نقله الشيخ الصدوق رحمه اللّه بسنده عن أبي خالد الكابليّ قال: دخلت على سيّدي عليّ بن الحسين زين العابدين عليهما السلام... قال: حدّثني أبي، عن أبيه عليهما السلام أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قال: إذا ولد ابني جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام فسمّوه الصادق، فإنّ للخامس من ولده ولدًا اسمه جعفر يدّعي الإمامة اجتراء على اللّه وكذبًا عليه فهو عند اللّه جعفر الكذّاب المفتري على اللّه عزّ وجلّ والمدّعي لما ليس له بأهل، المخالف على أبيه،

والحاسد لأخيه، ذلك الذي يروم كشف ستر اللّه عند غيبة وليّ اللّه عزّ وجلّ.

ثمّ بكى عليّ بن الحسين عليهما السلام بكاء شديدًا، ثمّ قال: كأنّي بجعفر الكذّاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر وليّ اللّه، والمغيب في حفظ اللّه.[1]

ب/ ومن ذلك ما روي عن والده الإمام الهادي عليه السلام: في أنه قال في أول ميلاده ولم يُرَ مسرورا بميلاده، وعندما سئل عن ذلك قال عليه السلام: يهون عليك أمره فإنه سيضل خلقا كثيرا![2]

ج/ كما تنقل الروايات أنه تصدى لمزاحمة ابن أخيه الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف في الصلاة على الإمام العسكري،[3] والسيطرة على الإمامة[4]- بزعمه - وشارك[5] السلطة العباسية في محاولة القبض على الإمام!!

(1) الصدوق: كمال الدين 349.

(2) نفس المصدر 351.

(3) نفس المصدر 505.

(4) نفس المصدر 506 «.. فنحن جلوس إذ قدم نفر من قم فسألوا عن الحسن بن علي عليهما السلام فعرفوا موته فقالوا: فمن (نعزي)؟ فأشار الناس إلى جعفر بن علي فسلموا عليه وعزوه وهنوه وقالوا: إن معنا كتبًا ومالًا، فتقول ممن الكتب؟ وكم المال؟ فقام ينفض أثوابه ويقول: تريدون منا أن نعلم الغيب»!

(5) نفس المصدر 503 قال الراوي: «سمعت أبا الحسين الحسن بن وجناء يقول: حدثنا أبي، عن جده أنه كان في دار الحسن بن علي عليهما السلام فكبستنا الخيل وفيهم جعفر بن علي الكذاب واشتغلوا بالنهب والغارة».

كما راسل بعض أصحاب الإمام الهادي والعسكري المقربين ووكلائهم لإقناعهم بأنه هو الإمام بعد أخيه العسكري عليه السلام، لكنهم بدلًا من إجابته أرسلوا رسالته إلى الإمام المهدي الذي كان في غيبته الصغرى وكان لديهم طريق للوصول إليه، فأجابهم بجواب حازم يبين فيه ضلالة جعفر، ومما جاء في كتاب الإمام لأحمد بن إسحاق وهو طويل ومفصل: «.. وقد ادعى هذا المبطل المفتري على الله الكذب بما ادعاه، فلا أدري بأية حالة هي له رجاء أن يتم دعواه، أبفقهٍ في دين الله؟ فوالله ما يعرف حلالًا من حرام، ولا يفرق بين خطأ وصواب! أم بعلمٍ؟ فما يعلم حقًا من باطل، ولا محكمًا من متشابه، ولا يعرف حد الصلاة ووقتها! أم بورع؟ فالله شهيد على تركه الصلاة الفرض أربعين يومًا، يزعم ذلك لطلب الشعوذة، ولعل خبره قد تأدى إليكم! وهاتيك ظروف مُسكِره منصوبة، وآثار عصيانه لله عز وجل مشهورة قائمة. أم بآية فليأت بها، أم بحجة فليقمها، أم بدلالة فليذكرها»[1]؟

ولأجل ما كان عليه من الانحراف، لم يصدق أحد به ولم يقبلوا منه، حتى الغرباء عن سامراء الذين جاؤوا يسألون عن الإمام العسكري فأخبروهم بموته، وسألوا عن خليفته فقيل لهم:

(1) الطوسي؛ محمد بن الحسن: الغيبة 317.

أخوه جعفر بن علي، فسألوا عنه فقيل لهم «إنه قد خرج متنزهًا وركب زورقًا في الدجلة يشرب ومعه المغنون! قال: فتشاور القوم فقالوا: هذه ليست من صفة الإمام، وقال بعضهم لبعض: امضوا بنا حتى نرد هذه الأموال على أصحابها»!.

وربما لأجل كونه منحرفًا إلى هذه الدرجة عرف كما يقول الشيخ الطبرسي بزِقِّ الخمر![1]

5/ ونجد في مصادر مدرسة الخلفاء: إضافة اسم بنت للإمام وهي عائشة.

* * *

ثم إنه لا يخفى أن ما ورد من الروايات في أن تأويل الآية المباركة التي بدأنا بها تنطبق على ما نحن فيه؛ وذلك أن الأقسام التي ذكرتها الآية هي:

1/ فمنهم ظالم لنفسه وهذا ينطبق على جعفر (الكذاب).

2/ ومنهم مقتصد أي أنه يمشي بقصد واعتدال وضمن هدف، وساعيا لمقصد، وهو ينطبق على مثل السيد محمد سبع الدجيل، وعلى الحسين بن علي الهادي عليهما السلام.

(1) الطبرسي؛ تاج المواليد (المجموعة) 56 في تعداد أولاد الإمام علي الهادي: «وجعفر المعروف بجعفر الكذاب المدّعي للإمامة الملقب: بزق الخمر».

3/ ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله، وهو المنطبق على الإمام المعصوم حيث لا يسبقه سابق في الخير ولا يفوقه فائق وكل ذلك بأمر الله وإذنه.

وربما يتساءل البعض: كيف يمكن أن يكون ابن المعصوم مذمومًا بهذه الصورة؟ ألا يكون ذلك مشيرًا إلى عدم جودة التربية وإلى نقص التوجيه؟ فكيف يتصور من الإمام ذلك؟

والجواب: أن حصول النتائج الحسنة كما تتوقف على فاعلية الفاعل كذلك تتوقف على قابلية القابل، فلا يكفي أن ينزل الله الماء الطهور من السماء لتصبح الأرض مخضرة، ولا يكفي أيضًا أن يلقى البذر فيها، وإنما تحتاج مع كل ذلك إلى قابلية الأرض للانتفاع بماء السماء واحتضان البذرة. أما لو لم تكن كذلك كالأرض السبخة أو الصفا الصلب فلا ينفع وجود الماء كما لا ينفع وجود البذرة الصالحة.

وهذا الأمر كما هو صادق في الطبيعة هو صادق أيضًا عند البشر، وشاهد ذلك ما ذكرنا من بعض أبناء الأنبياء كنوح وابنه، وأبناء الأئمة ﷺ، فقد ذكر في أسماء أبنائهم عدد ليس بالقليل ممن لم يسلكوا سبيل آبائهم ويسيروا على منهاجهم؛ فهذا عمر الأطرف بن أمير المؤمنين علي رفض الخروج مع أخيه الحسين

بل إنه لم يتعاطف مع ركب السبايا عندما رجعوا إلى المدينة،[1] وهذا عبد الله الأفطح بن الإمام الصادق الذي تصدى من غير أهلية للإمامة، وهذا العباس بن موسى بن جعفر[2] الذي نازع الإمام الرضا عليه السلام، وذاك عبد الله بن موسى بن جعفر الذي تصدى من غير أهلية للإمامة مزاحمًا للإمام الجواد عليه السلام، وهذا جعفر المنازع لابن أخيه المهدي.

بل نجد هنا ميزة وهي كثرة الأحاديث في ذم هذا الأخير، بالقياس إلى من سبقه مع أنهم خالفوا آباءهم!

ولا يقتصر هذا على الأبناء بل قد يكون حال زوجاتهم عليهم السلام بنفس الطريقة، فبينما تكون بعض نسائهم في أعلى الدرجات كخديجة حيث آمنت بالنبي حين كفر به الناس، وفي المقابل امرأة لوط ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾[3] وبينما يدعو الإمام الجواد على زوجته أم الفضل ببلاء لا ينستر، تكون سمانة (من أهل الجنة، لا يقربها شيطان مارد، ولا ينالها كيد جبّار عنيد، وهي مكلوءة بعين الله التي لا تنام، ولا تختلف عن أمهات الصدّيقين والصالحين).

(1) راجع كتابنا أنا الحسين بن علي.
(2) راجع كتابنا عالم آل محمد: الإمام علي بن موسى الرضا.
(3) الأعراف: 83.

تفجير مشهد العسكريين:
مناشئ ودلالات

قالوا بأن التاريخ يعيد نفسه! وما أشبه الليلة بالبارحة!

يثير الباحثَ موقفُ بعض المسلمين من المراقد والمزارات! فهي في الحد الأدنى، أبنية تاريخية ذات عمارة متميزة، ونقاط جذب سياحي للناس!

وفي حد متوسط مكان للتواصل الاجتماعي، من غير تكاليف إضافية على الدول، في وقت أصبح التفاصل فيه بين أبناء المجتمع هو السائد، والحالة الفردية هي الغالبة. وأصبحت كل عائلة بل أحيانًا كل فرد جزيرة معزولة عن سائر الخلق!

وفي حدها الأعلى: مواقع تذكر المتأخرين بما كان عليه أوائلهم من الخير والصلاح، وتغريهم بسلوك نفس هذا الطريق الذي كانوا عليه، كما يكون إعمارها (بمعنى البناء وكذلك بمعنى الحضور) من خصائص (من آمن بالله واليوم الآخر)!

وفي ما يراه الإمامية وأكثر المسلمين فإن أحد أنحاء المودة

التي سألها النبي الناس في ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾[1] هو زيارة مشاهدهم وأضرحتهم ومقابرهم وإعمارها.

بل ونقلت مصادرهم حث النبي ﷺ على ذلك فقد رووا عن رسول الله ﷺ أنه قال مخاطبًا أمير المؤمنين عليا عليه السلام: (من عمر قبوركم وتعاهدها فكأنما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس).

ولأجل أن يكون القارئ العزيز في صورة متكاملة عن هذا الموضوع نقول:

- لا كلام بين المسلمين جميعًا في استحباب زيارة القبور من قبل الرجال ويستند اتباع مدرسة الخلفاء إلى روايات منها: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها؛ فإنها تذكركم الآخرة).[2]

وهذا عندهم خاص بالرجال بالأخص في المدرسة السلفية التي سناتي على ذكرها.

إذن: نقطة الاتفاق بين المسلمين جميعًا أنه يستحب ويحسن أن يزور الإنسان المقابر والقبور لما فيه من أثر وعظي وتربوي واخلاقي.

(1) الشورى: 23.
(2) صحيح مسلم: ج3، ص65.

وانفردت المدرسة السلفية بين المسلمين جميعًا من السنة والشيعة بأمرين:

الأول: منع النساء من زيارة القبور والمقابر واستندوا إلى رواية ناقشها سائر المسلمين مفادها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (لعن زوّارات القبور)،[1] وفي هذه الرواية نقاش طويل من حيث سندها ودلالتها ومعارضتها بما هو أقوى من الروايات، وبما عليه سيرة المسلمات في أدوار مختلفة من تاريخ الإسلام، كما أن سيرة المتشرعة من المسلمين والمسلمات تخالف ذلك.

الآخر: المنع المشدد من بناء الأضرحة والمشاهد والقباب والسقوف على القبور سواء أكانت قبور أنبياء أو أوصياء أو اولياء صالحين.

فلا يجوز عندهم ذلك، بل إذا ضم إليه بعض الممارسات كالطواف حول القبر ـكما يقولونـ أو الدعاء والاستغاثة بصاحب القبر هناك؛ فإن هذا ليس بدعة فقط، بل يرقي إلى حد الشرك بالله عز وجل.

هذا فيما يرتبط بالمدرسة السلفية، وبناء على ذلك فإنهم يرون هدم الأبنية والأضرحة والقباب المقامة على القبور أمرًا طبيعيًا؛

(1) مسند أحمد بن حنبل: ج2، ص337، وسنن الترمذي: ج2، ص259.

فإنه يمنع في نظرهم الشرك وهو إزالة البدع، وعلى هذا الأساس تم تهديم مقابر وأضرحة وقباب في فترات مختلفة من سيطرة أصحاب هذا الرأي.

وهذا الرأي - أي رأي المدرسة السلفية - لا يتفق وعموم المسلمين الذين يرون مشروعية البناء على القبور وجواز اتخاذ الأضرحة بما في ذلك القباب، بل استحباب ذلك أيضًا لما يقيمونه من الأدلة وما عليه من سيرة المسلمين في تاريخ الإسلام.

المدرسة الإمامية في طليعة المسلمين الذين يرون اتخاذ المقابر والمشاهد والأضرحة والقباب على قبور الانبياء وعلى قبور الأوصياء هو من مظاهر مودتهم لأنبياء الله وأوليائه، ومن مظاهر مودتهم لعترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخلفائه.

وهذا يرقى في أحاديث كثيرة التي منها (من عمر قبوركم وتعاهدها فكأنما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس) ينقلونه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما سأله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: ما لمن عمّر قبورنا؟ يشكل نقطة جذب لعباد الله لكي يذكروا الله في ذلك المسجد، ويصلون إليه ويقرؤون آياته، ويتعبدونه.

كذلك هذه الأضرحة والمشاهد والمقابر المبنية ستقوم بنفس الدور في جذب الناس باتجاه الإيمان، وعبادة الله وذكره وقراءة القرآن، وهو الدور ذاته الذي مارسه بناء بيت المقدس وسوف تمارسه المقابر وهذه المشاهد والاضرحة.

وعند الإمامية روايات أكثر من هذا.[1]

أدلة المسلمين على بناء القبور:

وأما إجمال المطلب عند عموم المسلمين ـ عدا الفئة المانعة المحرِّمة ـ فيمكن أن يُستدل لهم على مشروعية البناء على القبور واتخاذ الأضرحة والمشاهد بالأمور التالية:

الأمر الأول: من القرآن الكريم؛ فإن القرآن الكريم عندما تحدث عن قصة أصحاب الكهف وبعد عدة مئات من السنين التي ناموها في ذلك الكهف توفاهم الله.

آنئذ حصل خلاف وحوار بين أبناء ذلك المجتمع وكان فيهم فئة مؤمنة، وفئة غير مؤمنة وهم القائلون: ﴿ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ﴾[2]، وهذا يشبه تمامًا المتاحف والمعالم الأثرية التي

(1) ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للإمام علي عليه السلام: يا أبا الحسن إن الله جعل قبرك وقبر ولدك بقاعا من بقاع الجنة وعرصة من عرصاتها، وان الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوته من عباده تحن إليكم وتحتمل المذلة والأذى فيكم، فيعمرون قبوركم ويكثرون زيارتها تقربا منهم إلى الله مودة منهم لرسوله، أولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي والواردون حوضي، وهم زواري غدًا في الجنة.

(2) الكهف، الآية: 21.

تكون محل جذب سياحي، باعتبار أن قضيتهم قضية غريبة، فبعد أكثر من ثلاثمائة سنة ناموا ثم استيقظوا، إذ لم تؤثر تلك السنوات في أعمارهم، ثم انتقلوا إلى رحاب الله.

فحينما يتسامع بهم الناس من كل مكان سيزورون هذه البلدة وما يرافق ذلك من نمو اقتصادي وغير ذلك.

والرأي الآخر كان للفئة المؤمنة وهي الغالبة ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾[1]، فكانت الفكرة: لنتخذن عليهم مسجدًا نجعل بنيانًا من قماشتهم وما يتماهى مع قصتهم التي كانت في عبادة الله عز وجل، فكيف أنهم صمدوا في هذه العبادة وهربوا بدينهم وحافظوا عليه؟

المَعلَم الذي ينبغي أن يكون لهم هو ما يتناسب وقصتهم، وليكن مسجدًا؛ مكان عبادة، ودار توجه إلى الله سبحانه وتعالى، وفعلًا هذا الذي حدث، إذ اتخذ عليهم مسجد.

دفع وهم!!

لعل الطرف الآخر يُشكل بأن هذه المسألة كانت في قديم الزمان، وفي مجتمع آخر لا يتناسب مع زماننا، ولا يلتقي مع ديننا.

(1) الكهف، الآية: 21.

ويرد على ذلك بالتالي:

إن القران الكريم من شأنه إذا ذكر مسألة عقائدية، أو عبادية، أو حكمًا وكان فيه مخالفة للدين الصحيح لا بدَّ أن ينبه عليه، وهذا التنبيه كثير في القرآن منها:

قول اليهود: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾[1]، **فالقرآن يرد على هذا:** ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾.

أو يستبق الأمر فيصف الفكرة بأنها خاطئة، وما أكثر ذلك في القرآن الكريم، كقول الكفار ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾[2]، فإنه يسبق قولهم هذا فيصفهم بأنهم جعلوا أهواءهم آلهة لهم ولذلك ختم على سمعهم وقلوبهم.. وحينها قالوا هذا الكلام، فيقول مستبقا كلامهم: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[3].

الشاهد: لو كان كلام الذين آمنوا ممن شهدوا حادثة أهل الكهف، ونقل القرآن كلامهم ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ

(1) التوبة، الآية: 30.
(2) الجاثية، الآية: 24.
(3) الجاثية:23.

لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾[1] يدعو إلى الشرك، وأنه خلاف التوحيد، لنبه القرآن الكريم على ذلك، ولم يترك الأمر كما هو.

فإذا كانت فئة عادية لم تتسلح سوى بإيمانها بني عليهم مسجد، واتخذ مكانًا لذكر الله عزّ وجلّ، ولتذكر قصتهم على تعاقب الأزمان، فما ظنك إذا كان نبيًّا من أعظم أنبياء الله؟! أو وصيًّا من أوصياء رسول الله؟ أو وليًّا من أولياء الله؟! فمن باب أولى.

الأمر الثاني: إن أبرز ما يذكره أتباع المدرسة السلفية من إشكالات حول البناء على القبور وزيارتها من أن الطواف حول تلك القبور بدعة، أو شرك [(2)]؛ لأنهم سوف يلجؤون بالدعاء إلى غير الله، وهذا شرك.

ويجاب على ذلك بالتالي:

1/ الادعاء بأن من يذهب إلى تلك القبور أنه يدعو من دون الله، ادعاء باطل لا قيمة له، بل الأمر على خلافه؛ فإن من يتوجه إلى تلك الأماكن يدعو الله وحده لا شريك له، ويتقرب إليه سبحانه وتعالى.

(1) الكهف، الآية: 21.

(2) يقول الشيخ ابن باز: إذا طاف يريد التقرب إلى أهلها فقد أشرك، وإذا طاف بقصد التقرب إلى الله فقد ابتدع وفعل منكرًا. (راجع موقعه الإلكتروني: https: / /binbaz.org.sa/)

2/ هل أن الشرك ألفاظ وكلمات أم اعتقادات؟! هل هو أفعال خارجية أم أفعال ينضم إليها الاعتقاد؟!

إذا كان مجرد الألفاظ، أو الممارسة المجردة دون اعتقاد شركًا، فهذا من المخالف لكتاب الله عزّ وجلّ، ومخالف لما عليه أنبياء الله عزّ وجلّ، وما أكثر الآيات والقصص في ذلك، نستعرض بعضًا منها:

ما جرى لعمار بن ياسر حينما قال كلمة الكفر بلسانه ووافق المشركين بلفظه، فنزلت الآية الشريفة: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[1].

فهذا بحسب ادعاء بأن الشرك ألفاظ يكون عمار بن ياسر قد خرج من الإسلام، بينما الله سبحانه وتعالى برأه من الشرك، ونفى عنه ذلك.

ما جرى لنبي الله يعقوب عليه السلام وأبناؤه حينما التقوا بيوسف عليه السلام في مصر واستقبلهم خرّوا له سجدًا ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾[2].

إن يعقوب نبي من أعاظم الأنبياء فجده نبي، ووالده نبي، وعمه نبي، وابنه نبي، وقام بفعل لابنه يوسف عليه السلام من أعظم

(1) سورة النحل، الآية: 106.
(2) سورة يوسف، الآية: 100.

أفعال التعظيم، ومن أحسن العبادات، وهو السجود، فلو سجدوا ليوسف حقًا معتقدين أنّه هو الله، أو ابن الله، أو شريك مع الله، لحلّت عليهم صاعقة العذاب.

إنما خرّوا للَّه سجدًا لجهة يوسف شاكرين الله وحامديه بما مَنّ الله عليهم بيوسف.

إذن: الفعل بنفسه لا يدل على الشرك إلا إذا انضم إليه الاعتقاد.

- ما جرى لإبليس والملائكة في قصة السجود لآدم، فإن الله سبحانه وتعالى أمر الملائكة بأن يسجدوا لآدم ليس باعتباره ربّ؛ وإنما لأنه عبد من عبيد الله عزّ وجلّ، وهذا أمر من الله، ولذا حينما امتنع إبليس من السجود طرد من رحمة الله.

السجود بحد ذاته خضوع وعبادة، فلماذا لم يعتبر هذا عبادة لآدم؟!

جميع الملائكة سجدوا لآدم، وحري ـ بناء على ذلك القول ـ بأن يشكل عليهم أن ذلك عبادة لآدم، والعبادة ينبغي أن تكون لله وحده.

هذا السجود وهذا الفعل لآدم ليس بعبادة؛ لأنه لم يتضمن خضوعًا، بل مجرد استجابة لأمر الله سبحانه وتعالى.

إذن: مسألة الشرك والإيمان ليست كلامًا، وليس فعلًا فقط، وإنما هو الكلام والفعل المشتملان على الاعتقاد والإيمان، فالسجود بالخضوع والذّلة، والافتقار إلى الله معتقدًا بذلك في قرارة نفسه، تصبح هذه عبادة.

- لو أن مسلمًا طلب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المغفرة[1] والعطاء معتقدًا بأن رسول الله عبد من عبيد الله لا يصنع شيئًا إلا بإذن الله وأمره وإرادته، فهذا عين التوحيد، حتى لو طلب ذلك من أولياء الله[2]
- مسألة الطواف والادعاء بأنه شرك، فإن ذلك من شأنه أن يجعل جميع حجاج بيت الله الحرام مشركين والعياذ بالله؛ لأنهم يطوفون حول قبر إسماعيل وهاجر[3].

فمنذ أن فرض الله الحج وحتى يومنا هذا والحجاج يطوفون حول قبريهما، بل أن بعض أعلام مدرسة الخلفاء كالقرطبي يذهب إلى أن نبي الله شعيب مدفون مقابل الحجر الأسود، ونقل عن بعضهم ما بين الركن والمقام إلى زمزم قبور تسعة وتسعين نبيًا جاءوا حجاجًا فقبروا هنالك، صلوات الله عليهم أجمعين[4].

فكيف يكون الحجاج يطوفون وهم في مركز الأرض للتوحيد

(1) بناء على قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[النساء: 64].

(2) يقول الحافظ محمد بن حبان (ت: 354هـ)، في كتابه الثقات: ج8، ص456، في ترجمة الإمام الرضا عليه السلام: علي بن موسى الرضا له قبر مشهور قد زرته مرارًا كثيرة وما حلت بي شدة في وقت مقامي بطوس، فزرت قبر علي بن موسى الرضا صلوات الله على جدّه وعليه ودعوت الله إزالتها عني إلا أستجيب لي وزالت عني تلك الشدة، وهذا شيء جربته مرارًا فوجدته كذلك أماتنا الله على محبة المصطفى وأهل بيته صلّى الله عليه وعليهم أجمعين.

(3) وهو ما يعرف بـ (حجر إسماعيل) والذي بناه إسماعيل بعد أن ماتت أمه هاجر.

(4) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ج2، ص130.

في الكعبة المشرفة بقبر أحد الأنبياء، وإحدى الأولياء لله سبحانه وتعالى ـ بالقدر المتيقن من مدفن إسماعيل وأمه.

فأين دعوة الطواف بأنها مدعاة للشرك، وكيف تصمد أمام هذه الشواهد؟!

- قبر سيد الأنبياء محمد ﷺ حيث دفن في منزله[1]، وفي حجرة زوجته.

السؤال المطروح: هل كان في بيت رسول الله ﷺ جدران وعليه سقف وبناء؟!

إذا لم يكن فيه بناء فهذا غير معهود!! وإذا كان كذلك فإن صحابة رسول الله ﷺ بما في ذلك زوجاته خالفوا هذا الأمر، إذ لا يجوز أن يكون هناك بناء على القبر ـ على رأي المدرسة السلفية ـ وليس ثمة فرق بين أن يكون البناء قائم أم تم تشييده فيما بعد؟

وكيف سوّغ وجوّز أن يدفن رسول الله في مكان عليه بناء وفيه سقف وما شابه ذلك؟

ثم إن الخلفاء الذين دفنوا مع رسول الله ﷺ ليسوا بأنبياء، ولم يقبضوا في نفس المكان، بل أُوتي بهم إلى محل ما دفن فيه

(1) يرى أعلام مدرسة الخلفاء بأن كلّ نبي يدفن محلّ قبضه، ولا يدفن في مكان آخر (راجع: سنن الترمذي: ج2، ص242).

الرسول، وكان ذلك بمحضر الصحابة الذين ـ كما تدعي هذه المدرسة ـ بأن قولهم وفعلهم وتقريرهم حجة، فهل يعقل بأن يقروا على شيء باطل؟ وكيف سكت أصحاب رسول الله قاطبة على مثل هذا الأمر؟!

والأوضح من ذلك في العهد الأموي المرواني[1] ضم بيت رسول الله إلى داخل المسجد، فصار كلّه مسجد بما فيه البيت النبوي الذي فيه قبور لعدد من الأشخاص.

ولم يكن ذلك محلّ استنكار لأصحاب رسول الله، ولا لأهل البيت النبوي، في أن يكون ذلك من البدع، أو يجانبه المغالاة بالأخص مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلماذا لم تسد بهذه الذريعة؟

لم نجد أن أحدًا اعترض على هذا الأمر، بل كانوا يتبركون بتراب قبره، ويضعون رؤوسهم على قبره كما كان يصنع أبو أيوب الأنصاري[2].

فهذا قبر رسول الله اتخذ عليه القباب في طول تاريخ المسلمين، لم يكن هناك إنكار على هذا الأمر، وعلى أثر ذلك يذهب عموم

(1) في زمن الوليد بن عبد الملك سنة: 88هـ.

(2) روي الحاكم النيسابوري في [المستدرك: ج4، ص515]: أن أبا أيوب الأنصاري وضع وجهه على قبر رسول الله فمر مروان بن الحكم فقال: ما يصنع هذا؟! فالتفت أبو أيوب رضي الله عنه فعرفه مروان ومضى، فقال أبو أيوب: ((إني لم آت الحجر إنما أتيت رسول الله، إني سمعت رسول الله يقول: لا تبكوا على الإسلام إذا وليه أهله ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله).

المسلمين إلى أن إعمار المشاهد والأضرحة والمقابر ليست فقط مشروعة، بل هو من سيرة المتشرعة من المسلمين.

في البلدان الإسلامية هناك العشرات من القبور والأضرحة للأولياء والمؤمنين، كتركيا ومصر والعراق وإيران وبخارى وسمرقند وسائر بلاد المسلمين، وهذا يكشف عن أن هذه الممارسات وهذه السيرة كانت مستمرة متصلة بالزمان الأول بعد رسول الله ﷺ وتسلمها الأخلاف عن الأسلاف من غير إنكار ولا منع.

أما بالنسبة للإمامية فعندهم من الأحاديث عن أئمة أهل البيت عليهم السلام ما شاء الله ذكرنا بعضها.

دفع وهم وحلّ إشكال!!

اعتمد الفريق المخالف لبناء القبور وزيارة الأضرحة على أدلة غير تامة؛ وعمدة أدلتهم ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم؟ أن لا تدع تمثالًا إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته[1].

وقد أجاب عامة المسلمين على ذلك بإشكالين على الرواية أبي الهياج:

(1) صحيح مسلم [كتاب الجنائز]: ج2، ص667.

الإشكال الأول في السند:

ففي سلسلة الحديث أربعة رواة يشكل عليهم وهم:

1/ أبو وائل: هو شقيق بن سلمة الكوفي وكان من الخوارج المبغضين لأمير المؤمنين عليه السلام[1]، فكيف يتسنى لشخص من مبغضي أمير المؤمنين بل ممن يرى كفره! أن ينقل حديثًا عنه.

2/ سفيان الثوري: وهو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، قال عنه الذهبي: إنه كان يدلس عن الضعفاء[2].

3/ حبيب بن أبي ثابت، وصفه ابن حبان في كتابه (الثقات) بأنه مدلس، وقال ابن حجر أيضًا: كان كثير الإرسال والتدليس.

4/ أبو الهياج فهو نكرة في المدرسة الإمامية، ولم يكن له حديث سوى هذا الحديث.

الإشكال في المتن، ويكون في نقطتين:

الأولى: في معاني الحديث

في معنى (لا تدع قبرًا مشرفًا إلا سويته) فمفهوم (سويته) ـ عند المدرسة السلفية المحرمة للبناء على القبور ـ أي ساويته

(1) **ويكفي في قدحه أنه كان من ولاة عبيد الله بن زياد، قال ابن أبي الحديد: قال أبو وائل: استعملني ابن زياد على بيت المال بالكوفة.**

(2) ميزان الاعتدال: ج2، ص169.

بالأرض، سواء أكان البناء جدارًا، أم قببًا، أم أعمدة، وهذا ما صنع بقبور أئمة البقيع عليهم السلام، وغيرها في أماكن سيطرتهم وقوتهم، حيث يفجروا المشاهد ويهدموا القبور والأضرحة، بل كانوا يتمنون أنهم لو تمكنوا ما أبقوا ضريحًا مبنيًّا على الإطلاق.

والمفهوم الأخر لكلمة (سويته) عند بقية المسلمين ـ وهم يرونه الأصح ـ أن التسوية في الشيء هو عبارة عن إزالة التتوءات والارتفاعات والانخفاضات.

فكانت القبور آنذاك مسنمة كسنام البعير ـ على فرض صحة الحديث ـ فيراد جعلها مسطحة مستقيمة، وليس بالشكل المثلث.

وهذا هو الأقرب؛ لأنه لو أراد أن يقول بذلك المعنى من التسوية وهو الهدم والمساواة بالأرض، لصح أن يقول: (ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته بالأرض) وفي هذا يستقيم والمعنى الذي أرادوه.

أما التسوية المجردة لا يعدو كونها على مستوى واحد، متساوية الأجزاء مستقيمة.

فإن كان كلا المعنيين محتملين، فلماذا الاقدام على هدم تلك الأماكن الحضارية؟ وإزالة ما من شأنه أن يذكر فيها اسم الله، ويعظم فيها أولياؤه؟ على أثر حديث يشكل في سنده، وغير تام الدلالة؟!

الأخرى: إشكال في الممارسة لا في المعتقد؟!

هناك مدرسة عريضة تضم أكثر المسلمين التابعين لمدرسة الخلفاء الذين توحدت كلمتهم على عدم جواز هدم هذه المقابر، والأضرحة، والمشاهد، حتى لو كان فيها بعض الممارسات غير الصحيحة؛ فإن الحل يكمن في إرشاد الناس وتوجيههم، لا في هدم تلك الأماكن.

فلو أن شخصًا يصلي في المسجد خلاف القبلة، فهل من الصحيح هدم المسجد؟! أم توجيهه إلى القبلة.

بل أعظم من ذلك لو أن شخصًا أشرك بالله في المسجد، فهل من الصحيح هدم المسجد؟! أم توجيهه وإرشاده إلى الصواب، والعمل الصحيح.

فهدم القبور والمشاهد والأضرحة التي هي مألف الناس، ومحل تجمعهم على فعل الطاعات، بدلا من أن يألفوا أماكن الفساد، وأماكن اللهو، التي يغض الطرف عنها، وتوجه السهام إلى الأماكن التي يتلو فيها كتاب الله، ويذكر فيها اسمه، ويصلى إليه، ولا يدعى إلا هو، تهدم بحجة حديث ملتبس من كل الجهات.

وأمثال ذلك مما ذكروه كرواية لعن اليهود والنصارى القائل: (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)[1].

(1) مسند أحمد: ج5، ص184.

فهل الإشكال على اليهود والنصارى في اللعن أنهم اتخذوها مساجد فقط؟ أم أنهم قالوا: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾[1]، وعلى هذا الأساس اعتقادهم أنهم أبناء الله، وهذا عين الشرك.

ولكن أين هذا ممن يوحد الله ويؤمن به، ويتوجه إلى الكعبة ويصلي إلى ربه، ولكن بجانبه قبر من قبور أنبياء الله، أو أوليائه، فما الضير في ذلك؟

بالعكس فإن إعمار قبورهم كما قال رسول الله ﷺ مخاطبًا أمير المؤمنين عليه السلام: (من عمر قبوركم وتعاهدها فكأنما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس) وهو دور مشترك وغاية واحدة في جمع الناس إلى عبادة الله وفي أماكن ذكره.

لذا اعتمد أئمة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم على هذا الأمر، ودعوا إليه، وشجعوا عليه، فكأن في التاريخ طريقين:

- طريق الطواغيت وفراعنة الأمة الداعية إلى هدم القبور، وتحطيم الأضرحة، كالمتوكل العباسي وأمثاله. وأشارت إليهم زينب بنت أمير المؤمنين حين قالت لابن أخيها زين العابدين عليه السلام: (لقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا

(1) التوبة: 30.

تعرفهم فراعنة هذه الأمة وهم معروفون في أهل السماوات انهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها وهذه الجسوم المضرجة وينصبون لهذا الطف علما لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والأيام وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتمحيه فلا يزداد أثره إلا ظهورا وأمره إلا علوا)[1] وكأن كلا الفريقين يجتهدان: أئمة الكفر وأشياع الضلالة.

- وطريق الصالحين والأولياء وعترة النبي في إعمارها وتشييدها.

بعد هذا العرض لمسألة القبور وإعمارها، نشير إلى أنه كما حصل تهديم لقبر الإمام الحسين عليه السلام عدة مرات، ولقبور أئمة البقيع وأصحاب النبي والتابعين في 8 شوال سنة 1344هـ على يد الحالة السلفية فقد تمَّ تفجير مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام في 23 محرم 1427هـ.

ذلك أنه مع العواصف السوداء التي هبت مؤخرا على عالمنا الإسلامي خلال العقدين الماضيين، والتي أنتجت مسْخًا مشوها من الفهم القشري البليد للدين، والبغض المركّز للمعصومين، والقسوة الاستثنائية مع المختلفين والذي تعنون بعنوان (القاعدة وداعش) أقدمت هذه الفئة التي تنتهج نهج أسلافها التاريخيين

(1) جامع أحاديث الشيعة: ج12، ص439.

على تفجير المرقد الشريف للإمامين علي الهادي والحسن العسكري عليهما السلام، في حادثة كان يراد لها من قبل منفذيها أن تكون فتيلا لقنبلة الحرب الأهلية بين مذاهب المسلمين، وفي زعمهم السقيم أن شيعة أهل البيت سيردون على هذا الاعتداء على أضرحة أئمتهم ومشاهدهم بالاعتداء على مساجد ومشاهد أئمة المذاهب الأخرى، وسيدفع هؤلاء إلى الرد وهكذا تتدحرج كرة النار الملتهبة لتحرق كل ما وصلت إليه أو مرت به!

وهذا ما يتفنن فيه أولئك فإنهم ليسوا أهل علم أو ابداع أو بناء حضاري، وإنما شطارتهم وقدرتهم هي في التدمير والتفجير والهدم والقتل! فمن ذا ينافسهم فيه؟

إلا أن الله سبحانه وتعالى الذي حمى دينه وأمة نبيه المصطفى في طول تاريخها بالعترة الطاهرة، بدءا من سيدهم أمير المؤمنين وانتهاء بآخر الأئمة عليهم السلام، وكما اجتازوا بها بحار الشك الفكري ومحيطات الفتن الداخلية، فكانوا كما قال جدهم (كمثل سفينة نوح) حيث أنقذوا الأمة من كل ذلك. الله الذي حماها في ما سبق حماها في هذه الأزمنة بالمرجعية الدينية الشيعية الرشيدة التي كانت حازمة في أمر الناس بأن لا ينساقوا وراء الاستدراج للفتنة الطائفية والحرب المذهبية، ووقفوا بعزم أمام دعوات الثأر والانتقام، وتجرعوا علقم الجرح والتضحيات من أجل سلامة هذه الأمة.

وهذا ما حصل بفضل الله تعالى حيث رد الله أصحاب الفتن ﴿بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾[1] وسجل هذا الموقف بأحرف المجد إضافة إلى سائر صفحات كتاب الأمة في رصيد المرجعية الدينية الشيعية.

تمَّ إعمار المرقد الشريف بنحو أفضل ممَّا كان عليه في السابق وأعيدت القبة الذهبية التي تعد من أكبر القباب المذهبة في العالم حيث يبلغ محيطها 68 مترًا، ويبلغ عدد قطعها الذهبية فيما قيل 72 ألف قطعة مذهبة، هذا بالإضافة إلى منائره المذهبة الشاهقة في عنان السماء.

وكانت فرصة أمام أهل الخير لكي يتوسع بناء المشهد الشريف بشراء ما حوله من الأراضي والدور. وهكذا تحولت المحنة التي كان يمكن أن تصبح نقمة إلى منحة، وربما لم يكن يمكن القيام بما تم القيام به لولا ذلك التفجير الغادر. أرادوا شرًّا وأراد الله خيرًا ولا راد لإرادة الله، فـ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾.[2]

ذلك المنزل الصغير الذي اشتراه الإمام علي الهادي عليه السلام حين قدومه إلى سامراء، صار محل قبره إذ أن المعتز العباسي بعدما

(1) الأحزاب: 25.
(2) الحج:38.

اجتمعت أعداد كبيرة من الناس في الصلاة على الإمام (عليه السلام)، أمر بإرجاع جثمان الإمام إلى بيته هذا ودفنه فيه، ليتحول هذا البيت الصغير إلى أحد ﴿بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ (*) رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾.[1] وليضم فيما بعد الجثمان المقدس لابنه الإمام الحسن العسكري، وأخته الفاضلة حكيمة بنت الإمام الجواد، وأم خاتم الأوصياء المهدي السيدة الفاضلة نرجس.

(1) النور: 36 ـ 37.

المصادر

بعد القرآن الكريم

نلفت القارئ الكريم إلى أنه تمَّ الاعتماد على الكتب الموجودة في المكتبات الإلكترونية فبالنسبة إلى كتب مدرسة أهل البيت عليهم السلام تمَّ الاعتماد على مكتبة أهل البيت https://ablibrary.net/ وبالنسبة إلى كتب مدرسة الخلفاء تمَّ الاعتماد على تطبيق المكتبة الشاملة، وهناك كتب ربما لم تكن في أي منهما فقد أشير إليها وإلى موقعها.

1. ابن أعثم الكوفي؛ أحمد: الفتوح، ت علي شيري، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع 1411.
2. ابن الأثير الجزري؛ علي بن أبي الكرم: الكامل في التاريخ، ت عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت .
3. الإربلي؛ علي بن أبي الفتح كشف الغمة في معرفة الأئمة، دار الأضواء ـ بيروت 1405 ـ 1985 م.
4. الأزرقي؛ محمد بن عبد الله: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، رشدي الصالح، دار الأندلس للنشر ـ بيروت.
5. الأزهري؛ محمد بن أحمد: تهذيب اللغة، ت محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت 2001م .

6. الألباني؛ محمد ناصر الدين: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، مكتبة المعارف الرياض 1412 هـ.
7. الألوسي؛ محمود شكري: مختصر التحفة الاثني عشرية، المطبعة السلفية، القاهرة 1373 هـ.
8. البخاري؛ محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري ـ ط السلطانية، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق مصر، 1311هـ .
9. البروجردي؛ السيد حسين الطباطبائي: جامع أحاديث الشيعة، المطبعة العلمية ـ قم، 1399هـ .
10. البغدادي؛ محمد بن حبيب: المحبر، ت إيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت .
11. الترمذي؛ محمد بن عيسى: سنن الترمذي، ت أحمد محمد شاكر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة 1395هـ.
12. التستري؛ الشيخ محمد تقي: قاموس الرجال، مؤسسة النشر الإسلامي ـ إيران ـ قم1410.
13. التنوخي؛ المحسن بن علي بن محمد: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة 1391هـ .
14. التنوخي؛ المحسن بن علي: الفرج بعد الشدة، ت عبود الشالجي، دار صادر، بيروت 1398هـ .

15. الجاحظ؛ عمرو بن بحر: المحاسن والأضداد، دار ومكتبة الهلال، بيروت 1423هـ .
16. جعفريان؛ رسول: الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت، دار الحق للطباعة والنشر، نسخة الكترونية .
17. الحائري؛ السيد كاظم الحسيني: الإمامة وقيادة المجتمع/ مكتبة الفقاهة https://ar.lib.eshia.ir/ .
18. ابن حبان؛ البُستي محمد: الثقات، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند 1393هـ .
19. الحسيني الخطيب؛ السيد عبد الزهراء: مصادر نهج البلاغة وأسانيده، دار الزهراء ـ بيروت 1409 .
20. الحراني؛ ابن شعبة: تحف العقول عن آل الرسول، ت علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي 1404 .
21. حنبل: أحمد بن: مسند الإمام أحمد بن حنبل شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة 1421هـ.
22. خطب الإمام علي بن أبي طالب: نهج البلاغة، ت صبحي الصالح، 1387هـ .
23. الخطيب البغدادي؛ أحمد بن علي بن ثابت: تاريخ بغداد، ت بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي بيروت 1422هـ .
24. ابن خلكان؛ أحمد بن محمد بن إبراهيم: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت إحسان عباس، دار صادر ـ بيروت.

25. الخوئي؛ السيد أبو القاسم الموسوي: معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، مركز نشر الثقافة الإسلامية قم إيران .
26. الدارمي؛ عبد الله بن عبد الرحمن: مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، ت حسين سليم أسد، دار المغني للنشر والتوزيع، السعودية 1412هـ .
27. الذهبي؛ شمس الدين محمد بن قَايْماز: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ت عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت 1413هـ.
28. الذهبي؛ شمس الدين محمد بن قَايْماز: تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ت غنيم عباس غنيم، نشر الفاروق الحديثة للطباعة والنشر 1425هـ .
29. الذهبي؛ شمس الدين محمد بن قَايْماز: سير أعلام النبلاء، دار الحديث- القاهرة 1427 .
30. الذهبي؛ شمس الدين محمد بن قَايْماز: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت 1382هـ .
31. الرباط؛ خالد وآخرون: الجامع لعلوم الإمام أحمد ـ العقيدة، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم مصر 1430هـ.
32. الزيات؛ أحمد حسن: مجلة الرسالة تاريخ النشر بالشاملة: 9 ربيع الأول 1432 .

33. ابن الصباغ المالكي؛ علي بن محمد أحمد: الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ت سامي الغريري، دار الحديث للطباعة والنشر 1422 .
34. السبحاني؛ الشيخ جعفر: بحوث في الملل والنحل، مؤسسة النشر الإسلامي ـ مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ـ قم .
35. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، دار الرسالة العالمية، دمشق 1434هـ .
36. آل سيف؛ فوزي: الأعظم بركة؛ الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام، دار المحجة البيضاء بيروت 1443.
37. آل سيف؛ فوزي: أنا الحسين بن علي، دار المحجة البيضاء بيروت 1441 .
38. آل سيف؛ فوزي: عالم آل محمد؛ الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، دار المحجة البيضاء بيروت 1442.
39. الصدر؛ السيد محمد باقر: أئمة أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف.. (نسخة الكترونية) موقع الحسنين. http://alhassanain.org/
40. الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: التوحيد، ت السيد هاشم الحسيني الطهراني منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم .
41. الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: الخصال، ت علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية قم إيران.

42. الصدوق ابن بابويه؛ محمد بن علي بن الحسين: من لا يحضره الفقيه، ت علي أكبر الغفاري، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم.
43. الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: عيون أخبار الرضا عليه السلام، ت الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت .
44. الصفدي؛ خليل بن أيبك: الوافي بالوفيات، أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى دار إحياء التراث ـ بيروت 1420هـ .
45. الطبرسي؛ أحمد بن علي الاحتجاج، ت السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر ـ النجف الأشرف، 1386 ـ 1966 م.
46. الطبرسي؛ الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن: إعلام الورى بأعلام الهدى، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم 1417.
47. الطبرسي؛ أبو علي الفضل بن الحسن: تاج المواليد (المجموعة) مكتب آية الله العظمى المرعشي النجفي ـ قم 1406.
48. الطبري؛ محمد بن جرير: تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، دار التراث ـ بيروت ـ 1387هـ .
49. الطبري (الشيعي)؛ محمد بن جرير: دلائل الإمامة، ت قسم الدراسات الإسلامية ـ مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة قم 1413 .

50. الطوسي؛ ابن حمزة الثاقب في المناقب، ت نبيل رضا علوان، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر ـ قم 1412 .
51. الطوسي؛ محمد بن الحسن: اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، ت السيد مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم إيران 1404هـ .
52. الطوسي، محمد بن الحسن: تهذيب الأحكام، ت السيد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية طهران ـ 1390هـ .
53. الطوسي؛ الشيخ محمد بن الحسن: الغيبة، ت عباد الله الطهراني، مؤسسة المعارف الإسلامية ـ قم المقدسة 1411 .
54. العاملي؛ إثبات الهداة إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت .
55. العاملي؛ محمد بن الحسن الحر: وسائل الشيعة إلى تفصيل مسائل الشريعة (آل البيت) ت مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم .
56. عبد الباقي؛ أحمد: سامراء عاصمة الدولة العربية في عهد العباسيين، الدار العربية للموسوعات ـ بيروت 1427 .
57. العسقلاني؛ أحمد بن علي ابن حجر: لسان الميزان، ت عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية .
58. عطاردي؛ الشيخ عزيز الله: مسند الإمام الصادق، نشر عطارد، طهران.

59. الفيروزآبادى؛ محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1426هـ .
60. القرطبي؛ محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، دار الكتاب العربي، بيروت 1422هـ .
61. القمي؛ القاضي سعيد: شرح توحيد الصدوق، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران 1415 ق.
62. قولويه؛ جعفر بن محمد بن: كامل الزيارات، ت الشيخ جواد القيومي، مؤسسة نشر الفقاهة 1417.
63. الكليني؛ محمد بن يعقوب بن إسحاق: الكافي، تعليق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية طهران إيران.
64. الكوراني؛ الشيخ علي: الإمام علي الهادي؛ عمر حافل بالجهاد والمعجزات، 1434.
65. الكوراني؛ الشيخ علي: مقدمة كتاب الحق المبين في معرفة المعصومين (نسخة الكترونية) https://mbsadr.ir/ar .
66. لجنة التأليف؛ المجمع العالمي لأهل البيت: أعلام الهداية، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ـ قم 1425هـ .
67. اللجنة العلمية في مؤسسة ولي العصر: موسوعة الإمام الهادي عليه السلام، مؤسّسة وليّ العصر عليه السلام للدراسات الإسلاميّة ـ قم 1424.

68. المازندراني؛ بن شهرآشوب؛ رشيد الدين محمد بن علي: المناقب، مؤسسه انتشارات علامة، قم.
69. المجلسي؛ المولى محمد باقر: بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء ـ بيروت ـ لبنان 1403 .
70. المجلسي؛ المولى محمد باقر: مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ت رسولى محلاتى، دار الكتب الإسلامية ـ طهران 1404هـ .
71. المدرسي؛ محمد تقي: التاريخ الإسلامي دروس وعبر، دار المحجة البيضاء بيروت 1435 .
72. المسعودي؛ علي بن الحسين: إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب، انصاريان ـ قم 1426 .
73. المسعودي؛ علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، منشورات دار الهجرة إيران ـ قم 1404.
74. مسكويه؛ أحمد بن محمد بن يعقوب: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ت أبو القاسم إمامي، سروش، طهران 2000 م .
75. المشهدي، محمد بن جعفر: المزار، ت جواد القيومي الاصفهاني نشر القيوم ـ قم ـ إيران 1419.
76. المفيد؛ محمد بن محمد بن النعمان العكبري: الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، دار المفيد .

77. اللجنة العلمية في مؤسسة ولي العصر: موسوعة الإمام العسكري عليه السلام، مؤسسة ولي العصر عليه السلام للدراسات الإسلامية ـ إيران ـ قم 1426 .
78. ابن منظور؛ محمد بن مكرم الإفريقى: لسان العرب، دار صادر ـ بيروت 1414هـ .
79. مؤلف أخبار الدولة العباسية ـ مجهول: أخبار الدولة العباسية، ت عبد العزيز الدوري، عبد الجبار المطلبي، دار الطليعة، بيروت .
80. المهاجر؛ د. جعفر: التاريخ السري للإمامة، دار بهاء الدين العاملي للنشر والتوزيع، نسخة الكترونية على موقع https://www.mobdie.org/.
81. المهاجر؛ د. شيخ جعفر: الإمام الهمام علي الهادي عليه السلام، دار بهاء الدين العاملي للنشر والتوزيع، نسخة الكترونية على موقع https://www.mobdie.org/.
82. الميانجي؛ علي الأحمدي: مكاتيب الأئمة عليهم السلام دار الحديث ـ قم 1426.
83. الميلاني؛ السيد علي الحسيني: مع الأئمّة الهداة في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، نسخة الكترونية على موقعه الالكتروني
https://www.al-milani.com/library/lib-mas.php?booid=35.

84. النويري؛ أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة 1423هـ.
85. النيسابوري؛ أبو عبد الله الحاكم: المستدرك على الصحيحين، دار المعرفة، بيروت.
86. النيسابوري؛ مسلم بن الحجاج القشيري: صحيح مسلم، ت محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة 1374هـ .
87. موقع الشيخ عبد العزيز بن باز:
https://binbaz.org.sa/

رسالة شكر وامتنان

إلى الإخوة الأعزاء والأخوات العزيزات الذين بذلوا أي نحو من الجهد حتى أصبحت هذه الصفحات جاهزة بين يدي القارئ الكريم؛ وشكرًا لسماحة الشيخ جعفر البناوي، والمهندس موالي أهل البيت، والفاضل الخطيب فتحي آل عبد الله والفاضل أحمد علي ـ البحرين، والفاضلة تراتيل والفاضلة سلمى بوخمسين، والفاضلة إيمان ـ البحرين.

الفهرس

المقدِّمة 5

سطور تعريفية 7

سيرة الإمام علي الهادي من الميلاد إلى الاستشهاد 9

1/ ميلاده المبارك وعمره الشريف 9

2/ نشأتـه 10

3/ تصدي الإمام الهادي للإمامة 11

4/ لم تُثِر إمامة الهادي عليه السلام في صغره إشكالاً 13

5/ ردة فعل المعتصم العباسي على إمامة الهادي 15

6/ الإمام في زمان ما بعد المعتصم العباسي 20

7/ الإمام علي الهادي عليه السلام زمان المتوكل العباسي 26

8/ جلب الإمام الهادي إلى سامراء وفرض الإقامة عليه فيها 32

متى جُلب الإمام إلى سامراء؟ 36

9/ من أدوار الإمام وأعماله 39

10/ السنوات العجاف في سامراء 43

11/ أحوال الإمام عليه السلام بعد موت المتوكل 47

12/ شهادة الإمام (أو موته)؟ 50

مناهج دراسة حياة المعصومين عليهم السلام 57
1/ القراءة الفضائلية والاعجازية 59
2/ القراءة الثقافية والاجتماعية الدينية 62
3/ القراءة الحركية والسياسية 63
كتاب الإمام الهمّام علي الهادي:نموذج في القراءة الحركية 72
دور الإمام العلمي والثقافي في الأمة 82
أولًا: الإمام في مواجهة خط البغض والنصب 84
مظاهر بغض المتوكل للإمام علي 87
زيارة الغدير تأريخ حياة وفضائل 94
ثانيًا: الإمام الهادي في مواجهة تيارات الغلو 118
ما هي أفكار الغلاة وخطتهم؟ 127
عمل الإمام الهادي في مواجهة تيارات الغلو 128
4/ القتل لأئمة الكفر والغلو 132
5/ وفيما يرتبط بالعقيدة السليمة البعيدة عن الغلو 134
الزيارة الجامعة الكبيرة دورة معارف عقائدية 135
نص الزيارة 146
ثالثًا: الإمام في مواجهة التيار القشري المجسِّم 156
ما هي أحاديث الصفات والرؤية والقدر؟ 159
الإمام الهادي عليه السلام يبطل أحاديث المجسمة والحشوية 166
رابعًا: الإمام في مواجهة الاتجاه الجبري والقدري 178
روى الإمام الهادي عن آبائه عن أمير المؤمنين 181

خامسًا: موقف الإمام في فتنة خلق القرآن 188
ما هي قضية خلق القرآن؟ 188
توجيه الإمام الهادي في هذه الفتنة 192
الحالة العامة للتشيّع أيام الإمام علي الهادي 196
الحياة الأسرية للإمام الهادي عليه السلام 206
زوجة الإمام 207
أولاده عليهم السلام 209
الاتجاه الثاني: جعفر الكذاب 213
تفجير مشهد العسكريين: مناشئ ودلالات 220
أدلة المسلمين على بناء القبور 224
دفع وهم!! 225
دفع وهم وحلّ إشكال!! 233
الإشكال الأول في السند 234
الإشكال في المتن، ويكون في نقطتين 234
الأولى: في معاني الحديث 234
الأخرى: إشكال في الممارسة لا في المعتقد؟! 236
المصادر 242
رسالة شكر وامتنان 253
الفهرس 254